T
5A
c.1

العقلية العربية بين الحربين

(١٩١٨ ـ ١٩٣٩)

كما تتجلى في بلاد الشام في بعض اتجاهاتها الرئيسية في تلك الحقبة

رسالة كتبها : علي حاج بكري

وقدمها الى دائرة التاريخ العربي في كلية
الاداب والعلوم في الجامعة الاميركية في بيروت
لنيل شهادة " استاذ علوم " في التاريخ العربي

بيروت ـ الجامعة الاميركية

تموز ١٩٥١

تصـــديـــر

يجتاز العرب مرحلة دقيقة من تاريخهم الحديث وتتجاذبهم تيارات مختلفة ، وهم اذا ارادوا الحياة لا بد لهم من اعادة النظر في مقومات حياتهم ليدركوا ما لهم وما عليهم وما هو سبيلهم الى الحياة . والعرب احوج ما يكونون الى علمهم واقلامهم وامكانياتهم في عالم تشابكت مصالحه وتعددت ابعاده ولم يعد للعزلة في ميدانه مكان . وهيهات ان يستطيع الانسان حلا لمشاكله دون علم طبيعة هذه المشاكل وما هو قائم حولها وما يمت اليها بسبب قريب او بعيد .

وانها لسنة رشيدة اختطها لنا استاذنا الكبير الدكتور نبيه امين فارس في توجيهنا لدراسة نواح من التاريخ العربي الحديث ، وكان السباق في اقباله على معالجة مشاكل العرب الاحياء .

ولا شك ان ما تقوم به دائرة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية في بيروت من ابحاث حول الاوضاع العربية القائمة يكون حجر الزاوية في دراسة تحتاجها كل الاحتياج لبناء الكيان العربي على اساس جديد .

ولعل في محاولتي الكلام عن بعض اتجاهات العقلية العربية بين الحربين (١٩١٨ ــ ١٩٣٩) ما يوجه انظار الباحثين لتناول هذا الموضوع الخطير بالدرس والتحليل . وغاية ما ارجوه ان اكون قد ارضيت البحث العلمي بعض الشيء ، وان ينال عملي رضا استاذي الكبير الدكتور نبيه امين فارس الذي ادين له بالوفير من المساعدة والتوجيهات والارشادات القيمة التي فتحت امامي آفاق البحث .

ولاساتذتي جميل تقديري واحترامي على ما افادته خلال تتلمذي عليهم وما حبوني به من عطف وتشجيع ولسان حالي يقول :

ذكرى الجميل على الايام احملها ... والقلب يخفق تقديرا وشكرانا

علي حاج بكري

محتويات الرسالة

	الصفحة
المقدمة	
العقلية العربية ومميزاتها	١ ــ ٧
الفصل الاول	
اليقظة العربية وطبيعتها	٨ ــ ٣٠
١ ــ انتشار التعليم	١٠ ــ ١٣
٢ ــ دور الفتح والتوجه	١٣ ــ ١٦
٣ ــ دور التنظيم وتعيين الاهداف	١٦ ــ ٢١
٤ ــ دور العمل : الثورة العربية	٢١ ــ ٢٤
٥ ــ موقف العرب من المطامع الاجنبية قبل فرض الانتداب	٢٤ ــ ٢٧
٦ ــ طبيعة اليقظة العربية	٢٧ ــ ٣٠
الفصل الثاني	
الاتجاه السياسي	٣١ ــ ٦٢
١ ــ مشكلة الانتداب	٣١ ــ ٤٢
" في سورية	٣٣ ــ ٣٩
" في لبنان	٣٩ ــ ٤٠
" في فلسطين وشرقي الاردن	٤٠ ــ ٤٢
٢ ــ مشكلة فلسطين	٤٢ ــ ٤٧
٣ ــ مشكلة الاسكندرونة	٤٧ ــ ٥٠
٤ ــ النزعات السياسية المختلفة ومظاهرها	٥١ ــ ٥٩
أ ــ النزعات الاقليمية	٥١ ــ ٥٣
ب ــ نزعة الاتحاد او الوحدة	٥٣ ــ ٥٦
جـ ــ النظرات السياسية المختلفة	٥٦ ــ ٥٩
٥ ــ طبيعة الاتجاه السياسي	٥٩ ــ ٦٢

الفصل الثالث — الصفحة

الاتجاه الاجتماعي ٦٣ ـ ٨٨
١ ـ المجتمع العربي بين التقليد والتجديد ٦٣ ـ ٦٥
٢ ـ طبقات المجتمع واتجاهاتها ٦٥ ـ ٧٠
٣ ـ الحياة الاجتماعية بين المدينة والريف ٧٠ ـ ٧٣
٤ ـ المرأة والاسرة العربية ٧٤ ـ ٧٧
٥ ـ حركة التعليم ٧٧ ـ ٨٣
" في سورية ولبنان ٧٨ ـ ٨٠
" في فلسطين وشرقي الاردن ٨٠ ـ ٨٢
٦ ـ الحركات النقابية ٨٣ ـ ٨٦
٧ ـ طبيعة الاتجاه الاجتماعي ٨٦ ـ ٨٨

الفصل الرابع

الاتجاه الديني والاتجاه الادبي ٨٩ ـ ٩٩
الاتجاه الديني ٨٩ ـ ٩٥
الاتجاه الادبي ٩٥ ـ ٩٩

مصادر البحث ١٠٠ ـ ١٠٦
المصادر العربية ١٠٠ ـ ١٠٤
الكتب ١٠٠ ـ ١٠٢
النشرات والصحف والمجلات ١٠٢ ـ ١٠٤
المصادر الاجنبية ١٠٥ ـ ١٠٦

المقدمة

العقلية العربية ومميزاتها

تمهيد في تحديد الموضوع وخطة البحث : ان حديث العقلية العربية بين الحربين — ١٩١٨ — ١٩٣٩ يفيد معنى تطوريا ويتضمن اتجاهات مختلفة من السلوك تتوقف على انواع المؤثرات التي تعرضت لها العقلية العربية فاستجابت لها استجابات معينة هي التي تعطيها طابع التميز . فنحن امام فترة خاصة من تاريخ العرب الحديث تتوت فيها الاحداث وتدفقت الى دنيا العرب الوان مختلفة من المؤثرات الحضارية المادية منها والمعنوية فحدث تفاعل بين العناصر الواردة وبعض نواحي الواقع العربي ، فنتج من جراء ذلك سلوك معين في مختلف نواحي الحياة ينم عن العقلية التي صدر عنها .

لقد تناولنا في الفصل الاول من هذا البحث بعض التفاعلات التي حدثت على المسرح العربي في بلاد الشام والعوامل التي قادت اليها . ولقد رأينا ان التفاعل قد يكون ايجابيا بمعنى التجاذب والاخذ وقد يكون سلبيا بمعنى التدافع والنفور . وفي كلتا الحالتين لا بد من استجابة خاصة . وبذلك حاولنا ان نعرض صورة مصغرة لبعض نواحي الاتجاهات العربية في ذلك الميدان الذي كانت تتمثل فيه قبل ان يسدل الستار على مشهد الحرب العالمية الاولى لينحسر عن مشهد جديد كان له اثره في تعيين مجرى الاتجاهات التي تناولناها بالبحث في الفصول التالية .

ان موضوع العقلية العربية متعدد الجوانب كثير التشعبات يحتاج بحثه الى التعمق في دراسة احوال المجتمع العربي عن طريق الاحتكاك المباشر مع بيئاته المختلفة ، وهذا ما لا ادعيه ولم يتوفر لي القيام به ، الا انني على اي حال فرد من افراد الامة العربية ، وقد تهيأت لي فرصة العيش في بعض البيئات الريفية والمدنية وصدمتني بعض المشاكل التي تعرضت لها البلاد . فلعل هذا بعض ما اعانني على تفهم عدد من النواحي التي تضمنها البحث . على ان عملي قد انصب بصورة خاصة على دراسة بعض الاتجاهات الرئيسية في العقلية العربية ما بين الحربين في بلاد الشام معتمدا في ذلك على بعض ما دون حول الاوضاع العربية في تلك الحقبة ، الى جانب عدد قليل من الاحاديث التي استقيتها من بعض المطلعين لتبيان نواح لم يتوفر لي الاطلاع عليها في المدونات المطبوعة . ولقد اشرت في هامش البحث الى كل حديث من هذا النوع .

على ان حصر الموضوع في مكان خاص وزمن معين لا يمكن ان يتم طبقا للتحديد الرياضي . فركب الحياة لم يتوقف ولم يبدأ من فترة معينة كما ان العرب في اكثر اقطارهم متشابهون في كثير من صفاتهم ، بالاضافة الى ان معظمهم قد تعرضوا لمؤثرات متشابهة ايضا . ولم تحل الحدود السياسية دون اتصالهم وتبادل التفاعل فيما بينهم . ومهما يكن من امر فقد حاولت التقيد قدر الامكان في معالجة الموضوع كما حددته آنفا الا عندما تقضي طبيعة البحث شيئا من الخروج عن قيود التحديد .

ولا بد من القول ايضا ان هنالك نواحي اخرى تستحق دراستها لانها تكشف عن بعض معميات العقلية العربية . ولكن اذا ما فتحنا الباب لتشعبات مختلفة يطول بنا البحث ولا يتسع له الوقت الذي حدد لهذه الدراسة . زد على ذلك ان كل ناحية من نواحي العقلية العربية في اي اتجاه كان يمكن ان تبحث كموضوع قائم بذاته ويلاقي فيها الانسان مجالا خصبا يرضي نزعته للبحث . ولذلك فقد حرصت ، اكثر من مرة ، على الاشارة الى بعض النواحي التي اوجزت فيها القول مبينا اسباب ذلك . والباب مفتوح لكل باحث يريد ان يفصل ما اوجزت ويدرس ما اهملت . وحسبي انني تناول موضوعا اعتقد انه جديد وجدير باهتمام الباحثين العرب بالنسبة الى اوضاعنا الراهنة فاذا ما تفهمنا واقعنا قد يتيسر لنا سبيل التقدم والنمو .

على ان لعقلية كل شعب من شعوب العالم بعض صفات معينة تختلف اختلافا متفاوتا عن عقلية الشعوب الاخرى . ويرجع ذلك لعوامل البيئة والجنس ومراحل التطور والتاريخ والمؤثرات الخارجية والقيم الروحية التي وعاها الشعب خلال الاحقاب التي برز فيها على مسرح الوجود . ولكن بحث هذه النواحي او التعرض للعقلية العربية من خلال هذا المنظار ، يخرجنا عن الموضوع الاساسي الذي يتناول بالدرجة الاولى ، اتجاهات العقلية العربية في بقعة خاصة من بقاع العالم العربي وفي فترة معينة من تاريخه الحديث .

وفي هذه المقدمة رأينا ان نستعرض بعض الاراء والانطباعات التي دونها فريق من المفكرين والكتاب — قديما وحديثا — حول بعض الصفات العربية ومظاهر الذهن العربي لعل في ذلك ما يوضح الصفات التي تكشفت عنها العقلية العربية في بعض اتجاهاتها التي تناولناها بالبحث .

تعرض العرب لتيار النقد والمفاضلة منذ ان انتشروا في الارض فاتحين واخذوا يوطدون سلطانهم بين الشعوب التي ضربت بسهم وافر من الحضارة والتقدم . ولما غلبت هذه الشعوب على امرها ، اخذت تفاضل بين تراثها وبين ما كان عليه العرب فانتهت الى الحكم التالي : " ولم تزل الامم كلها من الاعاجم في كل شق من الارض لها ملوك تجمعها وبدائن تضمها ، واحكام تدين بها ، وفلسفة تنتجها ، وبدائع تتقنها من الادوات والصناعة ... ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ويضم نواصيها ويقمع ظالمها وينهي سفيهها ، ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ولا اثر في فلسفة الا ما كان من الشعر وقد شاركتها فيه العجم . فانما هي كالذئاب العادية والوحوش النافرة ياكل بعضها بعضا ويغير بعضها على بعض ... " (١) . فالعرب بنظر الشعوبية اذن مجردون من عنصر الابداع ، متميزون بالفردية التي تبعدهم عن الاتحاد وتدفعهم الى التنابذ والتناحر .

يرد الجاحظ على الشعوبية فيرى ان الابداع في بعض النواحي ، عنصر كامل في العرب فكل شيء لهم " انما هو بديهة وارتجال وكأنه الهام ولا مكابدة ولا اجالة فكرة ولا استعانة ... فما هو الا ان يصرف وهمه الى جملة المذهب والى العمود الذي اليه يقصد فتأتيه المعاني ارسالا وتنثال عليه الالفاظ انثيالا ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه احد من ولده " (٢) . فالبديهة والذكاء موهبة فطرية عند العربي لا اثر فيها للاكتساب بنظر الجاحظ . لكن حكمه هذا مقصور على نواحي القول وفنونه المتعارف عليها في ذلك العهد .

ويأتي ابن خلدون فيعطينا حكما اشمل على العرب . فهم في نظره قوم منغمرون على التوحش " اهل انتهاب وعيث ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويغيرون الى منتجعهم ... واما البسائط متى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم " (٣)

---

(١) ابن عبد ربه ج ٢ ص ٢٥٥

(٢) الجاحظ ج ٣ ص ٢٠ — ٢١

(٣) ابن خلدون ص ١٢٩

و " هم متنافسون في الرياسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره ولو كان اباه او اخاه او كبير عشيرته الا في الاقل وعلى كره من اجل الحياء فيتعدد الحكام منهم والامراء وتختلف الايدى على الرعية في الجباية والاحكام فيفسد العمران وينتقض " (١) فالعرب برأى ابن خلدون " اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب " (٢) وهو هنا يدعم رأى الشعوبية في ان العرب متميزون بالفردية التي تقف دون اتحادهم وتضامنهم لاقامة سلطان وبناء دولة . وهم الى ذلك انانيون حاديون تهمهم مصالحهم الشخصية قبل كل شيء . على ان هناك عامل يقود الى اتحادهم " فاذا كان الدين بالنبوة او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة فسهل انقيادهم واجتماعهم ... فاذا كان فيهم النبي او الولي الذى يحثهم على القيام بامر الله وذهب عنهم مذمومات الاخلاق وبأخذهم بمحمودها وبؤلف كلمتهم لاظهار الحق واجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك . وهم مع ذلك اسرع الناس قبولا للحق لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الاخلاق ... " (٣) . وكأن ابن خلدون يريد ان يقول ان العرب يأنفون من الخضوع لاى سلطان ، فهم يحتاجون لوازع خلقي ينبع من انفسهم ويحد من فرديتهم ويوحد شملهم . ويعترف ابن خلدون ان العرب يتصفون بقابلية التفاعل مع البيئة والتطور " بطور الحضارة " (٤) . على ان الامثلة التي يوردها للوصول الى هذا الحكم تكشف لنا عن قابلية العرب لاستغلال النواحي المادية من الحضارة بصورة خاصة .

ويتفق (نولده كه) في بعض احكامه على العرب مع ابن خلدون . فهم في نظره يتميزون ايضا بفردية مفرطة ولذلك لا يدينون لدولة بالطاعة الا تلبية لدافع ديني عظيم او تحت ضغط سلطة مستبدة وفي هذه الحال ليس لهم تعلق حقيقي بها (٥) . ويخطيء نولده كه من يصف العرب بالنزعة الديموقراطية فهم اكثر الشعوب تأكيدا على سلسلة النسب . والعربي الاصيل ارستقراطي تماما ينظر الى اعمال اجداده نظرة التقديس ويرى فيها دافعا للفخر وقل ان يحصل رجل من اصل وضيع على نفوذ في مجلس القبيلة او الجماعة ولا تزال العائلة الارستقراطية سائدة بين

---

(١) ابن خلدون ص ١٣٠
(٢) المصدر نفسه ص ١٣٠ وهذه الجملة عنوان للمقطع الذى اخذناه عنه الفكرة السابقة .
(٣) المصدر نفسه ص ١٣١ (٤) المصدر نفسه ص ١٤٩ .
(٥) نولده كه ص ١٢ وهذا الحكم يطلقه على الساميين عموما ولكنه يذكر ص ٤ ان العرب خير من يمثل الصفات السامية .

عرب الصحراء وبين بعض المتحضرين منهم . ويتصف العربي الاصيل بالفروسية وما فيها من تحسس نبيل لنواحي الشرف الى جانب الشعور بالخيلاء والاعتزاز [١] . وهو الى ذلك صعب القياد لنظام دقيق فهو على العموم لا يعتبر جنديا ممتازا . والعرب مغرمون بسماع قصص البطولة وانباء الانتصارات وخاصة اذا بولغ فيها وكان لها مساس بالعرق والعائلة . والعبقرية السامية في نظر نولده كه لا تسمو الى مرتبة الشعوب الهندية — الاوربية كالاغريق مثلا فهي تتصف بالنظرة الجزئية الى الامور . ومع ذلك يقرر نولده كه ان الشعوب السامية قد سارت شوطا طيبا في ميدان التقدم ولا شيء يمنعها ان تتطلع الى مركز سام بين الجنس البشري [٢] .

وللكواكبي آراء تعارض ما تقدم من احكام فهو يصف العرب بالنزعة الاشتراكية واحلال المساواة في الهيئة الاجتماعية واتباع سبيل الشورى في الحكم [٣] . فهم ديموقراطيون في نظره يتميزون باحترام حقوق الاخرين .

ويأتي لورانس فيجمع حكمه بين رأي ابن خلدون ورأي نولده كه فالعرب عنده يتميزون بالعبقرية الفردية والنظرة الجزئية الى الامور والخضوع لسلطان الدين كما يتميزون بضيق الذهن والتمسك بالرأي دون حيرة او تردد . [٤] ومن صفاتهم انهم يسيرون الى اهدافهم دون تلكؤ فاذا تحققت غاياتهم وجاء دور المسؤولية والواجب والرعاية يتوقف نشاطهم فتذهب اعمالهم ادراج الرياح [٥] . اي ان العرب يتصفون بالانتهاض للعمل ولكن تنقصهم قوة الاستمرار .

وهناك احكام وانطباعات كثيرة حول العرب قد دونها عدد من كتاب الفرنج وغيرهم في فترة ما بين الحربين على اثر زيارتهم للبلاد العربية وتجولهم في ربوعها . وهذه الاحكام والانطباعات لا تخرج عما اسلفنا . فهي ترى ان العرب مادیون تبهرهم مظاهر الترف والقوة [٦] وهم ميالون الى المبالغة والمباهاة [٧] الى جانب الاخذ بمبدأ المجاملة [٨] . وهم الى ذلك ساخطون ومصدر

---

(١) نولده كه ص ١٢ — ١٣ (٢) المصدر نفسه ص ٢٠
(٣) الكواكبي — ام القرى ص ١٦١ — ١٦٢
(٤) لورانس ص ٣٨ — ٣٩ (٥) المصدر نفسه ص ٤٢
(٦) بيرون ص ٦١ وص ١١١ — كيسل ص ٨٨
(٧) الشرتوني ص ٣٠
(٨) كيسل ص ٩٦ — خشت ص ٧٣

سخطهم غالبا امور الحياة العادية (١) .

وهنالك من يصف السوريين بصورة خاصة ، بقوة الفطنة والذكاء ويعتبرهم مهيئين للقيام بدور القيادة في مستقبل الشرق الادنى (٢) . والعرب مع تأثرهم بالحضارة الغربية في امور حياتهم وبعض مناحي تفكيرهم فهم متمسكون ولو نظريا بالتقاليد الاخلاقية والدينية التي ورثوها (٣) .

بعد هذه آراء وانطباعات حول العرب والعقلية العربية منها القديم والحديث . يتفق اكثرها في تمييز العرب بصفات معينة يظهر ان بعضها له طابع التأصل والعمق . على ان بعض هذه الاحكام انما انصبت على العرب كبدو يسكنون الصحراء فوصفتهم بالفردية المفرطة والتعلق بالعائلة والقبيلة . والواقع اننا لا نستطيع ان ننفي هذه الظاهرة حتى من بين سكان المدن انفسهم . ولكن الى اي حد يتفرد العرب بهذه الصفات الانفة الذكر والى اي حد تفترق الشعوب في العصر الحاضر عناصر متباينة في صفاتها ؟ لقد لقد ذهب تولده كه ولوراس الى ان العرب لا يدانون الشعوب الهندية — الاوروبية في قوة العبقرية الخلاقة . وهذا الحكم قد يصدق في القديم يوم كانت الشعوب تعيش في بيئات قد باعدت بينها المسافات التي كانت لا تقطع الا حبوا بالنسبة الى القرن العشرين . واما اليوم فقد كثر التعارف وتفشى اختلاط الامم فيما بينها خلال احقاب التاريخ على اسطورة العرق . والظاهر ان جوهر القضية انما هو انطلاق من جهة وجمود من الجهة الثانية . او بعبارة اخرى لقد غدت المسألة اشبه بميدان سباق ، فهنالك فرسان قد قطعوا مسافات طويلة بينما الاخرون لا يزالون يتعثرون للجريان .

ان تناقض الاحكام التي اتينا على ذكرها لا ينفي انطباقها على العرب فهم في الواقع يمثلون كثيرا من نواحي التضاد في الاتجاه . ولعل ذلك ما يميز اكثر الشعوب التي بدأت بالنمو بعد عهد انتكاس ولم تبلغ شخصيتها حد التكامل الذاتي .

ان ابرز ما يميز العرب في تاريخهم الحديث هو فقدان الانسجام سواء في المظهر والتفكير . وهم في الحقيقة لا يمثلون مجتمعا حضريا متكامل الصفات ولكن الرقعة العربية اشبه ما تكون بمسرح تتمثل عليه حياة البشرية في مراحل تطورها وارتقائها . فنحن امام مجتمعات تتدرج من ابسط اطوار البداوة الى ما يصح ان يدعى مجتمع القرن العشرين .

---

(١) جوليس ص ١٢٠ (٢) لاندو ص ١٤٥
(٣) اوبرى ولاندو ص ٦٦

ومهما يكم من امر ، لقد رأينا لدى العرب قابلية قوية للتطور قد لمسها ابن خلدون منذ قرون عديدة . وهذا ما لا سبيل الى نكرانه . فقد استطاع العرب عقب خروجهم من الصحراء ان يتمثلوا مدنيات مختلفة وينتجوا تراثا قيما كان له مكانته البارزة واثره الفعال في حقل المعرفة الانسانية . وهذا الشعب الذى تهيأت له في الماضي سبل التفاعل والارتقاء قد لا يعجز اليوم عن السير في ركب الحضارة اذا فتح صدره للحياة النامية المتطورة . ان القابليات الفطرية والمواهب الانسانية من ذكاء وفطنة متوفرة لدى العرب ، ولا ينكرها عليهم احد . وقد برهنت الايام ان الذين تهيأت لهم فرص العلم والعمل لم يكونوا دون غيرهم نباهة وتقدما .

وجملة القول ان تضارب الاراء حول امة من الامم هو دليل الاهتمام بتلك الامة ، ولا يضيرها بعد ذلك ان توصف بشتى الاوصاف المتناقضة اذا عرفت كيف تطرح الفاسد من واقعها وتقبل على المعارف من اى مصدر كان . والمعارف هي السبيل الوحيد الى الانسجام . ومن يعرف نفسه يستطيع ان يوفر لها مجال الحياة الكريمة .

الفصل الاول

اليقظة العربية وطبيعتها

مرت على البلاد العربية حقبة من الزمن استسلمت فيها للحكم العثماني وهدت راضية قانعة ما دامت مقدراتها تدار باسم الدين وعواطفها تتجه نحو خليفة تعتقد ان فيه شيئا من نفحات القدسية والصلاح . على ان هذه الاستكانة هيهات ان تتمثل الا في جو قد انتابه الظلام وخيم عليه الجهل فقدت معه تقاليد جوفاء وتعطل رتيبا من الحياة يتمثل بالمطالب المادية من العيش وقل ان يتعداها الى افق جديد .

وسارت الاعوام متثاقلة كأنها الحديث المعاد ... واخيرا اطل القرن التاسع عشر واذا هبة الحرية تملأ دنيا الغرب ، وعناصر المعرفة تتسرب الى كل قطر . ولكن العالم العثماني كان لما يزل في سباته ، غارقا في جهالته ، تتقاذفه امواج التعصب والتضليل باسم الدين وترهقه تكاليف مادية تجبى منه باسم السلطان وحماية الاوطان .

" كانت الدولة لا يهمها من امور الرعية شيء شقيت ام سعدت اذا كانت تدفع المال المطلوب ... فاستبد بها الحكام وعظم شرهم وكبر امرهم ... " (١) . ويذكر لنا مشاقة من احوال مأموري الدولة في القرن التاسع عشر ان همهم كان في " ابتزاز اموال الرعية وتعويز المعجبة ومحاربة العلم حتى كنت لا ترى في سورية واحدا من مئة يحسن مبادىء القراءة فما قولك بالعلوم الاخرى " (٢) .

ومن الطبيعي ان يتبع هذا الجهل تعصب ديني عم طبقات الشعب باجمعها الا من كان في قلبه شيء من التقى والصلاح ، ولكن لم يكن له حول ولا طول لمجابهة تيار التعصب (٣) . وكانت الطبقة المتنفذة في المجتمع ، من انكشارية وسواهم من الجند ، قد دخيلة على البلاد ، قد اطلقت لنزواتها العنان ، ولم تكن تترفع عن اي عمل شائن حتى ان جرائم القتل كانت تحدث احيانا لسبب

---

(١) و (٢) مشاقة ص ٢٣

(٣) المصدر نفسه ص ٢٦ — ويقول مشاقة : " كان التعصب الديني بالغا اشده بشعب ذاك العصر حتى تجاوز به القوم حدود الافراط وكان المرء منهم يحسب كل رجل غير متدين بدينه جارا له قتله والاعتداء عليه لا اثم في ذلك ولا تثريب في ابتزاز ماله وعرضه ... "

تعسفي " كتجربة سيف او بندقية " (١) . " وهذه الاحوال الفوضية جعلت الرعاع تتمادى بالقحة والفجور لدرجة تقوى بسبب ضعف الحاكم وقصوره عن ردع القوى عن الضعيف ، وكانت الباعث على اظهار قوة الافراد فكثر بذاك العصر الجابرة الاشداء من مسلمين ونصارى من غير المنتمين للاحد الاحزاب الجندية والمتكلين على انفسهم وشدة بأسهم . " (٢) .

في غمرة هذا الجو القاتم من الجهل والتعصب والفوضى ، بدأت بعض الاحداث تهز البلاد والى جانبها اخذت بذور المعرفة تتسرب الى الارض العربية لتخرج بعد حين نباتا جديدا او لتلقي في النفوس العربية المتراخية قوة انبعاث جديدة .

لا بد لكل تغيير في احوال الامة من عاملين اساسيين على الاقل : عامل تستطيع ان تدعوه خارجيا وهو تبدل القيادة والسعي لتكييف الشعب وفقا لرغباتها ، وعامل داخلي يتناول الافراد ويحملهم على الخروج عن واقعهم نحو اتجاه جديد عن طريق الاحتكاك والتلقين . وهذا ما حدث فعلا في ديار الشام ، يتمثل من جهة بالاحداث السياسية المختلفة ، ومن جهة اخرى بدخول الارساليات الاجنبية الى البلاد ومحاولتها نشر المعرفة بين الافراد والجماعات .

فالحكم المصري لديار الشام — ١٨٣١ — ١٨٤٠ — قد لا يكون عاملا كبيرا من عوامل التفتح واليقظة الا انه في جوهره قد استهدف تغيير بعض الاوضاع وتعيين بعض الاتجاهات . فانه والحالة هذه قد اخرج البلاد عن سيرها الرتيب حتى ان بعض العراقيين آنذاك قد توقع اتجاها جديدا في حياة البلاد . فنجد كتاكو يعلق على الوضع بقوله " وستتمكن هذه البلاد من ان تنهض من سباتها وتعود الى مجدها السابق . ومع ان النظام لم يحل فيها محلا تاما فسكانها يتوقعون مستقبلا زاهرا " (٣) . ويذهب البارون بوالاكونت الى ان ابراهيم باشا كان يعمل على احياء مجد الامة العربية (٤) .

على ان فترة الحكم المصري يصح ان تعتبر مبدأ لاتجاه جديد . فقد نشطت خلالها

---

(١) مشاقة ص ٢٥ (٢) المصدر نفسه ص ٢٥

(٣) كتاكو ص ٣٨ . وكتاكو هو قنصل النمسا في عكا وصيدا آنذاك . وما اوردناه هو من رسالة له لقنصل النمسا في الاسكندرية بتاريخ ٢٦ فبراير ١٨٣٣ .

(٤) الاعظمي ص ٣٣ — وبوالاكونت هو معتمد فرنسا السياسي لدى محمد علي باشا عام ١٨٣٣ .

حركة الارساليات الاجنبية " فهرعت جميعها الى بيروت وانتشرت منها الى سائر انحاء الشام حتى اصبح عام ١٨٣٤ عاما تاريخيا وذا خطورة كبيرة ... ففيه عاد اليسوعيون وتوسعت الارسالية الاميركية بمقدم افواج جديدة ... " (١) . ومنذ ذلك التاريخ يصح ان نوكر حركة اليقظة العربية في الادوار والنتائج الاساسية التالية :

١ — دور انتشار التعليم
٢ — دور التفتح والتوجيه
٣ — دور التنظيم وتعيين الاهداف
٤ — دور العمل : الثورة العربية عام ١٩١٦
٥ — موقف الغرب من المطامع الاجنبية قبل فرض الانتداب على البلاد
٦ — نتائج هذه المراحل او بعبارة اخرى : طبيعة اليقظة العربية

ولكن بعض هذه الادوار متداخلة فيما بينها احيانا على انه لا بد من تمييز كل منها على حدة تعيينا للمجرى الاساسي الذي اتخذته خلال الاعوام .

١ — انتشار التعليم : " كان المستوى الفكري منخفضا جدا بصورة عامة وكانت المدارس الموجودة من النوع الابتدائي وكان التعليم فيها — سواء كانت اسلامية ام مسيحية — منحصرا في النواحي الضيقة للعلوم الدينية . وكان تدريس هذه النواحي نفسها منحطا في مستواه وضيقا في افقه " (٢) . ثم جاءت حركة التبشير واخذت تعمل على نشر المدارس المختلفة فادى ذلك الى اثارة رجال الدين المحليين فقاموا بدورهم في تنشيط حركة التعليم ايضا (٣) .

كان الاميركان واليسوعيون قادة حركة التعليم في ذلك الوقت ولقد ازداد نشاطهم بفعل التنافس فيما بينهم فانتشرت مدارس الفريقين في مختلف ديار الشام حتى بلغ عدد مدارس الاميركان حوالي عام ١٨٨٢ نحوا من مئة وثلاثين مدرسة متفرقة في ٧ سورية ولبنان (٤) . وكانت

---

(١) و (٢) انطونيوس ص ٣٧ (٣) المصدر نفسه ص ٤٠
(٤) المقتطف — المجلد ٧ (١٨٨٢ — ١٨٨٣) ص ٤٦٨ من خطاب لشاهين مكاريوس .

مدارس اليسوعيين ضعف هذا العدد عام ١٩٠٠ (١) . ولقد قام الاميركان بحركة مركزة في هذا الحقل فانشؤوا دارا للمعلمين في قبة عبيه واستعانوا بمعلمين جليلين من ابناء البلاد هما : ناصيف اليازجي — (١٨٠٠ — ١٨٧١) — وبطرس البستاني — (١٨١٩ — ١٨٨٣) — " وكلفوهما بتأليف الكتب في مواضيع مختلفة تصلح للتدريس في المدارس . وحالما تتم تأليف هذه الكتب والموافقة عليها طبعوها في مطبعتهم ونشروها في طول البلاد وعرضها ... " (٢) .

" واهتم المرسلون بتربية الاناث فسعوا بانشاء مدارس لهن منها معاهد راهبات مار يوسف (١٨٤٥) وراهبات المحبة (١٨٧٤) وراهبات قلب يسوع والمدرسة الانكليزية لمؤسستها مس بوهن طمسن والمدرسة الانجيلية للبنات (١٨٦١) " (٣) .

كانت حركة التعليم عامة تقريبا لم تقتصر على بلد معين بل انتظمت معظم المدن الكبرى في ديار الشام (٤) وساهم فيها الى جانب المرسلين الاجانب عدد من الوطنيين (٥) والجمعيات الاهلية (٦) وفي عام ١٨٨٢ بلغ " مجموع المدارس بسورية كلها ١٤٧٣ والمعلمين والمعلمات ٢٣٣٤ والتلامذة من صبيان وبنات ٦٢٥٦٦ " (٧)

---

(١) التصولي ص ٤٧ يذكر ان مدارس اليسوعيين في بيروت وحدها وطرابلس بلغ ٢٠٣ مدارس ومجموع تلامذتها ١٠٢٩٠ وعدد مدارس الشام وحماه وحوران ١١٣ مدرسة ومجموع تلامذتها ٣٨٧٥ .

(٢) انطونيوس ص ٤٢ (٣) التصولي ص ٥٠

(٤) المقتطف — المجلد ٧ ص ٣٨٥ — ٣٩٢ و ٤٦٥ — ٤٧٦ و ٥٢١ — ٥٣٧ نص خطاب الفاه شاهين مكاريوس مدير جريدة المقتطف عن المطرف في سورية سرد فيه اشياء كثيرة عن حركة التعليم في مختلف مدن الشام مثل دمشق وبيروت والقدس وحلب وحمص وحماه واللاذقية وغيرها ويذكر ان مدارس المرسلين الاجانب قد انتظمت اكثر هذه المدن الى جانب المدارس الاهلية والاميرية .

(٥) مثل بطرس البستاني الذي انشأ المدرسة الوطنية عام ١٨٦٣ والمطران يوسف الدبس مؤسس مدرسة الحكمة عام ١٨٧٥ .

(٦) المقتطف المجلد ٧ ص ٣٩١ — ٣٩٢ جاء ذكر قيام عدد من الجمعيات الطائفية التي اهتمت بشؤون التعليم مثل جمعية الروم الارثوذكس الخيرية وجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية والجمعية الخيرية الانجيلية بالاضافة الى الجمعيات الكاثوليكية المتعددة ...

(٧) المصدر نفسه ص ٥٣٧ .

وتجلت الخطوة الرئيسية التي قام بها المرسلون بانشاء الكلية السورية الانجيلية [١] وكلية القديس يوسف [٢] . وزاد في قيمة هذه الحركة بالنسبة الى الشعور الوطني ان الكلية السورية الانجيلية قد استعملت اللغة العربية " في تدريس الطب وسائر العلوم فاضطر اساتذتها وفي مقدمتهم فانديك وورتبات وبوست الى ترجمة او وضع عدد من المؤلفات العلمية باللغة العربية " [٣] . وكذلك اتخذت كلية القديس يوسف اللغة العربية اداة للتدريس في بادئ الامر ايضا [٤] .

وهكذا بدأت اللغة العربية تستعيد مكانتها في ميدان النشاط العلمي والتبادل الفكري بفضل استعمالها في المدارس الاخذة الذكر وقيام المطبعتين الاميركية [٥] واليسوعية [٦] بطبع الكتب العربية ونشرها فكان لذلك كله اثره البارز في حركة البعث الادبي الذي كان مقدمة طبيعية للحركة القومية .

على ان مجرى الحياة الثقافية كان عرضة لتيارات متعاكسة . ففي العهد الحميدي ما بين عام (١٨٧٦ — ١٩٠٩) ازدادت حركة الارساليات ولم تعد مقصورة على المؤسسات الاميركية والفرنسية والبريطانية فقد فتحت الابواب للبعثات الروسية والايطالية والالمانية . وكانت كل فئة تتخفى وراء عطيها التبشيري والثقافي مطامع سياسية . وكانت النتيجة ان احتضنت كل مؤسسة طائفة معينة تشاركها مذهبها [٧] . فتفرغها المسلمون لصفتها التبشيرية بصورة خاصة وكان ذلك من العوامل التي اثارت التعصب . يضاف الى ذلك ان مدارس الارساليات اخذت تستعمل لغاتها الاجنبية في تدريس العلوم نظرا لتوفر الكتب وتخلصا من حركة النقل الى اللغة العربية التي تفتقر الى المصطلحات العلمية الحديثة [٨]

---

(١) تأسست عام ١٨٦٦ وهي الجامعة الاميركية اليوم

(٢) تأسست عام ١٨٧٤ في بيروت وكانت مدرسة غزير — كسروان نواة لها (النصولي ص ٤٣)

(٣) المقدسي ص ٣ من كتابه " الاتجاهات الجديدة في الادب العربي " في كلامه عن اثر الغرب في ادبنا الحديث — مخطوط —

(٤) النصولي ص ٤٤

(٥) المقتطف — مجلد ٧ ص ٣٨٧ جاء فيها انها انشئت عام ١٨٣٤ وجرت فيها تحسينات عام ١٨٣٦ و ١٨٥٧ ولما تسلم ادارتها الدكتور فانديك احيا كثيرا من العلوم العربية بواسطة طبعه اياها في المطبعة .

(٦) تأسست عام ١٨٤٧ وطرأ عليها تحسين بارز عام ١٨٥٣ وساهمت مساهمة بارزة في نشر كثير من النصوص العربية القديمة (انطونيوس ص ٤٤)

(٧) انطونيوس ص ٩٢ (٨) المصدر نفسه ص ٩٣ — ٩٤

ومهما يكن من امر فقد اخذت المعرفة تنتشر في ديار الشام ، ونشر المعرفة بأي لغة كانت له اثره في اثارة الاذهان واخراجها من واقعها لتفتش عن اتجاه جديد . وكل حركة فكرية من حيث انها مؤثر هام لا بد ان تنتج استجابات مختلفة ايجابية وسلبية . ونعني بالايجابية الاقبال عليها والارتواء من مناهلها كما فعلت الطوائف النصرانية المختلفة باقبالها على مدارس الارساليات . واما السلبية فهي حركة النفور التي بدرت من المسلمين حيال المؤسسات الانفسة الذكر فانصرفوا الى المدارس الاهلية والمدارس الاميرية ولعلهم بذلك كانوا اقرب الى التربية العربية وكان افقهم العلمي على ضيقه " متناسبا مع الحركة القومية ... " (١) . على ان العوامل المتعددة التي ادت الى التوجيه القومي كما سنرى ، كانت سببا بارزا في تلاقي وجهات النظر المختلفة وتوحيد الجهود نحو هدف مشترك .

---

٢ — دور النشر والتوجيه : حفل القرن التاسع عشر بالحركات التحررية في ديار الغرب وتفاعلت نفحاتها في بعض الاقطار العثمانية وسرعان ما شبعت النفوس بحب الحرية ولم تر بدا من الانفجار امام الطغيان التركي . وشهدت ممتلكات الدولة العلية في اوربا صراعا بين الرجعية والتحرر في النصف الاول من القرن التاسع عشر انتهى الى استقلال الصرب واليونان بفضل يقظة الشعب ونضاله في تلك البلاد .

وهكذا جابهت الادارة العثمانية اتجاها جديدا سرت عناصره الى الشعوب التي تحكمها وكانت عاجزة عن وصف العلاج لان فاقد الشيء لا يعطيه ، فالتجأت الى سياسة المراسيم واصدرت عام ١٨٣٩ الخط الشريف (كلخانة) " ينقضي باحداث اصلاحات كثيرة منها اصلاح الادارة " (٢) . وعلى اثر حرب القرم " اصدر السلطان عام ١٨٥٦ مرسوما جديدا عرف باسم الخط الهمايوني وله قيمة خاصة لانه نص على الاعتراف القاطع بالمساواة بين جميع طوائف الامبراطورية العثمانية في طرح الضرائب وفي القضاء وحقوق الافراد وواجباتهم " (٣) . على ان هذه المراسيم لم تنته الى نتيجة عملية لان الرجعية كانت متغلغلة الى جميع مرافق الدولة . غير انها نبهت الاذهان الى ان هنالك حقوقا وواجبات بين الحاكم والمحكوم . وكانت بلاد الشام — كما قدمنا — قد اخذت تعب من ينابيع المعرفة فلا عجب ان تصغي لنداءات التحرر وان تتجاوب بدورها بعض دعاة الحرية والاستقلال .

---

(١) انطونيوس ص ٩٨ (٢) المصدر نفسه ص ٥٦
(٣) المصدر نفسه ص ٥٧

تعلقت بوادر التفتح في مهد الفتاة والنفسة الى تأسيس الجمعيات ذات الاهداف المتنوعة وبدأت الخطوة الاولى في تأسيس " الجمعية السورية " عام ١٨٤٧ " وكان هدفها ترقية العلوم ونشر الفنون وتنشيط اسبابها ، وضمت بين عداد اعضائها نخبة من الوطنيين ... كالياوجي الكبير وبطرس البستاني والدكتور مخائيل مشاقة واقتنت مكتبة قيمة ... ثم انشأت لها مجلة باسمها ... والقيت في جلساتها البالغة (٥٣) عددا محاضرات جمة منها " تعليم النساء " و " علوم العرب "(١) وهكذا نجد اتجاها لبعث امجاد العرب بالتحدث عن تراثهم والسعي الى تعليم النساء املا في انشاء جيل جديد .

على ان " الجمعية العلمية السورية " التي ظهرت الى عالم الوجود عام ١٨٥٧ كانت " اول ظاهرة من ظواهر الوعي القومي المشترك " (٢) . ومرد ذلك الى انها ضمت اعضاء من جميع الطوائف وهذا ما جعلها نقطة انطلاق في حركة البعث القومي .

تعالى من ارجاء هذه الجمعية ذلك النشيد العذب الذي يصح ان ندعوه نشيد الفجر يستصرخ النائمين الى النهوض واستقبال يوم جديد من الحياة .

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب فقد طمى الخطب حتى فاصت الركب (٣)

تلك كانت قصيدة ابراهيم اليازجي التي انشدها حوالي عام ١٨٦٩ (٤) بعد تلك الفواجع التي حلت في البلاد اثناء حوادث الستين فجاءت قصيدته هذه يهيب بالعرب الى التيقظ وينبههم الى شرور الاختلاف المذهبي ، ويندد بالادارة السيئة التي اصيبت بها البلاد ويدعوهم الى الاتحاد . بهذه القصيدة " انشدت حركة التحرر السياسي نشيدها الاول " (٥) .

وفي سبيل الاتحاد والدعوة الى التفاهم على اساس وطني بعيد عن التعصب اصدر البستاني الكبير جريدتي " نفير سورية " و " الجنان " وقد اتخذ لهذه الاخيرة شعارا يتوج صفحتها الاولى " حب الوطن من الايمان " (٦) . واوردت نوعة التحرر والتسامح على مرور الايام. ولقد سجل هذه الظاهرة كاتب فرنسي زار البلاد عام ١٨٨٢ بقوله : " ... ان روح الاستقلال منتشرة

---

(١) النصولي ص ١٠٧ — ١٠٨ (٢) انطونيوس ص ٥٤
(٣) الاعظمي ص ٤٣ — ٤٨ نجد نص القصيدة
(٤) المقدسي ص ٨٠ (٥) انطونيوس ص ٨٠
(٦) اصدر " نفير سورية على اثر حوادث عام ١٨٦٠ ، وجريدة " الجنان عام ١٨٧٠ (انطونيوس ص ٤٩ — ٥٠)

انتشارا كبيرا وقد رايت شبان المسلمين خلال اقامتي في بيروت منهمكين بتشكيل الجمعيات العاملة على تأسيس المدارس والمستشفيات والنهوض بالبلاد . وما يلفت النظر في هذه الحركة انها محررة من اى اثر للطائفية ... » (١) .

وفي تلك الحقبة تعالى صوت الكواكبي (١٨٤٩ — ١٩٠٣) يهيب بقومه الى الخروج عن واقعهم المرير ، فكان من اولئك النفر الذين تلمسوا حقيقة الداء في جسم الامة فاخذوا يصفون الدواء . لقد ادرك ما يحمله ابناء وطنه من تعصب ونزوع الى التقليد وحرص على كل قديم كفاية في نفسه واستسلام للواقع واتكال على الاخرين ... فاخذ ينبههم الى حالتهم التعيسة ويوضح لهم شر المآل الذى سينتهون اليه اذا لم يعملوا على انقاذ انفسهم من هذا البلاء العظيم (٢) .

لقد تبين للكواكبي ان اول هذه الشرور هو انقسام الامة الى طوائف متعددة فهي بحاجة الى رابطة جديدة تبعد هذه النعرات من ميدانها وتوحد الصفوف للعمل على بناء مجتمع جديد . فلنسمعه يخاطب الطوائف المختلفة بقوله « يا قوم واعني بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين ادعوكم الى تناسي الاسماء والاحقاد وما جناه الاباء والاجداد فقد كفى ما فعل ذلك على ايدى المتبرين واجلكم ان لا تهتدوا لوسائل الاتحاد وانتم المتنورون السابقون . فهذه امم استراليا واميركا قد هداها العلم لطرائق شتى واصول راسخة للاتحاد الوطني دون الديني والوفاق الجنسي دون المذهبي والارتباط السياسي دون الاداري . فما بالنا نحن لا نفتكر ان نتبع تلك الطرائق او شبهها فيقول عقلاؤنا لعشيرى الشعناء من الاعاجم والاجانب : دعونا يا هؤلاء نحن ندبر شأننا بالفصحاء ونتراحم بالاخاء ونتساوى في السراء . دعونا ندبر حياتنا الدنيا ونجعل الاديان تحكم في الاخرى فقط . دعونا نجتمع على كلمات سواء وهي : (فلتحيى الامة ، فليحيى الوطن ، فلتحيى طلقاء احراء) » (٣) .

ولا شك ان هذه الدعوة قد اوحت لفيصل كلمته الشهيرة « الدين لله والوطن للجميع » (٤).

---

(١) انطونيوس ص ١٠ نقلا عن كتاب « رحلة الى الشام » لفوميل شاروم ص ١٧١ — ١٧٢
(٢) الكواكبي — طبائع الاستبداد ص ١٠٠ — ١٠١
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٧ . ويعلق انطونيوس على حركة الكواكبي ان عنصر الابداع فيها « هو غريبة ما بين الحركة العربية والحركة الاسلامية التي تستهدف الوحدة الاسلامية والبعث الاسلامي والتي تولى جمال الدين الافغاني اثارتها ثم سخرها عبد الحميد لاغراضه الخاصة » (انطونيوس ص ٩٧)
(٤) الحصري — ميسلون ص ٧٧ يقول الحصري ان فيصل كان يكررها دائما .

لقد اخذ الكواكبي في تمجيد العرب فوصفهم بالميل الى الشورى وحب المساواة " وانهم احدى الامم لاصول المعيشة الاشتراكية " الى جانب ما يتصفون به من احترام العهود والجوار وبذل المعروف والمروءة ... (١) . ثم يدعو صراحة الى تنصيب خليفة عربي قرشي في مكة (٢) . وهكذا نجد هذا المصلح العربي الجليل لا يرتضي لامته غير التفرد بالسيادة وتفرالد من الخلافة العثمانية ليستأنف العرب سيرهم في معارج الرقي والتقدم .

ولم تقتصر صرخة التحرر على الانطلاق من ارض الوطن العربي فحسب بل عمد بعض المتنورين العرب الى اطلاقها من العواصم الاجنبية كما فعل خليل غانم مؤسس " الجمعية الوطنية العربية " سنة ١٨٩٥ في باريس ونجيب العازوري صاحب كتاب " يقظة الامة العربية في آسيا التركية " الذي اصدره بالافرنسية عام ١٩٠٥ . وفيه يحث العرب على استرداد حقوقهم المهضومة (٣) . واقل ما يقال في هذه الصرخات المذكورة انها اثارت اهتمام بالقضية العربية في اوربا (٤) . وهي الى ذلك دليل من الادلة المتعددة على حركة النهضة المباركة .

وجملة القول ان حركة النهضة قد تمثلت في اصوات المصلحين المثقفين الذين نبهوا الامة الى واقعها السيء ونفخوا فيها روحا جديدة تتسم بالدعوة الى الائتلاف ونبذ الاحقاد . وتبدو قيمة هذا النهضة بالاتجاه الى انشاء الجمعيات . وفي ذلك مقدمة هامة لمرحلة التنظيم وتعيين الاهداف بصورة واضحة .

---

٣ — دور التنظيم وتعيين الاهداف :

لا شك ان انتشار المطبوع وما رافق ذلك من صرخات المصلحين قد نبه المتنورين من رجال البلاد الى ضرورة التكتل والاتحاد للقيام بما توجبه عليهم حالة امتهم وطنهم التعيسة فاتجهت انظارهم في بادىء الامر الى انشاء الجمعيات الادبية والخيرية كما اسلفنا الا ان هذه الجمعيات كانت موسومة غالبا بالصبغة الطائفية . ولما ازدادت حركة الوعي القومي اخذ التكتل يستهدف الائتلاف بين الطوائف

---

(١) الكواكبي — ام القرى ص ١٦١ — ١٦٢ (٢) المصدر نفسه ص ١٧٢
(٣) الاعظمي ص ٤٨ — ٤٩
(٤) انطونيوس ص ١٨ حيث يذكر المؤلف في حديثه عن نجيب العازوري انه استطاع ان يفوز بمؤازرة بعض الكتاب الافرنسيين لصالح القضية العربية فاصدر مجلة شهرية باللغة الافرنسية اسمها "الاستقلال العربي " .

في سبيل غايات مشتركة ترمي الى تحسين احوال الامة عن طريق الاصلاح الاداري والسياسي وتذهب هذه الغايات احيانا الى ابعد من ذلك فتدعو الى استقلال البلاد العربية استقلالا تاما لا علاقة له بالسلطان التركي الا ان هذا الهدف العدواني الصريح بالنسبة للكيان العثماني كان يصدر على الاكثر عن الجمعيات السرية خوفا من بطش الحكام وطغيانهم .

بدأت اول حركة عربية سياسية منظمة عام ١٨٧٥ بتأسيس جمعية سرية ضمت نخبة من مفكري البلاد من مختلف الطوائف واتخذت بيروت مركزا لها وانتشرت فروعها في دمشق وطرابلس الشام وصيدا . وكانت هذه الجمعية ، في بادئ الامر ، تعتمد على نشر دعوتها السياسية الرامية الى الثورة ، عن طريق الاتصال الشخصي ثم خطت خطوة جديدة فاتخذت لصق النشرات المجهولة على الجدران في الشوارع وسيلة لنشر اهدافها . وكانت هذه النشرات تهاجم مساوئ الحكم التركي وتحث العرب على الثورة للتخلص منه .(١)

وتحدد احدى هذه النشرات ، التي الصقت على الجدران في ليلة ٣١ كانون الاول عام ١٨٨٠ برنامج هذه الجمعية . ويلخص بالنقاط الرئيسية التالية :

١ — منع الاستقلال لسورية متحدة مع لبنان
٢ — الاعتراف بالعربية كلغة رسمية للبلاد
٣ — الغاء الرقابة والقيود الاخرى التي تحول دون حرية الرأي وانتشار العلم
٤ — عدم استخدام الوحدات العسكرية العربية الا ضمن حدود بلادهم (٢)

ومن الملاحظ ان بعض هذه الاهداف كانت تتكرر في برامج اكثر الجمعيات التي تألفت فيما بعد . على ان حركة تأسيس الجمعيات ذات الاهداف السياسية لم تنشط بصورة واسعة الا بعد اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ .

تلقى العرب اعلان هذا الدستور باجلى مظاهر الفرح والابتهاج وترقبوا من ورائه اصلاحا شاملا يعم جميع ارجاء الامبراطورية العثمانية ويعيد للعرب حقوقهم المسلوبة . الا ان الانتخابات التي اعقبت الدستور قد خيبت املهم فقد كانوا يفوقون الاتراك عددا ولكن لم يعطهم سوى (٦٠) عضوا .

---

(١) انطونيوس ص ٧٩ — ٨٠
(٢) المصدر نفسه ص ٨٣ — ٨٤

في البرلمان العثماني الجديد مقابل (١٥٠) عضوا من الاتراك . ولم يكن لهم في مجلس الاعيان الذى يضم اربعين عضوا يعينهم السلطان سوى ثلاثة مقابل ستين فقط (١) .

وهكذا خابت آمال العرب ولم يصلوا للمساواة التي حلموا بها فتألفت على اثر ذلك عدة جمعيات عربية ترمي الى تحسين حالة العرب . ولكن برامجها كانت متفاوتة في اتجاهاتها ويمكننا ان نميز من خلالها ثلاثة اتجاهات اساسية :

١ — التناخي مع العثمانيين او بالاحرى مع الترك والسعي لتحسين حالة الاجزاء العربية على اساس المساواة الصحيحة بين العرب والعناصر الاخرى في المملكة العثمانية
٢ — المطالبة بالنظام اللامركزى
٣ — النزوع الى الاستقلال المطلق

يمثل الاتجاه الاول " جمعية الاخاء العربي العثماني " التي تأسست عقب اعلان الدستور اى في تلك الفترة من الابتهاج والفرح ويظهر انها كانت تؤمن ايمانا كبيرا بالدستور الجديد وتعلق عليه اكبر الامال . اما برنامجها بالنسبة الى اصلاح الحالة في البلاد العربية فقد تضمنته المادة الاولى من قانونها الاساسي ، وتتلخص باتخاذ التدابير لنشر العلوم والمعارف بين العرب والعمل على تشجيع الصناعة والزراعة والتجارة ومحاولة تحضير البدو ... " وصيانة حقوق العرب جميعا من الغدر والاعتساف وتبليغ شكاياتهم ومستدعياتهم الى مراجعها الرسمية ... " (٢) . وبعبارة اخرى كانت ترمي الى ان تجعل من نفسها صلة الوصل بين العرب والادارة المركزية لتتصدر للدفاعة عن حقوقهم ... على ان هذا الاتجاه على سلميته لم يرق للاتحاديين الذين سيطروا على مقدرات الدولة فالغوا الجمعية بجرة قلم .

وتأسس " المنتدى الادبي " عام ١٩٠٩ في الاستانة ايضا ويعتبر في غاياته امتدادا لجمعية " الاخاء العربي العثماني " . فقد اتخذ اتجاها ادبيا في ظاهر الامر ولكنه تمتع بنفوذ سياسي " فاعترف بلجنته الادارية كوسيط بين العرب والاتحاديين " (٣) . وهذا ما رمت اليه الجمعية الآنفة الذكر .

---

(١) انطونيوس ص ١٠٤
(٢) امين سعيد — الثورة العربية ج ١ ص ٧
(٣) انطونيوس ص ١٠٨

على ان وجود المنتدى الادبي كان هاما في ذاته فقد ساعد على اتساع الدعوة العربية بواسطة الفروع التي انشئت له في مختلف بلاد الشام والعراق ٠

ولما حاول الاتحاديون صبغ الامبراطورية العثمانية بالصبغة التركية ، وبسط اجراء الدولة بسطا مركزيا محكما ، شعر العرب بالضربة الموجهة الى الكيان العربي والى اللغة العربية بالدرجة الاولى ، فاخذوا يطالبون بنظام اللامركزية في الحكم لحفظ لغتهم وكيانهم ٠

يمثل هذا الاتجاه على درجات متفاوتة من الوضوح كل الجمعيات الاخرى العلنية منها والسرية التي تألفت ما بين ١٩٠٩ — ١٩١٤ "كالجمعية القحطانية" (١) و "جمعية العهد" (٢) و "العربية الفتاة" (٣) و "حزب اللامركزية" (٤) و "الجمعية الاصلاحية" (٥) وسواها وكلها ترمي الى توحيد الكيان العربي دون ان يؤدي ذلك الى الانفصال التام عن الامبراطورية العثمانية ٠ واتجهت الانظار الى تحويل المملكة العثمانية الى مملكة ذات تاج مزدوج كما كانت الحال بين النمسا والمجر ٠ ويخيل الي ان هذا الاتجاه الذي كان يدعمه عاملان اساسيان : اولهما قوة النزعة الاسلامية التي كانت تتمسك بالخلافة العثمانية ٠ والعامل الثاني هو الرغبة في المحافظة على مظاهر القوة خوفا من مطامع الاجانب ٠

---

(١) و (٢) "الجمعية القحطانية" جمعية سرية تأسست عام ١٩٠٩ وترمي الى تحويل المملكة العثمانية الى تاج مزدوج على غرار النمسا والمجر ثم حدث ما اوقف نشاطها ٠ وفي عام ١٩١٣ تأسست "جمعية العهد" وتعتبر امتدادا للجمعية القحطانية على انها كانت مطبوعة بالطابع العسكري ٠ ومن الملاحظ ان اعضاء هاتين الجمعيتين كان جلهم من الضباط السوريين والعراقيين ٠ (امين سعيد — الثورة العربية ج ١ ص ١٠ وفي المصدر نفسه ص ٤٦ — ٤٧ نجد تصريح جمعية العهد ٠ وانطونيوس ص ١١٠ يتكلم عن الجمعية القحطانية ٠)

(٣) جمعية سرية تأسست في باريس ثم انتقلت الى سورية عام ١٩١٢ وكانت تعمل "للنهوض بالامة العربية الى مصاف الامم الحية دون الانفصال عن الحكم التركي على ان هذا البرنامج تعدل بعد اعلان الحرب العظمى فاتجهت النية نحو العمل لاستقلال بلاد العرب ٠٠٠ (امين سعيد — الثورة العربية ج ١ ص ٩

(٤) و (٥) "حزب اللامركزية" تأسس في القاهرة عام ١٩١٢ ونجد ان اسم الحزب يحدد هدفه الرئيسي وقد امتاز بحسن التنظيم وانتشرت فروعه في بلاد الشام والعراق (امين سعيد — الثورة العربية ج ١ ص ١٤ — ١٨ نجد نص دستور هذا الحزب) اما "الجمعية الاصلاحية" التي تأسست في بيروت فلم تكن الا ادعا للاتجاه الذي سلكه حزب اللامركزية (انطونيوس ص ١١٣ — ١١٤)

اما الاتجاه الثالث اى الانفصال النهائي عن الحكم التركي فلم يبرز بصورة جلية الا بعد اعلان الحرب العالمية الاولى وما رافقها من طغيان الاتراك وتنكيلهم باحرار العرب . وكان ذلك نقطة الانطلاق لاعلان الثورة كما سنرى . يلخص هذه الاتجاهات المختلفة التي اشرنا اليها ما قاله الدكتور عبد الرحمن شهبندر : " اما النهضة العربية فكان هدفها ارادة لامركزية تحفظ للغة العربية كيانها وتقضي ببقاء جزء من الموارد الحكومية في البلدان العربية ليصرف على شؤون التعليم والمشروعات الاقتصادية المحلية . ولكن الشقاق البست النهضة العربية ثوبا جديدا فجعلتها جامعة قومية سياسية ..." (١) .

بلغت حركة التنظيم وتعيين الاهداف مرحلتها الاساسية في الغاية التي استهدفها مؤتمر باريس عام ١٩١٣ من توحيد جهود العاملين من مختلف الهيئات لتحقيق الاماني العربية .

ثم عقد المؤتمر في ١٨ حزيران ١٩١٣ ولقد تجلى فيه التضامن الوطني وانتفت عنه الصبغة الطائفية (٢) وكشفت مقرراته عن نزعة العرب الى التحرر من العسف التركي ومن اى تدخل اجنبي آخر والى الاشتراك في الادارة المركزية اشتراكا فعليا (٣) اى ان المؤتمرين لم يفكروا بالانفصال النهائي عن الخلافة العثمانية وانما اكدوا رغبتهم بالنظام اللامركزي (٤) . وهكذا نرى ان مقررات المؤتمر كانت دعما للبرامج التي اعلنتها الجمعيات المختلفة ... ولا حاجة الى القول ان الاتراك قد توجسوا خيفة من هذا المؤتمر الخطير وبعث الاتحاديين الى باريس يحاول تسوية الامور فقال للمؤتمرين الوعود لتحقيق الاماني العربية ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق . واعتبر الاتراك ان المسألة قضية فردية فاخذوا يستميلون بعض زعماء المؤتمر عن طريق اسناد الوظائف اليهم (٥) .

بلغت حركة الجمعيات اوجها في تلك الاثناء وكانت دلائل صدى الاستحسان في كل قطر من الاقطار العربية ولا سيما في بلاد الشام والعراق لوجود فروع لها في تلك البقاع بالاضافة الى عدد من الصحف العربية التي كانت تؤيدها في مواقفها الاصلاحية (٦) . ولقد قابل العرب مواقف الاتحاديين بالاستنكار ولكن سرعان ما انفجرت الحرب ودفعت بالقافلة العربية نحو اتجاه جديد ...

---

(١) المقتطف المجلد ٧٩ اكتوبر ١٩٣١ ص ٢١٩
(٢) حوراني — ص ٤٠ يشير الى تساوي عدد المندوبين من المسلمين والنصارى في مؤتمر باريس
(٣) امين سعيد — الثورة العربية ج ١ ص ٢٩
(٤) حوراني ص ٤٠ (٥) انطونيوس ص ١١٧
(٦) امين سعيد — الثورة العربية ج ١ ص ١١ — ١٢

٤ — دور العمل : الثورة العربية

لقد كانت هنالك جمعيات عربية لها برامج واهداف ، ومع ان فكرة الثورة كانت تتردد احيانا ، الا ان هذا الاتجاه لم يكن قد اتخذ مجراه بصورة جدية الى اذهان المشتغلين بالقضية العربية قبل نشوب الحرب العالمية الاولى .

كان العرب الى جانب حرصهم على التخلص من النير التركي ، يتوجسون خيفة من التدخل الاجنبي ونتائجه . ولم تكن نوايا الغرب خافية عليهم ولذلك اتجهت الانظار في بدء الحرب الى تأييد الدولة العثمانية والسير في ركابها (١) لان كل ما يصيب الترك من خذلان معناه تدخل الاجانب في مقدرات البلاد العربية ، ما دام العرب يدورون في فلك الدولة العلية في ذلك الوقت .

لا شك ان هذا الموقف يكشف عن نوعة بعض المفكرين من العرب الى التخوف من كل تسلط خارجي ، على ان وجود الحكم التركي في حد ذاته معناه استمرار العرب على ما هم عليه من تابعية واضطراب في الاوضاع ولذلك كانوا يرضون — في داخليتهم — في انتهاب فرصة الحرب لتحقيق امنيتهم الكبرى في التحرر والاستقلال . ولما تبينت لهم امكانية الاتفاق مع حليف قوى يعاهدهم ويقدم لهم الضمانات الكافية لاستقلال البلاد العربية استقلالا تاما يبعدها عن اى تدخل اجنبي كهبوا للوقوف في وجه الاتراك املا في تحقيق غاياتهم .

ليس قيام الثورة في اى بلد كان وليد عامل واحد ومهيئات ان تكون اسبابها بنت الساعة ، وانما هي نتيجة تأثيرات تراكمية تؤدي الى الضغط فالانفجار . وحديث الثورة العربية لا يخرج عن هذا السياق . هنالك عاملان اساسيان قادا الى هذا العمل الايجابي البارز : اولهما استمرار السياسة الرجعية التي سلكتها تركيا حيال البلاد العربية وتوجها الاتحاديون اخيرا بنزعتهم العنصرية . والعامل الثاني تعرض البلاد العربية ، وخاصة ديار الشام ، للمؤثرات الخارجية التي ادت الى تحسين الاحوال بعض الشيء . وبعبارة اخرى لقد شعر العرب بالكابوس الذى اثقل كاهلهم طوال اربعة قرون . ولا شك ان هنالك عوامل شخصية واخرى محلية قد ذرت قرنها في هذا الميدان (٢) ،

---

(١) انطونيوس ص ١٥٥ جاء ذكر الرسائل التي بعث بها مرزعلي الى اعضاء جمعية العهد طالبا اليهم الوقوف بجانب تركيا ما داموا غير حائزين على ضمانة قوية تهدد مخاوفهم من اطماع اوربا . وجاء في المصدر نفسه ص ١٥٣ ان جمعية الفتاة قد اتخذت قرارا مماثلا في هذا الشأن

(٢) من العوامل الشخصية نزعة الحسين الى السلطان فقد كان يطالب بجعل امارة مكة وراثية في اولاده الى جانب مطالبته بتطبيق النظام اللامركزي في سورية . وكان يعمل على المدافعة عن حقوق العرب كطلبه العفو عن المتهمين السياسيين (امين سعيد ـ الثورة العربية ج ١ ص ١١١) ومن العوامل المحلية ما عاناه الحجاز من حصار بحري في بدء الحرب مما اضعف موارد الحج .

بالاضافة الى تكبيل جمال باشا بالوطنيين العرب في سورية والحكم على فريق منهم بالاعدام ، مما ساعد على اندلاع الثورة وتغذيتها .

لم يتردد العرب في تأييد الدولة العثمانية في بدء الحرب ، خوفا من المطامع الاجنبية كما ذكرنا ولقد رافق الحذر والتكتم الشديد كل خطوة خطوها في مراسلاتهم مع الانكليز للوصول الى الضمانات الكافية التي تكفل لهم ما يبتغون من حرية واستقلال .

انتهت مفاوضات الحسين — مكماهون بتأكيد العرب ، على لسان الشريف ، تأكيدا قاطعا على رغبتهم في جمع الاقطار العربية في آسيا في كيان موحد ولم يقروا بالتحفظات التي ابدتها بريطانيا فيما يتعلق بالساحل السوري ، على ان الحسين رغبة منه في انهاء المفاوضات والتفرغ للعمل قد سلم لانكلترا ببعض الامتيازات المؤقتة في العراق ، مقابل شروط حددها لهم ، مع تأكيده القاطع على عروبة هذا القطر(١).

ان الشروط التي اعتمدها الحسين اساسا لمفاوضاته مع الانجليز ، والتي تتلخص بطلب الاعتراف باستقلال البلاد العربية في آسيا ، قد اشترك في اعدادها اعضاء جمعيتي الفتاة والعهد (٢) وهذا ما يكشف لنا على ان فكرة الثورة كانت قد اتخذت مجراها الى اذهان رجال الهيئات المنظمة بفعل عوامل الحرب المختلفة . وهي بذلك قد اكتسبت صفة عامة تؤيد في تهمتها فقد جاءت معبرة الى حد ما عن امانى رجالات العرب العاملين في الحقل الوطني في بلاد الشام والعراق والحجاز ايضا .

شعر جمال باشا بحدة التوتر بين العرب والترك وكانت سورية تضم فرقا عسكرية عديدة تحت قيادة الضباط العرب المتحمسين لقضية بلادهم فاسرع الى ابعادهم قسما للمستقبل . وثابر جمال باشا على سياسة الضغط والارهاب فعانت البلاد في عهده الويلات من البؤس والشقاء وانتشرت المجاعة وخاصة في لبنان وهذا ما اقعدها عن القيام بالثورة في ميدانها الفعلي .

اعلنت الثورة في الحجاز في ١٠ حزيران ١٩١٦ " وقام باعبائها ، رجال من مختلف الاقطار العربية ، فكان بينهم السوري والعراقي والفلسطيني والحجازي ، وكان بينهم المسلم والمسيحي " (٣) . ولقد تجلت فيها روح التضامن والعروبة واستطاع فيصل واعوانه ان يسووا ما بين القبائل من ثارات واحقاد ليوجهوهم نحو الهدف المشترك حتى ان " عودة ابو تايه " شيخ قبيلة الحويطات " اقطع ١/ على نفسه العهد امام فيصل بانه من جهته يرى ان لا ثأر له الا عند الترك " (٤) .

---

(١) الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ص ٩ — ١٠
(٢) انطونيوس ص ١٥٧ — ١٥٨ (٣) الحصري — مسلون ص ٧٢
(٤) انطونيوس ص ٢٢٠

لقد لاقت الثورة احسن الصدى في الاجواء العربية [١]. وحققت كثيرا من الانتصارات في البداية وقطعت على الاتراك طريق الاتصال باليمن وشلت كثيرا من حركاتهم ولم تلبث ان اندفعت شمالا وتوجت انتصاراتها باحتلال العقبة في يوليو عام ١٩١٧[٢] وانطلق المجاهدون بعد ذلك يعدون العدة لتحرير دمشق. وساهموا مساهمة فعالة في دعم جيوش الحلفاء اقربها اللورد اللنبي فوصف مساعدة العرب بانها لا تقدر بثمن [٣].

في تلك الغمرة من الفوز انكشفت للملأ نوايا الحلفاء ومؤامراتهم لبسط السيطرة على بعض البقاع العربية وتجلى ذلك باتفاق " سايكس — بيكو " ووعد " بلفور " . فاضطربت الدوائر العربية واوشكت الاحتجاجات والانتصارات [٤]. الا ان الثورة قد استأنفت نشاطها بعد ان حصل العرب على بعض التصريحات المطمئنة . وسارت قوافل المجاهدين تخط صفحة جديدة في تاريخ النضال القومي . ودخلت دمشق في الاول من اكتوبر عام ١٩١٨ بين مظاهر الابتهاج والفرح التي غمرت البلاد باجمعها .

" ان وصول جيوش الثورة الى دمشق قد قوبل في جميع انحاء سورية بحماسة كبيرة ، وصارت المدن السورية ترفع الاعلام العربية ، وتعلن التحاقها بالثورة ، وانضمامها لاوامر القيادة العربية ، حتى قبل ان تصل اليها كتيبة من كتائب الجيش العربي ... حتى المدن اللبنانية نفسها قد اشتركت في هذه الحركة ورفعت الرايات العربية على الدوائر الحكومية والدور الخصوصية والقيادة المذكورة لم تحتج الى شيء سوى ايفاد ضابط او ضابطين مع نفر من الجنود الى المدن المهمة بغية تنظيم الحركة فيها " [٥]

ان ثورة العرب هذه تشكل نقطة انطلاق هامة في تاريخ العرب القومي . وهي ذات دلالة واضحة على عبقرية النضال الكامنة في النفس العربية . على ان مراحلها المختلفة وما رافقها من عوامل داخلية وخارجية تكشف عن نواح عديدة من عقلية العرب سيأتي الكلام عنها عند بحث " طبيعة اليقظة العربية " في ختام هذا الفصل .

---

(١) انطونيوس ص ٢٠٤ — ٢٠٥ يذكر ان العراق والشام كانتا تحت ضغط تركي عنيف فلم تلق الثورة صدى آنيا هنالك . على ان كبار شيوخ القبائل في الجزيرة قد اعلنوا تأييدهم لها في اجتماع عقدوه في الكويت بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩١٦ خطب فيه ابن السعود داعيا للانضواء تحت لواء الثورة . وقد كل من ابن الرشيد والامام يحيى كثيرا من الاعوان لارتباطهما بالترك .

(٢) المصدر نفسه ص ٢١٦ (٣) المصدر نفسه ص ٣١٠

(٤) سيأتي الكلام عن موقف العرب من هذه الاتفاقات والوعود

(٥) الحصري — مسلون ص ٧٣ — ٧٤

٥ — موقف العرب من المطامع الاجنبية قبل فرض الانتداب على البلاد :

لم تقم الثورة العربية التي اتينا على ذكرها الا نتيجة لرغبة العرب في التحرر من اى سلطان اجنبي ... ولكن ما كادت هذه الامنية تسير في طريق التحقيق حتى اعترضتها المطامع الاجنبية المختلفة وبدأت امام العرب مرحلة جديدة من النضال لم تنته حتى الان .

ان الصراع بين طموح العرب الى التحرر ونزعة الغرب الى الاستعمار ، قد تنوعت مراحله باختلاف الاوضاع في البلاد العربية فاستهدفت ثورة ١٩١٦ تحرير الكيان العربي من النير التركي . ولكن لما جاء الانتداب بعلن سيطرته ، لم تذهب فكرة الوحدة العربية من الصدور الا ان وجهة الكفاح قد انصبت للتحرر محليا من المستعمرين بعد ان قسمت البلاد الى مناطق نفوذ مختلفة . فالغرض الان ان نتناول المرحلة الاولى من هذا الصراع قبل ان يصبح الانتداب شرعة تقليدية اقرها الطامعون (١) من بناة عصبة الامم باسم الارشاد والمساعدة .

امام العرب دفعة من التصاريح والوعود الدولية تدعم موقفهم في الميدان السياسي بصرف النظر عن حق الشعوب الطبيعي بالحرية والاستقلال اوحق تقرير المصير الذى اعلنه الرئيس ويلسن : هنالك مذكرات الحسيني — مكماهون ، والتصريح الموجه للسوريين السبعة في ١٦ يونيو ١٩١٨ ، ثم التصريح البريطاني — الافرنسي في ٧ نوفمبر ١٩١٨ (٢) وكلها تعلن ان للعرب الحق في تقرير مصيرهم وليس للحلفاء اى مطمع ينال من استقلال العرب او يحد من حريتهم . على ان الحوادث المتتالية قد كشفت النقاب عن الاطماع الاستعمارية بصورة واضحة فاصيب العرب بخيبة امل كبيرة عبروا عنها بصور مختلفة اتخذت احيانا طابع الاذعان والهدوء فلجأ العاملون في الحقل الوطني للمفاوضات السياسية . ولكن هذه الخيبة لم تلق اخيرا ما يعبر عنها في ذلك الوقت سوى الثورة التي لم تخل منها بقعة من بقاع الشام والعراق ومصر ايضا .

جاء التصريح الموجه الى السوريين السبعة (٣) نتيجة للضجة التي اثارها وعد " بلفور " واتفاق " سايكس بيكو " ويعتبر هذا التصريح ضغطا جديدا يدعم كل جهد حيك للنيل من حقوق

---

(١) ايرلند ص ٢٦٣ يذكر صريحا للورد كرزن وزير الخارجية البريطانية بتاريخ ٢٥ يونيو ١٩٢٠ بقيد ان الانتداب لم يكن الا وسيلة لتوزيع البلاد المفتوحة بين المنتصرين

(٢) انطونيوس ص ٤١٣ — ٤٣٦ حيث تجد نص هذه العهود .

(٣) امين سعيد — الثورة العربية ج ٢ ص ٣٨ جاء ذكر هؤلاء السبعة وهم يمثلون اللجنة العاملة لحزب الاتحاد السوري الذى نشأ في مصر عام ١٩١٨

العرب التي ناضلوا من اجلها . لقد كان بعض قادة العرب حتى تلك الساعة يثقون ثقة كبيرة بحلفائهم الانكليز بصورة خاصة او على الاصح كان الحسين قائد الثورة لا يزال يعتمد على الحكومة البريطانية في ازالة كل عقبة تقف في وجه الاماني العربية .

تطورت الحال بعد ذلك فقد مهد تحرير دمشق وحلب " الى التقاء الزعماء السوريين والعراقيين المشتركين في الثورة بزملائهم الذين اضطروا الى البقاء في بيوتهم او في المنفى وتحملوا وطأة الارهاب التركي فتبادل الطرفان الرأي بحريته واطلع قادة العرب الذين بقوا في البلاد العثمانية اخوانهم على امور كثيرة حملتهم على الشك في صدق نوايا الحلفاء " (١) . وحدث في تلك الاثناء ما حقق هذه الشكوك فقد اسقط الفرنسيون من رفع العلم العربي في بيروت يوم ٣ اكتوبر ١٩١٨ واعلان السيادة العربية فيها ، وحملوا الجنرال اللنبي على انزال العلم " فولد ذلك هيجانا في دمشق حيث عمل فيصل كل ما في وسعه على اخماد فتنة عسكرية ظهرت بوادرها بين جنده " (٢) . فاعلن على اثر ذلك التصريح البريطاني — الافرنسي الانف الذكر تهدئة للخواطر الثائرة .

لا نستطيع ان نصف موقف العرب في ذلك الوقت الا بموقف الحائر الذي عقدت لسانه الدهشة ولم يكن يترقب هذا النوع من المتناقضات . وقد نصيب كبد الحقيقة اذا قلنا ان ساسة العرب في ذلك الوقت كانوا يتصفون بالسذاجة الدبلوماسية ولم يدركوا اساليب السياسة الاوروبية التي تبرر كل وسيلة تتخذها للوصول الى غاياتها .

وضعت الحرب اوزارها وجاء موعد تنفيذ العهود وكان من الطبيعي ان يسلك العرب في هذه المرحلة طريق المفاوضات والمطالبة بتنفيذ الاتفاقات التي ابرموها مع الحلفاء . وكان فيصل ابن الحسين لولب الحركة في ذلك الوقت فتوجه الى اوربا مرتين خلال عام واحد (٣) للدفاع عن القضية العربية امام مؤتمر الصلح . وقف فيصل وجها لوجه امام المطامع الافرنسية والانكليزية وكان موقفه قويا بالنسبة للعهود المقطوعة للعرب سابقا الا ان ذلك لم يكن يفيد كثيرا للحد من النزعة الاستعمارية التي تدعمها القوة . ولقد استطاع فيصل ان يحصل على اقرار مبدأ الاستفتاء للوقوف على رغبة السكان (٤) وتم الامر

---

(١) و (٢) انطونيوس ص ٢٧٥

(٣) ذهب فيصل الى اوربا اول مرة في شهر نوفمبر ١٩١٨ لتمثيل والده في مؤتمر الصلح وانتهت رحلته بتقرير مبدأ الاستفتاء . وكانت رحلته الثانية في سبتمبر ١٩١٩ بناء على دعوة لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية وانتهت هذه الرحلة بمشروع " فيصل — كليمنصو "

(٤) امين سعيد — الثورة العربية ج ٢ ص ٢٠ — ٢١ و ص ٢٣

بعجي" لجنة "كنغ ـ كراين" التي جابت بلاد الشام للتعرف على رغبات الشعب فتأكد لها في النتيجة ان العرب لا يرضون عن استقلالهم بديلا واذا كان لا بد من وصاية او ارشاد فانهم يقبلون مساعدة الولايات المتحدة او انكلترة ولكنهم يرفضون اى اشراف من جانب فرنسا (١) وبذلك اراد العرب ان يبعدوا كل احتمال ممكن لتحقيق اتفاق "سايكس ـ بيكو".

على ان هذه النتيجة لم تؤخذ بعين الاعتبار واخذت المطامع الافرنسية والانكليزية تتكشف يوما بعد يوم واقتسم البريطانيون مناطق النفوذ مع حلفائهم الفرنسيين ضاربين صفحا عن عهودهم للعرب.

امام هذا وما واجهه فيصل من ضغط من جانب الانكليز قبل مبدأ المفاوضة مع الافرنسيين فاجرى اتفاقا موقتا مع "كليمنصو" رئيس الوزارة الفرنسية يحصر سيادة العرب في سورية في المناطق الداخلية فقط الى جانب شروط اخرى (٢) استنكرها وطن العرب وابوا قبولها (٣). وحيال ذلك الموقف قرر الرأى على مفاجأة العالم بالامر الواقع فاجتمع المؤتمر السوري الذى يمثل مختلف المناطق الشامية (٤) لتبيان موقف البلاد. واعلن المؤتمر قراره الشهير في ٨ آذار ١٩٢٠ الذى نص على استقلال البلاد "السورية بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين استقلالا تاما لا شائبة فيه على الاساس المدني النيابي وحفظ حقوق الاقلية ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين موطنا قوميا لليهود او محل هجرة لهم" (٥) ونص ايضا على تنصيب فيصل ابن الحسين ملكا على البلاد وعلى المطالبة باستقلال العراق استقلالا تاما على ان يكون بين القطرين اتحاد سياسي اقتصادى.

وفي الوقت نفسه كانت دمشق تضم عددا غير يسير من رجال العراق فعقدوا مؤتمرا "في نفس اليوم الذى عقد فيه المؤتمر السوري وقرروا اعلان استقلال العراق وملكية عبد الله ابن الحسين عليه على ان يكون متحدا سياسيا واقتصاديا مع سورية ... كان في هذا كله التوفيق للاهداف العليا للفكرة العربية والحركة القومية" (٦).

لم يلاق قرار المؤتمر اى تأييد من جانب الحلفاء سوى ان هؤلاء ثابروا على بسط سلطانهم في البلاد العربية فقرروا في ٢٥ ابريل ١٩٢٠ "في مؤتمر "سان ريمو" توزيع الانتدابات واعطى لفرنسا الانتداب على سورية ولبنان ولانكلترة على العراق وفلسطين مع شرقي الاردن" (٧).

---

(١) انطونيوس ص ٤٤٣ ـ ٤٥٥ نص تقرير لجنة "كينغ ـ كراين". وصلت اللجنة الى سورية في شهر يونيو عام ١٩١٩

(٢) امين سعيد ـ الثورة العربية ج ٢ ص ١١٩ ـ ١٢٢ نص مشروع فيصل ـ كليمنصو

(٣) المصدر نفسه ص ١٢٥ (٤) دروزة ج ١ ص ٩٧ ـ ٩٨ يورد اسماء (٩٣) عضوا من اعضاء المؤتمر مع ذكر المناطق التي يمثلونها وتشتمل على اكثر البقاع الشامية

(٥) امين سعيد ـ الثورة العربية ج ٢ ص ١٣٠ ـ ١٣٣ نص قرار المؤتمر

(٦) دروزة ج ١ ص ١١٧ (٧) المصدر نفسه ص ١٢١

و " اعلنت مقررات " سان ريمو " يوم ٥ مايس فولدت في العالم العربي شعورا جديدا هو احتقار دول الغرب ولم يكن هذا الشعور ناشئا عن انكار هدفي الوحدة والاستقلال المنشودين فحسب بل ايضا عن التكوث بالوعد الذى كان اثره اعمق وذا قيمة اكبر " (١). " اما العرب الذين ولدت مقررات سان ريمو في نفوسهم اليأس ، راحوا يضغطون على فيصل لاعلان الحرب على فرنسة " (٢).

لا شك ان تسلسل الحوادث التي شكلت بمجموعها حاجزا في وجه الاماني العربية قد ولد ثورة في نفوسهم فانتشرت حركات المقاومة في اكثر انحاء البلاد (٣). وراح الافرنسيون من جهتهم يعملون لاحراج موقف الحكومة الفيصلية في سبيل بسط سلطانهم على سورية الشمالية فكانت ميسلون يوم ٢٤ يوليو عام ١٩٢٠ التي تعتبر بدء مرحلة جديدة للصراع بين دعوتي التحرر والاستقلال والاستعمار . اما القسم الجنوبي من البلاد فقد كان الانكليز يسيطرون عليه عسكريا منذ دخولهم الى بلاد الشام .

---

٦ — طبيعة اليقظة العربية :

رأينا في الصفحات المتقدمة بعض اسباب اليقظة العربية ومظاهرها . وهي على تنوع الوانها لم تتخذ طابعا يصح ان يتصف بالشمول . ومع ان انتشار المدارس قد انتظم كثيرا من بلاد الشام الا ان بعض البيئات قد تعمت بالنصيب الاوفر منها كما كانت الحال في لبنان مثلا . ولا شك ان اليقظة العربية قد اتسمت منذ بدئها بالطابع الثقافي الذى لا يزال يلازمها . وهذه مقدمة طبيعية للنهضات القومية . و " للثقافة اثرها القوى على عقل العربي " (٤) . فمن الملاحظ ان السوق الادبية كانت رائجة في اكثر احقاب تاريخ العرب . ومن مظاهر هذه النهوة الادبية في القرن التاسع عشر والقرن الذى نعيش فيه ، انتشار الجمعيات التي جعلت هذه الناحية من اول غاياتها وعملت على العناية بالكتب كما كانت الحال في " الجمعية السورية " (٥) و " المنتدى الادبي " (٦) المار ذكرهما . ولقد قيض لبلاد الشام من ينحي هذه الظاهرة عن طريق التأليف والصحافة كما فعل البستاني واليازجيان وزيدان وصروف وغيرهم ممن عملوا في الحقل الصحافي وغذوا المكتبة العربية بمؤلفات قيمة عززت مكانة اللغة العربية التي عمل

---

(١) و (٢) انطونيوس ص ٣٠٥ — ٣٠٦

(٣) اشهر هذه الحركات : حركة النصيرية في الساحل وحركة هنانو في الشمال ثم حركة دير الزور الى غير ذلك من الثورات المتفرقة التي سنأتي على ذكرها .

(٤) خلط ص ٣٤٢ من حديث للاستاذ جورج انطونيوس

(٥) // (٧) النصولي ص ١٠٧ (٦) انطونيوس ص ١٠٨

العهد التركي على اضعافها . وكان من نتاج هذه الحركة بعض العوامل التي تناولت فترات من التاريخ العربي ونبهت الاذهان الى امجاد الامة العربية مما كان له اثر بين في تنمية الروح القومية .

ومن مظاهر هذه اليقظة فقدان روح الاستمرار في الحركات والمؤسسات التي تعهدها العرب . فمن " طبيعة المزاج العربي تصور اى عمل كان في شكل وثبات متفرقة لا بصورة جهد مستمر ؛ ولهذا كان تاريخ حركة العرب القومية سجلا لفجوات ناشطة تتخللها فترات استجمام " (١) . وخير مثال على هذه الظاهرة قيام بعض الجمعيات وانحلالها بسرعة " لان الجمعيات الوطنية في ديارنا تقوم على سواعد بعض الافراد دون الجماعة بكاملها ؛ فاذا ما اصاب هذه الكتلة العاملة شلل اوهنها ؛ سارت الجمعية سريعا الى الهلاك " (٢) .

ومن هذه اليقظة ايضا سعي المثقفين الى ازالة التعصب الديني وهذا ما دعا اليه اكثر المصلحين فتأسست جمعيات تضم عناصر مختلفة تتجه في غاياتها وجهة وطنية . وبعد ان كانت البلاد تئن من روح التعصب الذى ازداد بفعل بعض الحوادث كحركات السنين مثلا ؛ انتهى الامر الى جعل محاربة هذه الروح هدفا لكل مثقف فمنذ " اواخر القرن التاسع عشر ... قلما ترى اديبا او مفكرا لا يدعو الى الوئام وحسن التفاهم والقضاء على النعرات الهدامة " (٣) . وقد برهنت الحركات التنظيمية والجمعيات المختلفة التي اضطلع العرب باعبائها على الاتجاه نحو الرابطة القومية . ولا نكران في ان الثورة العربية كانت كما قال فيصل " الضربة الاولى على سياسة التعصب الذميمة فالعرب حاربوا الترك المصلحين لانهم كانوا ظالمين " (٤) . ولكننا نظلم الحقيقة اذا نفينا وجود التعصب الديني نفيا باتا في ذلك الوقت ؛ لان اكثرية الشعب كانت جاهلة ولم تكن تفرق بين التعصب وبين جوهر الدين .

ونلمس من مظاهر هذه اليقظة بعض الوان التنظيم والثبات على المبدأ والتضحية بين صفوف العاملين في الحقل الوطني . وقد ادى الى هذه الظاهرة شعور هؤلاء المصلحين بحقيقة الوضع السيء الذى تعانيه البلاد وما عليه الشعب من تفكك وتواكل واندماج في جو من الخرافات والتقاليد البالية (٥) . وكان

---

(١) انطونيوس ص ٨٩ (٢) الفصولي ١٠٨
(٣) المقدسي — الاتجاهات فصل " النزعات الروحية ص ١
(٤) الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ص ١٥
(٥) الكواكبي — طبائع الاستبداد ص ١٠٠ — ١٠١

من الطبيعي ان يكون التنظيم والتضحية اول ما يفكر به العاملون لاصلاح هذه الحال . ومن شواهد هذه الظاهرة ما كانت عليه جمعية الفتاة من تنظيم دقيق لا يدع اى مجال للعناصر الضعيفة بالتسرب اليها . وكان الانتساب الى الجمعية المذكورة يتبع سلسلة من الترتيبات ولا يتم " الا بعد ان يمر الراغب بدور تجربة طويل ويتوقف على هذه التجربة ؛ وكان لكل مرشح جديد عضو محلف قديم يتولى تقديمه فلا يعرف المرشح غيره من اعضاء ويظل يجهلهم حتى يجتاز دور التجربة بنجاح وعندئذ يدعى الى حلف اليمين فيقسم ان يعمل على تحقيق غايات الجمعية ولو ادى ذلك عند اللزوم الى بذل حياته في خدمتها " (١) ولقد برهن الشهداء على هذه الروح عندما سيقوا الى ساحة الاعدام فتمثلت فيهم رباطة الجأش وساروا الى الموت هاتفين بحياة بلادهم (٢) دون ان يحاول احدهم كسب حياته من طريق افشاء بعض الاسرار (٣) .

ومن ظواهر هذه اليقظة نمو العلاقات المختلفة مع الغرب وما انتج ذلك من استجابات مختلفة . فانتشار المدارس في القرن التاسع عشر ؛ وما رافقه من نشاط ادبي وفزوع الى الاصلاح ؛ يعتبر من نتائج هذا الاحتكاك . على ان روح الاستقلال الغربية وفكرة الاستعمار المستحوذة على اوربا قد ادتا في النهاية الى النظر للغرب نظرة الشك والريبة ان لم نقل نظرة المقت والازدراء . وهذا ما تجلى بوضوح في البلاد العربية بعد ان تعامى الحلفاء عن عهودهم التي قطعوها للعرب . ولكن هذه الروح لم تمنع العرب من التزود من بعض نواحي الحضارة الغربية مما سنأتي على ذكره في مكان آخر من هذا البحث . وان شعور العرب تجاه الغرب قد مر في مرحلتين : مرحلة الوثوق والتعاون التي لم تخل من الحذر ومرحلة العداء بعد الحرب الكبرى . على ان هذه النظرة الثانية لم تكن شاملة شمولا مطلقا فقد كان هنالك من لا يزال يميل الى التعاون مع بعض البلدان الاوربية اعتقادا منه بفائدة هذا التعاون .

ومن مظاهر الروح القومية في هذه اليقظة توجهها الى تأسيس كيان عربي موحد يشمل الاقطار العربية في آسيا وكان من المحتمل ان تكون هذه النزعة اشمل من ذلك ولكن واقع الاجواء العربية في

---

(١) انطونيوس ص ١١٢

(٢) امين سعيد — الثورة العربية ج ١ ص ٨٣ — ٩٣ يصف موقف الشهداء قبل اعدامهم

(٣) انطونيوس ص ١٨٧ ذكر موقف الشهيد محمد المحمصاني الذي لوح له بالعفو فضل التعذيب ثم الموت على افشاء سر وجود جمعية الفتاة .

افريقيا لم يكن يشجع على تبادل النشاط والاماني في ذلك الوقت . وكذلك فقد كانت الوحدة العربية المطلقة متعذرة التحقق ، في نظر بعض الوطنيين ، لما كانت عليه الاجزاء العربية من تفاوت في مستوى الحياة وامكانيات التقدم فاتجهت الانظار الى انشاء عدد من الدول العربية المستقلة على ان ترتبط فيما بينها ارتباطا اقتصاديا وسياسيا (١) .

ومن الملاحظ في حقل الحركة القومية ان من العوامل المساعدة على النهضة في ذلك الوقت " وجود طبقة من الوطنيين بعضهم من الاثرياء والملاكين وبعضهم من الطبقة المتوسطة المتنورة ... وكانت [هذه النهضة] تقتصر على هاتين الطبقتين في اول الامر ولم تنتشر بين عامة الشعب الا منذ الحرب العامة " (٢) .

ويقابل هذه النزعة القومية المنفتحة تتغلغل الروح الاسلامية بين طبقات الشعب وهذا ما جعل المصلحين في اول الامر يقصرون مطالبهم على النظام اللامركزي من الحكم على ان يبقى الارتباط بنظام الخلافة العثمانية تمشيا مع رغبات الشعب . ولكن هذه الروح كانت قد تنبهت الى مواطن الجمود في هذا الارتباط بفعل صرخات المصلحين امثال الافغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي الذي كان يدعو الى خلافة عربية اسلامية الى جانب دعوته الى الاتحاد بين الطوائف على اساس وطني كما اسلفنا . وهكذا نجد ان روح التسامح قد بدأت تتسرب تدريجيا لتحد من نزعة التعصب التي كانت تسيطر في بعض اوساط الامة .

وجملة القول ان اليقظة العربية قد اتصفت بطابعين اساسيين اولهما الطابع الثقافي الذي كان مقدمة طبيعية للبعث القومي وثانيهما اقتصار الحركة القومية والاصلاحية على فئة معينة من ابناء الامة على ان بعض اوساط الشعب كانت تشارك هذه الفئة شعورها الطيب مشاركة تجلت في استقبال جيوش الثورة استقبالا حافلا بالشعور الوطني . اما باقي الصيحات فلم تكن الا نتيجة لنمو الطابع الاول ولما اتصفت به فئة المذكورة من اتجاه تنظيمي ، وتوجيه قومي بعيد عن التعصب .

---

(١) امين سعيد — الثورة العربية ج ٢ ص ٢٨ و ص ١٣٣
(٢) حداد وكرد علي ص ٣٤٦

الفصل الثاني

الاتجاه السياسي

تمهيد : كان توحيد البلاد العربية في آسيا وتحريرها من كل تسلط اجنبي اول الاهداف التي رمت اليها الثورة العربية عام ١٩١٦ . ولما وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها وتطلع العرب الى اختطاف ثمرة نضالهم ، حالت الاطماع الانكليزية والافرنسية دون تحقيق ذلك . وقضت مقررات سان ريمو[١] بتقسيم بلاد الشام بين فرنسا وانكلترا فاختصت الاولى بالقسم الشمالي من البلاد وبضم سورية ولبنان[٢] وسيطرت الثانية على القسم الجنوبي الذي يشمل فلسطين وشرقي الاردن[٣] .

سلكت فرنسا في سورية ولبنان سياسة " فرق تسد " لتأمين مصالحها ولذلك اتجهت نحو غايتين " اولا مجابهة تيار القومية العربية التي تستهدف الاستقلال التام . وثانيا تقسية العناصر الموالية لها تقليديا او التي يحتمل ولاؤها كالمسيحيين والعلويين والاكراد واقليات اخرى وعملت على تقوية مركز لبنان ازاء الداخل "[٤] .

قسمت فرنسا البلاد السورية في اول الامر الى اربع دويلات[٥] عدا لواء الاسكندرونة[٦] واعلنت قيام دولة لبنان الكبير في اول سبتمبر عام ١٩٢٠ . وكانت حيال بعض الحركات والاحتجاجات تعمد الى

---

(١) حصل مؤتمر سان ريمو في ٢٥ ابريل ١٩٢٠ واقر مجلس عصبة الامم صك الانتداب في ٢٤ يوليو ١٩٢٢ على ان الصفة العملية للانتداب قد بدأت عند دخول الجيوش الاجنبية الى البلاد .

(٢) — المقصود " بسورية " هنا البقعة نفسها التي تؤلف الجمهورية السورية الآن بالاضافة الى لواء الاسكندرونة وكذلك لفظة "لبنان" تعني الرقعة التي تؤلف الجمهورية اللبنانية بحدودها الحالية . وسنستعمل اللفظتين بهذه الصفة خلال هذا البحث .

(٣) تفيد لفظة " فلسطين " هنا الرقعة التي تمتد من حدود لبنان الجنوبية حتى الحدود المصرية وتساير حدودها الشرقية مجرى الاردن وسواحل البحر الميت . اما بلاد " شرقي الاردن " فهي ما تبقى من بلاد الشام الى الشرق من نهر الاردن .

(٤) حوراني ص ١٦٧ (٥) دولة دمشق واعلن قيامها يوم ٣ دسمبر ١٩٢٠ . ودولة حلب وكان قيامها بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٢٠ . ودولة العلويين التي تقرر تأسيسها يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٢٠ ثم حكومة جبل الدروز التي تشكلت في ٥ ابريل ١٩٢١ .

(٦) ظل لواء الاسكندرونة جزءا من دولة حلب حتى صيف ١٩٢٤ ثم اصبح يتمتع بنظام اداري وطني خاص .

ربط هذه الدويلات باتحاد شكلي [١] على ان هذه الحلول لم تكن كافية لارضاء اغلبية السكان الذين يعملون لوحدة بلادهم واستقلالها [٢] ولذلك كانت البلاد عرضة للاضطراب بين حين واخر ومسرحا للحركات الثورية والنضال السلمي كما سنرى .

اما فلسطين وشرقي الاردن فلم تكن حالهما احسن حظا من سورية ولبنان . فقد منيت فلسطين الى جانب الانتداب بفكرة الوطن القومي لليهود الذي كفله صك الانتداب [٣] . وحكمت البلاد حكما ثنائيا تقريبا اشترك فيه اليهود الى جانب البريطانيين بواسطة وكالتهم التي اتخذت طابعا رسميا بخولها المساهمة في توجيه سياسة البلاد لصالح الحركة الصهيونية [٤] . وهذا ما جعل فلسطين ميدانا للانتفاضات الثورية المتعددة .

اما شرقي الاردن فقد اعتلى كرسي الحكم فيها عبد الله ابن الحسين (الملك عبد الله الان) في ظل الانتداب البريطاني . وكانت هذه البقعة ايضا عرضة لتقلبات سياسية وحركات وطنية تستهدف حرية البلاد واستقلالها .

استمر الانتداب على هذه البقاع فترة ما بين الحربين العالميتين . ولكن الحرب العالمية الثانية كانت فرصة لتحقيق بعض الاماني القومية كما حدث في سورية ولبنان وشرقي الاردن .

جابه العرب خلال هذه الفترة عددا من المشاكل واتجهوا اتجاهات مختلفة املا في التحرر والاستقلال ولقد تباينت هذه الاتجاهات تبعا لتباين السياسة بين بقعة واخرى . يضاف الى ذلك عدد من المؤثرات السياسية والحضارية التي دخلت البلاد عن طريق الصحافة وازدياد حركة التعليم .
ويمكننا ان نركز هذه المشاكل والاتجاهات بالامور الاساسية التالية :

١ — مشكلة الانتداب

٢ — مشكلة فلسطين

٣ — مشكلة الاسكندرونة

---

(١) كالاتحاد الذي حدث في ٢٢ يونيو ١٩٢٢ بموجب قرار من الجنرال غورو بين دول دمشق وحلب والعلويين (امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٢٣٣) ثم الغي هذا الاتحاد في ٥ دسمبر عام ١٩٢٤ وتقرر توحيد دولتي حلب ودمشق باسم " الدولة السورية " (المصدر نفسه ص ٢٤٠)

(٢) جولييس ص ١٨٢

(٣) طبارة ص ٢٤١ المادة الثانية من صك الانتداب على فلسطين

(٤) المصدر نفسه ص ٢٤٢ المادة الرابعة من الصك نفسه .

٤ — التوجهات السياسية المختلفة ومظاهرها

٥ — طبيعة هذا الاتجاه السياسي

١ — تشكيلة الانتداب :

جاء الانتداب مخالفا لرغبات السكان بصورة عامة ولذلك لم يتركوا فرصة تمر دون ان يختتموها لمجابهته والتعبير عن رفضهم في الحرية والاستقلال . على ان بعض الاحوال قد تباينت بين جزء واخر من اجزاء البلاد تبعا للتقسيمات السياسية ولذلك سنتناول موقف العرب من الانتداب في كل من هذه الاجزاء الرئيسية على حدة .

الانتداب في سورية : لم تمض ايام على معركة ميسلون التي حدثت يوم ٢٤ يوليو ١٩٢٠ حتى كانت القوات الافرنسية منتشرة في مختلف انحاء سورية . ولكن مقاومة الاحتلال الفرنسي قد بدأت قبل ذلك التاريخ معبرة عن استعداد السكان للنضال المسلح في سبيل استقلال بلادهم " ولم يجر استقرار الانتداب الا بتدفق الدماء فمنذ معركة ميسلون تميزت كل سنة سبقت عام ١٩٢٥ بثورة محلية "(١) .

اتخذت مقاومة الانتداب في سورية عددا من المظاهر المختلفة تتدرج من الاحتجاج السلمي والتظاهر الشعبي الى الثورة المسلحة . وتميزت السنوات الاولى بقيام عدد من الثورات المتلاحقة . ولعل مرد ذلك ان الحوضين الافرنسيين في بدء العهد كانوا كلهم من العسكريين (٢) فقبل العنف بالعنف . ومنذ نهاية الثورة السورية عام ١٩٢٧ غدا الاتجاه لمجابهة الانتداب اكثر سلمية فحدثت محاولات بين الفريقين للتظاهم انتهت بمعاهدة ١٩٣٦ التي لم يقدر لها البقاء فدفنت قبل ان توضع موضع التنفيذ بصورة عملية .

قام في سورية عدد من الفتن والثورات التي مهما قيل في اسبابها المحلية الضيقة فقد كانت تعبيرا عن شعور الاستياء من السلطان الاجنبي والتطلع نحو الحرية وتستطيع القول ان روح المقاومة التي كانت كامنة في النفوس تتحين الفرصة للانفجار . ففي اغسطس ١٩٢٠ ثار الحوارنة وقتلوا وزيرين (٣) من

---

(١) رباط ص ٢٢

(٢) وهم : الجنرال غورو ٨ اكتوبر ١٩١٩ — ١ مايو ١٩٢٣
الجنرال ويغان ٩ مايو ١٩٢٣ — ٢ يناير ١٩٢٥
الجنرال سراي ٢ يناير ١٩٢٥ — ٢ دسمبر ١٩٢٥

(٣) رباط ص ٢٢ والوزيرين هما علاء الدين الدروبي وعبد الرحمن اليوسف

الوطنيين الذين قبلوا التعاون مع الاجنبي . وفي الوقت نفسه هب ابراهيم هنانو [١] في الجنوب الغربي من حلب يقود ثورة مسلحة استطاعت السيطرة على عدد من الاماكن واعلن الزعيم هنانو بالشيخ صالح العلي [٢] الذي اضرم ثورة في جبال العلويين وتعاونت قوات الفريقين على مجابهة الاجنبي . وقبل ان تأخذ هذه الحركات طريقها الى السكون ظهرت حركة في دير الزور لمقاومة الفرنسيين ايضا [٣] . وهكذا كانت مجابهة الاحتلال الافرنسي شاملة اكثر البقاع السورية .

وفي ٢٢ يونيو ١٩٢١ وقع اعتداء على الجنرال غورو اثناء مروره في القنيطرة ادى الى مقتل احد مرافقيه [٤] وكان من ذيول هذه الحركة قيام سلطان باشا الاطرش بثورته الاولى [٥] في ٢٢ يوليو ١٩٢٢ التي شغلت الافرنسيين بعض الوقت . وفي تصريح للجنرال سراي انه " قد قامت في سورية وحدها سنة ١٩٢٢ خمس وثلاثون ثورة ودفن فيها من الجيش خمسة آلاف جندي " [٦] .

يستطيع المدقق في هذه الحركات ان يجد لها اسبابا مباشرة املتها التقاليد المحلية او قامت على اثارتها بعض العوامل العادية ، ولكن روح مقاومة الاجنبي والتطلع الى الخلاص من القيود التي فرضها على البلاد ، كانت العامل الاول في جميع هذه الحركات .

يقابل هذا النشاط المسلح الذي انتظم الاطراف ما كان يحدث في المدن من انتفاضات وطنية تفتقها المناسبات المختلفة . ففي ٢ ابريل ١٩٢٢ زار المستر كراين عضو لجنة الاستفتاء المشهورة مدينة دمشق ، وطاف احياء المدينة بدعوة من رؤسائها . وكانت الاماني الوطنية نفسها التي لمسها الاستفتاء هي ما سمعه في هذه المرة يتردد على كل لسان . ولما عزم المستر كراين على مغادرة المدينة شيعه السكان بمظاهرة كبيرة هتفت فيها الجماهير بسقوط الخونة والانتداب [٧] . على ان هذه الانتفاضة

---

(١) بدأ حركته عقب سقوط الدولة الفيصلية واستولى على عدد من المدن كالمعرة وادلب وجسر الشغور ودامت ثورته حتى يوليو ١٩٢١ (امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٢٤٧)

(٢) قام بثورته في اوائل ١٩١٩ واشترك معه فريق من رجال عشائر المتاورة والكلبية والخياطين والحدادين (الشريف ص ١١٠) ودامت ثورته حتى شهر يونيو ١٩٢١

(٣) و (٤) رياط ص ٢٢

(٥) كان سببها المباشر اقدام هتجر المتهم باطلاق الرصاص على الجنرال غورو الى بيت سلطان باشا الاطرش الذي كان قائما فالقت السلطة القبض على اقدم هتجر واسرعت في محاكمته واعدامه فاعتبر سلطان باشا هذا الامر اهانة له وللتقاليد العربية التي تثار على الضيف وتسعى لحمايته والتي ابت السلطة الافرنسية مراعاتها (امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٢٥٧ — ٢٥٨)

(٦) المصدر نفسه ص ٢٦٠ (٧) المصدر نفسه ص ٢٥١

الوطنية السلمية قد كلفت دمشق اعلان الاحكام العرفية واعتقال عدد من الزعماء الذين حكم عليهم بالسجن من قبل الديوان العرفي بمدد تتراوح بين خمس سنوات وعشرين سنة [١]. ولم تمر هذه الحركة دون ان تترك صدى واسعا في الاوساط الوطنية في الخارج . فقد اخذت هذه الاوساط تبدي نشاطا ملحوظا لاثارة المطالب الوطنية وتشرح للعالم الخارجي ما يرتكبه الافرنسيون في سورية من اعمال تتنافى مع التعهدات الدولية [٢] .

ولما قام اللورد بلفور صاحب الوعد المشهور بزيارة دمشق في ابريل ١٩٢٥ احاطت السلطة الافرنسية لهذه الزيارة ومع ذلك فقد سارت الجماهير " تنادي بسقوطه وسقوط الانتداب الفرنسوي وتهتف للحرية والاستقلال " [٣] .

هذه الحوادث المختلفة التي اتينا على ذكرها تعبر بوضوح عن الروح الوطنية الكامنة في النفوس والتي تتفتق تبعا للمناسبات كما ذكرنا . على ان هذه الحركات كان ينقصها التنظيم لتشكل سلسلة مترابطة الحلقات تتجه نحو هدف واحد . ولكن التجارب قد نبهت العاملين في الحقل الوطني للقيام بحركات اكثر تنظيما من ذي قبل . فلما عين الجنرال سراي مفوضا ساميا جاءه وفود الوطنيين تعرض عليه مطاليبها التي تستهدف استقلال البلاد ووحدتها وترمي الى تنظيم مرافق الدولة تنظيما يتفق مع هذا الهدف [٤] . وفي تلك الاثناء انشأ الوطنيون " حزب الشعب " وهو اول حزب سياسي وسمي قام في سورية بعد الاحتلال الافرنسي وكان له اثره في الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ .

نشبت هذه الثورة بقيادة سلطان باشا الاطرش في يوليو عام ١٩٢٥ وقد بدت في اول الامر كغيرها من الثورات متلفعة في ظاهرها بالطابع المحلي وكان سببها المباشر ما لاقاه سكان جبل الدروز من استبداد الحاكم الافرنسي الكابتن كربيه . ولكن النقمة على الحكام الافرنسيين وتصرفاتهم كانت عامة فاتسع نطاق الثورة حتى شمل " سائر مناطق الجبل والغوطة والقلمون ووادي التيم وحماه واطراف حمص " [٥] واشترك فيها

---

(١) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٢٥٤

(٢) كان فريق من الزعماء السوريين قد التجأ الى مصر على اثر الاحتلال الافرنسي . وقد عقد مؤتمر سوري فلسطيني في جنيف في اول سبتمبر ١٩٢١ طالب باستقلال البلاد والغاء الانتداب . وانتخب لجنة تنفيذية لملاحقة القضية السورية . وجعل مقرها في القاهرة كما عين وفدا دائميا في جنيف (حداد وكرد علي ص ٣٦٦) وكانت هذه الهيئات تنتهز الفرص لاثارة القضايا الوطنية .

(٣) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٢٩٣

(٤) سنعود لتفصيل ذلك عند الكلام عن التوطئات السياسية المختلفة

(٥) حداد وكرد علي ص ٣٦٧ . ولا بد من الملاحظة ان وادي التيم كان تابعا سياسيا للبنان .

الكثيرون من شباب البلاد وعدد من رجال حزب الشعب الآنف الذكر [١] وعلى راسهم الدكتور عبد الرحمن شهبندر .

استطاع الثوار ان يسجلوا عددا من الانتصارات مما اضطر الحكومة الافرنسية الى تبديل القيادة والى تغيير المفوض السامي الافرنسي نفسه [٢] . واعترف الافرنسيون بالنضال العنيف الذى ابداه السوريون فجاء في تقريرهم عن حالة البلاد عام ١٩٢٦ اى اثناء الثورة " ان تنفيذ الانتداب في سورية قد لاقى كل ما في روح التقاليد الشرقية من قوة المقاومة " [٣] .

اتخذت الثورة شعارا لها الكلمة التي تعود فيصل ترديدها " الاستقلال يؤخذ ولا يعطى " [٤] الى جانب الرمز المشهور " الحرية والمساواة والاخاء " [٥] واتجهت الانظار بصورة عامة الى الوصول بسورية الى الاستقلال والحرية والى ذلك تشير الكاتبة الافرنسية مدام جوليس في قولها : " المسلمون في سورية اليوم على اختلاف مذاهبهم والمسيحيون على اختلاف كنائسهم يسيرون جميعا او على الاقل يتجه تسعة اعشارهم الى هدف واحد وهو : سورية مستقلة مرتكزة على حكومة قوية مستقرة " [٦]

دامت الثورة حوالي عامين كاملين وحصلت اخر معاركها في الغوطة في اغسطس ١٩٢٧ [٧] ولقد توسل الافرنسيون الى اخمادها بشتى انواع العنف والضغط وتكبدوا خسائر بالغة في الرجال والعتاد . ولقد كلفت سورية آلاف الارواح التي بذلها ابناؤها في سبيل استقلال بلادهم كما كلفتها تدمير عدد من احياء دمشق بقنابل مدافع الافرنسيين وطائراتهم [٨] بالاضافة الى ما حل في كثير من قرى الغوطة والجبل وما اصاب مدينة حماه من سلب وتقتيل . " على ان ذلك الجهاد القوى والضحايا العزيزة ، والعزيمة

---

(١) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٣٠٩ يذكر ان السلطة على اثر قيام الثورة اعتقلت الهيئة الادارية لحزب الشعب واغلقت ناديه وصادرت اوراقه

(٢) على اثر انكسار الجنرال ميشو في موقعة الغزوة استدعته الحكومة الافرنسية وعينت مكانه الجنرال ساراى قائدا للجيش الافرنسي في الشرق (المصدر نفسه ص ٣٢١) وكذلك عينت الحكومة الافرنسية المسيو دى جوفنيل مفوضا ساميا بدل الجنرال سراى في مطلع عام ١٩٢٦

(٣) تقرير لجنة الانتداب عن عام ١٩٢٦ ص ٨

(٤) امين سعيد — الثورة العربية ج ٢ ص ١٥٠ (٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣١٥

(٦) جوليس ص ١٨٢ قد نشر حديثها هذا في مجلة الاقتدار " المستقبل " في ٣ دسمبر ١٩٢٦

(٧) حداد وكرد علي ص ٣٧٠

(٨) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٣٣٤ — ٣٣٩ وصف ما حل بدمشق .

القومية لم تكن لتذهب سدى فقد كان ذلك كله دلالة ... على قوة الروح القومية في الشعب السوري وتقديره قيمة الحرية ... والاستقلال ... كما كان لها صدى قوى في الاوساط السياسية العالمية ، وكان مادة فياضة للاحتجاجات والدعاية التي قام بها رجال الحركة في الخارج وسندا لا يتضب استمدت منه الحركة الوطنية في الداخل في الادوار التالية لها قوة وعزيمة ... » (١) .

بدأت بانتهاء الثورة مرحلة جديدة من النضال تقوم على الاتصالات السياسية بين الوطنيين والافرنسيين لعقد اتفاق بين الطرفين . وكانت هذه الاتصالات مدعومة غالبا بالتظاهرات الشعبية والاضراب عن العمل مما جعل البلاد في حالة توتر مستمر . ولقد حاول الافرنسيون من جهتهم ان يتوسلوا ببعض الوطنيين الذين قبلوا التعاون معهم للوصول الى حل يؤمن استقرار الحالة في سورية . وكان المسيو دى جوفنيل اول مفوض سام مدني عينته فرنسا للبلاد وكانت الثورة لا تزال قائمة فاجتمع قبل دخوله الى سورية " بالوفد السوري في باريس بما فيهم اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني في القاهرة بوفود البلاد السورية في بيروت فرأى اجماعا تاما على المطالبة باستقلال البلاد ووحدتها » (٢) .

تشكلت في عهد دى جوفنيل حكومة الداماد احمد نامي باك في ابريل ١٩٢٦ ولكن برنامجها الوطني (٣) لم ينفذ . وفي فبراير ١٩٢٨ عهد المسيو بونسو الذى خلف دى جوفنيل في منصب المفوض السامي (٤) الى الشيخ تاج الدين الحسني بتأليف الوزارة واجراء انتخابات في البلاد . وقد تم ذلك في ابريل ١٩٢٨ وفاز الوطنيون الذين تسموا منذ ذلك الوقت بالكتلة الوطنية (٥) .

وضعت الجمعية التأسيسية المنبثقة عن الانتخابات المذكورة دستورا للبلاد على اساس السيادة القومية مؤلفا من ١١٥ مادة فلم يرض عنه الافرنسيون وعطلوا الحياة الدستورية . وفي ٢٢ مارس ١٩٣٠ اعلن المسيو بونسو الدستور الجديد بعد ان قيده باضافة المادة ١١٦ التي ربطت تنفيذ مواد الدستور ببنود صك الانتداب (٦) . ولم يرحب الوطنيون بهذا الحل وازدادت حالة التوتر وخاصة عندما بدأت الانتخابات للمجلس النيابي في ٢٠ دسمبر ١٩٣١ " فحصلت الاضطرابات الدامية في دمشق وحمص وحماه

---

(١) دروزة ج ٢ ص ٤٠ (٢) حداد وكرد علي ص ٣٧٠

(٣) الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ص ١٧١ — ١٧٢ نص البيان الذى اذاعته حكومة الداماد

(٤) ظل المسيو بونسو مفوضا ساميا في سورية ولبنان من ١٢ اكتوبر عام ١٩٢٦ الى ١٢ اكتوبر عام ١٩٣٣

(٥) دروزة ج ٢ ص ٤٦

(٦) المصدر نفسه ج ٢ ص ٤٥ نجد نص هذه المادة

بسبب تدخل الافرنسيين ولذلك توقفت [الانتخابات] حتى ابريل ١٩٣٢ فثار الوطنيون ". (١) .

ازاء هذه الاوضاع المضطربة تضاربت الاراء بين العاملين في الحقل الوطني حول السبيل الذي يجب اتباعه لتحقيق امالي البلاد ففريق رأى " ان لا امل في الحصول على الاستقلال الا باستعمال القوة . وهناك اخرون كانوا يأملون — بواسطة المفاوضة مع فرنسا — في الحصول على معاهدة شبيهة بالمعاهدة العراقية — الانكليزية المعقودة عام ١٩٣٠ ... ولكن الاغلبية كانت تؤيد المفاوضة اذا تبين ان المفاوضة مثمرة ، وكانت مصممة على الالتجاء الى العنف اذا كان ذلك اكثر فائدة او كان الطريق الوحيد لتأمين اغراضها " (٢) .

وفي ٧ يونيو ١٩٣٢ اجتمع المجلس النيابي الجديد وانتخب محمد علي العابد رئيسا للجمهورية (٣) وتألفت الوزارة برئاسة حقي العظم ... وتوالت الايام دون الوصول الى نتيجة حاسمة ترضي الفريقين السوري والافرنسي . وفي يوليو ١٩٣٣ تسلم الكونت دي مارتيل منصب المفوض السامي بدلا من مسيو بونسو وعرض مشروع معاهدة رفضها المجلس النيابي لانها تتنافى مع مطالب البلاد القومية معطل الافرنسيون الحياة الدستورية كرة اخرى ...

وفي مارس ١٩٣٤ عهد بتأليف الوزارة الى الشيخ تاج الدين الحسني . على ان كل هذه التعديلات والتغييرات لم تكن لتؤمن الاستقرار المنشود بل كانت الروح الوطنية في حالة تحفز دائم لمعاودة النشاط عندما تحين الفرص المناسبة .

بدأت الانتفاضة الجديدة على اثر وفاة الزعيم هنانو في اواخر عام ١٩٣٥ . وفي ١٠ يناير عام ١٩٣٦ اقامت الكتلة الوطنية حفلة في دمشق لاحياء ذكراه اعلنت فيها منهاجا وطنيا يلخص مطالب البلاد ...
وحدث بعد ايام ان اضربت دمشق بسبب مقاطعة شركة الكهرباء فعمدت السلطة الافرنسية الى اعتقال بعض الوطنيين وتوترت الحال واتسع نطاق الاضراب حتى شمل معظم المدن السورية ودام ما يقرب من شهرين . وعلى اثر ذلك تألفت حكومة انتقالية رضي عنها الوطنيون برئاسة عطا الايوبي . وفي مطلع اذار تم الاتفاق بين هاشم الاتاسي رئيس الكتلة الوطنية والكونت دي مارتيل على تأليف وفد وطني يقصد باريس لعقد معاهدة مع فرنسا (٥)

اسفرت المفاوضات بين الوفد السوري والحكومة الافرنسية عن عقد معاهدة حققت بعض الاماني الوطنية وفي الواقع لقد لاقت صدى طيبا في اكثر انحاء البلاد "ببدأ عهد يبعث في النفوس الاستبشار والتفاؤل "(٦) .

---

(١) حداد وكرد علي ص ٣٧٢ (٢) حوراني ص ١٧٩
(٣) وهو اول رئيس للجمهورية السورية (٤) الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ص ١٧٣ — ١٧٧ نص المشروع
(٥) رياط ص ٢٨ — ٤٢١ حوراني ص ١٩١
(٦) دورزة ج ٢ ص ٥٢

تسلمت الكتلة الوطنية مقاليد الحكم بعد ان تم لها الفوز بالانتخابات في كانون الاول ١٩٣٦ وقامت بتصديق المعاهدة من قبل المجلس ولكن سرعان ما تلبد الجو السياسي بالغيوم فحدث عدد من الحركات الانفصالية بتشجيع الافرنسيين في مناطق متعددة من البلاد [١] على ان المشكلة الرئيسية التي برزت على المسرح في ذلك العهد كان مشكلة الاسكندرونة التي سنتناولها بالبحث على حدة .

لم تكن فترة ما بين ١٩٣٦ — ١٩٣٩ الا امتدادا لعهد الانتداب لان المعاهدة الانفة الذكر لم توضع موضع التنفيذ بصورة عملية . وهكذا بقيت البلاد في حالة صراع مع الاجنبي وفشلت كل المحاولات التي قامت لتسوية القضية السورية وحمل فرنسا على ابرام المعاهدة [٢] واخيرا غادر الوطنيون الحكم في السابع من يوليو ١٩٣٩ وعادت البلاد الى ما كانت عليه ايام الانتداب [٣] . الا ان قيام الحرب العالمية الثانية قد هيأ لسورية الفرصة لتحقيق وحدتها واستقلالها .

الانتداب في لبنان : اتجه اللبنانيون الى تقرير مصير بلادهم عقب الحرب العالمية الاولى اتجاهات مختلفة . ففريق رأى ان " وضع لبنان تحت حماية او وصاية ... يكون بمثابة تقهقر في سبيل الحرية ولا تقبله اغلبية اللبنانيين " [٤] . ومن رأي هذا الفريق ان يحتفظ لبنان بكيان خاص دون اى ارتباط بجارته سورية .[٥] . وفريق رحب بالانتداب الافرنسي على اساس " تقاليد الولاء المتبادل منذ قرون بين فرنسا ولبنان " [٦] كما ذكر كليمنصو في كتابه الى المطران الحويك . فقد ذهب المطران المذكور على رأس وفد الى باريس في يناير عام ١٩١٩ وطالب بانشاء دولة لبنان الكبير تحت حماية فرنسا . وهنالك فريق ثالث رأى رفض الانتداب والعمل على اقامة كيان لبناني مستقل محايد مع افساح المجال لايجاد علاقات اقتصادية مع سوريا . ويتجلى هذا الراى بقرار مجلس ادارة لبنان (المتصرفية) الذى اتخذه في العاشر من يوليو ١٩٢٠ [٧] . على ان هذه الاراء المتضاربة لم تكن بحركات عملية تدعمها ولكن الانتداب جاء محققا لرغبات الفريق الثاني .

---

(١) دروزة ج ٢ ص ٥٢ — ٥٧ اشارة الى الحركات التي حصلت في الجزيرة الفراتية وجبل الدروز ومنطقة العلويين .

(٢) عجلت هذه المحاولات بالرحلتين اللتين قام بهما جميل مردم رئيس الوزارة السورية الى باريس لتسوية القضية ولم تسفر محاولاته عن نتيجة عملية (حوراني ص ٢١٧ — ٢١٨)

(٣) استقال هاشم الاتاسي من رئاسة الجمهورية في السابع من يوليو ١٩٣٩ وعلى اثر ذلك اعاد المندوب الافرنسي الوضع في جبل الدروز ومنطقة اللاذقية الى ما كان عليه قبل معاهدة ١٩٣٦ (حوراني ص ٢٢٨)

(٤) لبنان بعد الحرب ص ١٠٩ (٥) المصدر نفسه ص ١١٠

(٦) امين سعيد — الثورة العربية ج ٢ ص ٨٥

(٧) خيار ج ٢ ص ١٨١ — ١٨٢ وامين سعيد — الثورة العربية ج ٢ ص ١٥٧ — ١٥٨ نص هذا القرار

اعلن الجنرال غورو قيام دولة لبنان الكبير في مطلع سبتمبر ١٩٢٠ وفي ٢٣ مايس ١٩٢٦ اعلنت الجمهورية اللبنانية وتعاقب على رئاستها سبعة رؤساء منذ ذلك التاريخ حتى الان [١] ولا حاجة الى القول ان دستور هذه الجمهورية كما اقر عند قيامها كان ينص صراحة على التقيد بصك الانتداب [٢] .

وفي عام ١٩٣٦ عندما وقعت المعاهدة السورية الافرنسية ، طالب اللبنانيون بمعاهدة مماثلة سرعان ما تم الاتفاق عليها بين الرئيس اميل اده والكونت دي مارتيل في ١٧ دجنبر ١٩٣٦ [٣] .

قد يبدو من هذا العرض السريع ان اللبنانيين جميعهم راوا في الانتداب املهم المنشود . وفي الواقع ان ايام الانتداب الافرنسي في لبنان لا يمكن ان تقاس بايامه في سورية . فقد اتصفت بالهدوء النسبي وان كانت لا تخلو من بعض حركات التمرد [٤] . على ان الحركة الاساسية التي يصح ان تعتبر مجابهة لسلطان الانتداب انما هي رغبة سكان المقاطعات التي ضمت الى لبنان (المتصرفية) في الالتحاق بسورية ، وكانت هذه الرغبة مجالا للاثارة بين حين واخر . واتخذت مجابهة الانتداب طابعا طائفيا . فالموارنة يرون في فرنسة حامية طبيعية لهم من طغيان المسلمين والمسلمون بدورهم كانوا يرون ان كيانهم مفقود ببقائهم في الاطار اللبناني وهذا ما سنتحدث عنه عند الكلام عن النزعات السياسية المختلفة .

الانتداب في فلسطين وشرقي الاردن : كان الانتداب في فلسطين ذا طابع مزدوج كما ذكرنا ولذلك افردنا للمشكلة الفلسطينية بحثا خاصا لانها تجاوزت النطاق المحلي .

اما شرقي الاردن فقد انتقلت عمليا الى النفوذ البريطاني عقب خروج الملك فيصل من دمشق وانشئت فيها ، في اول الامر ، حكومات محلية في عجلون والسلط وعمان والكرك بالاتفاق مع شيوخ القبائل والسلطات الانكليزية التي عينت مستشارا خاصا لكل من هذه الحكومات [٥] . وفي تلك الاثناء ظهر عبد الله بن الحسين على المسرح وشاءت الظروف الدولية آنذاك ان يستعين به البريطانيون لحكم شرقي الاردن فاستندت اليه امارتها وتقرر ذلك في اجتماع له مع المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية في ٢٨ مارس ١٩٢١ [٦] .

---

(١) وهم : شارل دباس ، حبيب باشا السعد ، اميل اده ، الفرد نقاش ، ايوب ثابت ، الدكتور بترو طراد ثم الشيخ بشارة خليل الخوري الرئيس الحالي .

(٢) المادة ٩ من دستور عام ١٩٢٦ وقد الغيت هذه المادة ومواد غيرها من دستور لبنان عام ١٩٤٣ .

(٣) الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ص ٢٠٣ — ٢٠٧ نص المعاهدة مع ملحقاتها

(٤) رياط ص ٢٣ يشير الى حركات التمرد التي حصلت في الشوف عام ١٩٢٣ وفي البقاع عام ١٩٢٤

(٥) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٨ (٦) المصدر نفسه ص ١٢ وكان اجتماعهما في القدس .

الحق شرقي الاردن بسلطات الانتداب في فلسطين ولكنها استثنيت من تطبيق وعد بلفور .
وكان اول تصريح رسمي اصدرته انكلترا بشأنها التصريح الذي القاه السر هربرت صموئيل في عمان بتاريخ ٢٤ ايار سنة ١٩٢٣ وينص على الاعتراف " بوجود حكومة مستقلة في شرقي الاردن برئاسة الامير عبد الله ابن الحسيني بشرط ان تكون حكومة ... دستورية تمكن حكومة جلالة الملك [البريطاني] من القيام بتعهداتها الدولية فيما يتعلق بتلك البلاد وذلك باتفاق يعقد بين الحكومتين " (١) .

ويظهر ان هذا التصريح لم يكن كافيا لتأمين الاستقرار فنشبت في البلاد حركة مسلحة في اغسطس عام ١٩٢٤ (٢) اقلقت بال البريطانيين وكان الامير عبد الله يؤدي فريضة الحج في تلك الاثناء فما ان عاد الى بلاده حتى فاجأه الانكليز بانذار يتضمن مطالب عديدة جردته من سلطته الادارية ووضعت مالية البلاد تحت رقابة بريطانية بدون قيد ولا شرط . فلم يستطع الامير ان يرفض ذلك " وسجل قبوله بهذه الجملة انا لله وانا اليه راجعون " (٣) .

تضمن التصريح الانف الذكر اشارة الى امكانية عقد معاهدة بين الفريقين البريطاني والاردني ولكن لم يتم ذلك الا في ٢٠ فبراير ١٩٢٨ . ونصت هذه المعاهدة في مادتها الثانية ان السلطتين التشريعية والادارية يقوم بهما الامير بمساعدة حكومته ولكن المادة الرابعة ربطت قوانين البلاد وانظمتها بالتزامات الانتداب (٤) . واعقب هذه المعاهدة وضع دستور للبلاد بالاتفاق بين دار الامارة والسلطة البريطانية ونشر يوم ١٦ ابريل ١٩٢٨ (٥) . وعلى اثر اعلان نصوص المعاهدة ونشر الدستور تنادى الوطنيون الى عقد مؤتمر عام وتم ذلك في ٢٥ يوليو ١٩٢٨ في مدينة عمان ووضعوا ميثاقا وطنيا طالبوا فيه بالاستقلال التام لشرقي الاردن وعدم الاعتراف بمبدأ الانتداب الا كمساعدة فنية دولية (٦) . ولما اجريت الانتخابات على اساس الدستور الانف الذكر لم يشترك فيها سوى ٦ بالمئة من مجموع السكان (٧) " وتتابعت المؤتمرات دون ان تغير شيئا من الوضع الراهن " (٨) . ولكن في يونيو ١٩٣٤ طرأ تعديل طفيف على معاهدة ١٩٢٨ (٩) وظلت البلاد على هذا الوضع السياسي الى ما بعد الحرب العالمية الثانية .

---

(١) الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ص ٢٣٤ — ٢٣٦ نص هذا التصريح
(٢) و (٣) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٢٣
(٤) الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ص ٢٤٣ — ٢٤٩ نص هذه المعاهدة
(٥) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٣١
(٦) الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ص ٢٣٩ — ٢٤١ نص الميثاق الذي وضعه المؤتمر الاردني
(٧) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٣٦ (٨) حداد وكرد علي ص ٤٠١
(٩) الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ص ٢٥٠ — ٢٥١ نص التعديل

وهكذا نجد ان مجابهة الانتداب في شرقي الاردن قد ارتدت طابعا سلميا تمثل بالاضراب عن الانتخابات كما تجلى بالاحتجاجات والمؤتمرات المخططة ولكنه لم يصل الى الحال التي قامت في سورية . وقد يصح لنا ان نرجع ذلك الى موقف الامارة السالم من السلطة الانكليزية وقبولها الاتفاق والتعاقد معها بالاضافة الى ان البلاد لم تكن قد بلغت درجة من النضج السياسي تمكنها من السير في طريق اكثر تنظيما نحو اهدافها .

٢ — مشكلة فلسطين :

صدر وعد بلفور[١] والثورة العربية سائرة في طريقها فاثار "حيرة وخوفا يائسا في البلاد العربية المتصلة بالحلفاء اتصالا مباشرا وحتى بين اولئك الذين كانوا يجهلون تعهدات بريطانيا للعرب فسر الوعد على انه انكارا لحرية العرب السياسية في فلسطين "[٢] . وقلق الحسين قائد الثورة للامر ولكن البريطانيين لم يبالغوه الوعد على حقيقته فكان جوابه للمستر هوغارث احد رؤساء المكتب العربي في القاهرة انه اذا "كان وعد بلفور يستهدف ايجاد ملجأ لليهود من الاضطهاد فانه ببذل كل نفوذه لتحقيق هذه الغاية .. ولكنه اوضح بشكل لا يقبل الشك انه لا يتنازل عن حق العرب في السيادة "[٣] . و "كانت فلسطين في نظر العرب اقليما عربيا وجزءا لا يتجزأ من سورية فوجب ان تبقى ضمن المنطقة العربية المستقلة ، واما كونها بلدا تقدسه ثلاثة من اديان العالم وبضم الاماكن المقدسة فانه يعطيها صفة خاصة يحرص العرب على احترامها والمحافظة عليها بالشكل العادل على اساس يتفق عليه مع جميع الطوائف ذات العلاقة ، والعرب يرحبون بمقدم اليهود واقامتهم في فلسطين اذا كانت هجرتهم نتيجة لدوافع انسانية وعلى شرط التقيد بما تفرضه مصلحة السكان الحاليين وحقوقهم السياسية والاقتصادية . هذه باختصار آراء الكثرة من العرب"[٤] عند نهاية الحرب العالمية الاولى . على ان مراعي وعد بلفور اخذت تتضح تدريجيا امام العرب فلما قدمت اللجنة الصهيونية الى فلسطين في ابريل سنة ١٩١٨ اقام لها حاكم القدس البريطاني مأدبة رسمية حضرها مفتي القدس الذي ادرك من الاحاديث التي دارت حقيقة المقاصد الصهيونية فانسحب من المأدبة

---

(١) صدر بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩١٧ وجاء فيه : "ان حكومة جلالته [اي جلالة ملك بريطانيا] تنظر بعين الارتياح الى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي وستبذل اطيب مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية وليكن معلوما بجلاء انه لن يعمل شيء من شأنه ان يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين او بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في اي بلد اخر والمركز السياسي الذي حصلوا عليه" (انطونيوس ص ٢٦٦ — ٢٦٧) ولقد تمسكت الحكومة البريطانية بهذا الوعد في كل تصاريحها التي صدرت بعد ذلك بشأن القضية الفلسطينية .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦٧ (٣) المصدر نفسه ص ٢٦٨

(٤) المصدر نفسه ص ٢٨٥ — ٢٨٦

احتجاجا على ذلك [١] ومنذ ذلك الحين خطا الفلسطينيون خطوة منظمة للدفاع عن كيان بلادهم فالفوا في كل مدينة من مدنها جمعية ضمت كبار مسلميهم ومسيحييهم لمقاومة الخطر الصهيوني ... واطلقوا عليها اسم الجمعيات الاسلامية المسيحية » [٢] .

ايجه نشاط الفلسطينيين والعرب بصورة عامة ، قبل اقرار الانتداب بشكل نهائي ، الى عقد المؤتمرات وتشكيل الوفود لتبيان موقفهم الصريح من وعد بلفور ولمجابهة الخطر الذي يهدد بلادهم . ولقد اجمعت هذه المؤتمرات التي اقيمت والوفود التي ارسلت على رفض الوعد المذكور والمطالبة بالاعتراف باستقلال سورية جميعها ومن ضمنها فلسطين [٣] . والى جانب ذلك نشبت عدة اضطرابات وفتن مسلحة كان منشؤها غالبا تدفق الهجرة اليهودية على البلاد وطابع التحدي الذي كان يسلكه احد الفريقين تجاه الاخر فاعلنت الاحكام العرفية في فلسطين وجاءت لجنة تحقيق انكليزية برئاسة المستر توماس هاى كرافت التي اقرت بحقيقة الشعور العربي العام ضد الصهيونية [٤] .

ولما اعلن الانتداب البريطاني على فلسطين بصورة رسمية في ٢٤ يوليو ١٩٢٢ اتخذ الصراع طابعا جديدا واتجهت الانظار الى عدم التعاون مع الانكليز فرفض العرب مشروع الوكالة العربية الذي عرض عليهم كما قاطعوا الانتخابات التي اراد الانكليز اجراءها في البلاد [٦] .

اتخذ الصراع بين العرب واليهود ، في اكثر مراحله ، طابعا دينيا وقوميا في آن واحد ، ولا تعدو الحقيقة اذا قلنا ان الشعور الديني كان العامل الاول في اثارة النفوس للبذل والتضحية ولذلك فقد غدت قضية فلسطين مشكلة كل قطر عربي كما تلاقت عندها عواطف المسلمين في اكثر اقطار العالم . وبالاضافة الى ذلك فقد اخذ الشعور الشعبي يتجلى تدريجيا في هذه القضية [٧] فالخطر لم يكن يتهدد البلاد من ناحية سياسية طارئة وانما كان خطرا في الصميم ما دامت الهجرة تتزايد [٨] والاراضي تباع .

---

(١) امين سعيد — الثورة العربية ج ٢ ص ٥٠ (٢) المصدر نفسه ص ٥١
(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٥٣ — ٥٤ يتكلم عن المؤتمرات التي عقدت لهذه الغاية
(٤) كاضطرابات القدس الاولى في ابريل ١٩٢٠ وحادث بيسان في ٢١ ابريل من العام نفسه واضطرابات يافا الاولى في اول مايو ١٩٢١ ثم اضطرابات القدس الثانية في ٢ نوفمبر ١٩٢١ (امين سعيد — الثورة العربية ص ٨٢ — ٩٨) تفصيل لذلك
(٥) المكتب العربي عن مشكلة فلسطين ص ٥١ (٦) حداد وكرد علي ص ٣٩٦
(٧) مذكراتي في جهال فلسطين ج ١ ص ١٩
(٨) محمد رفعت ص يذكر احصاءا عن هجرة اليهود — ٧٤٠٠ مهاجر عام ١٩٢٣ و ١٢٨٠٠ عام ١٩٢٤ و ٣٣٨٠٠ عام ١٩٢٥

ولقد قاد مظهر التحدي الذي ذكرناه آنفا الى فتنة يافا الثانية في شهر مارس ١٩٢٤ " ابان احتفال اليهود بعيد الساخر (بوريم) فقد كبر على الوطنيين مشاهدة الشبان اليهود يتزيون بزي رجال الدين الاسلامي ويبالغون في ازدرائه واحتقاره فحاولوا صدهم وردعهم فلم يرتدعوا فدار بين الفريقين قتال اسفر عن سقوط عدد من القتلى والجرحى " (١) .

وفي آب عام ١٩٢٩ قام اليهود بحركة اعتبرها المسلمون تحديا مباشرا لشعورهم الديني وخطرا يتهدد الاماكن المقدسة . وخلاصة ذلك ان اليهود حاولوا امتلاك حائط المبكى (البراق) (٢) " باعتباره من بقايا هيكل سليمان ووضعوا به مقاعد خشبية ورفعوا الاعلام اليهودية تمهيدا لاتخاذه كنيسا " (٣) . وقبل هذا الحادث تناهى الى اسماع العرب نبأ المؤتمر الصهيوني الذي عقد في مدينة زوريخ بين ٢٨ يوليو و ١١ اغسطس ١٩٢٩ وما قيل فيه من خطب اعتبرها العرب تحديا مباشرا لهم وجاء حادث المبكى فزاد في توتر الحالة مما ادى الى قيام ثورة دامية استمرت خمسة شهور وكان لها صدى قوي في العالمين العربي والاسلامي (٤) .

ولدت هذه الثورة نشاطا بارزا في الدوائر السياسية البريطانية وبين العاملين للقضية الفلسطينية . وكان من مظاهره تأليف لجنتين بريطانيتين قدمتا الى فلسطين على التوالي لدرس الحالة فيها . كما تألف وفد فلسطيني ذهب الى لندن لمعالجة المشكلة مع الحكومة البريطانية مباشرة . ونتج هذا النشاط عددا من التقارير والتصريحات التي لم تسفر بمجموعها عن اية فائدة للعرب . فقد اصرت الحكومة البريطانية على تمسكها بالانتداب ووعد بلفور معا (٥) .

ظلت الحالة في فلسطين في توتر مستمر (٦) وتيار الهجرة يتزايد عاما بعد عام (٧) "وفي [١٦ ابريل]

---

(١) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٩٨
(٢) تألفت لجنة بريطانية فيما بعد للنظر في ملكية البراق واقرت حق المسلمين به (المصدر نفسه ص ١٢٢)
(٣) حداد وكرد علي ص ٣ ٣٩٦
(٤) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٩١ — ١٠٥ تفصيل هذه الحركة وصداها
(٥) المصدر نفسه ص ١٠٩ — ١٢٢ يبسط مراحل هذا النشاط
(٦) نظمت في فلسطين عام ١٩٣٣ مظاهرات متتالية كانت تقام ايام الجمع في كبريات المدن (المصدر نفسه ص ١٢٤ — ١٢٨)
(٧) محمد رفعت ص ٦٧ يذكر احصاء عن تزايد الهجرة اليهودية : تراوح عدد المهاجرين بين ٤٠٠٠ في سنة ١٩٣١ و ٩٥٠٠ عام ١٩٣٣ ثم قفز عددهم الى ٤٦٠٠٠ عام ١٩٣٤ وبلغ عددهم اكثر من ٦٠٠٠٠ مهاجر عام ١٩٣٥

سنة ١٩٣٦ عندما يئس العرب من انصافهم ، اعلنوا الاضراب العام فاقفلوا متاجرهم وحوانيتهم طيلة ستة شهور كاملة " (١) اندلعت بعدها "شرارة الثورة العربية الكبرى في فلسطين ... وحاول العرب في بدئها ان يجعلوا النزاع محصورا بينهم وبين اليهود ... وسرعان ما انقلب الموقف الى صراع عنيف بين المجاهدين والحكومة البريطانية امتد قرابة ثلاث سنوات "(٢) . " وقد ظهر عطف العالم العربي على عرب فلسطين بطرق كثيرة ، حتى قبل ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ولكنه لم يصبح ذا صبغة حقيقية الا خلال تلك الثورة . ففي كبريات مدن العالم العربي شكلت لجان الدفاع عن فلسطين وجمع الناس بالاموال وتطوعوا للقتال المسلح . وفي اخريات الثورة بعد ان اعلنت الحكومة ان اللجنة العربية العليا هي هيئة غير مشروعة ، كانت الثورة في الواقع تدار من سورية ولبنان والعراق ، وما كان لها ان تستمر لولا معاضدة شعوب هذه البلدان لسها معاضدة فعلية " (٣) . ولقد تجلى في هذه الثورة نشاط الرأي العام واتجاهه نحو العمل المنظم "فاللجنة العربية العليا شكلت سنة ١٩٣٦ كنتيجة لظهور لجان محلية في المدن والقرى ظهورا تلقائيا في طول البلاد وعرضها " (٤) .

ولما جاءت لجنة اللورد بيل (٥) واقترحت تقسيم فلسطين الى مناطق عربية واخرى يهودية ازداد نشاط الرأي العام وتضخمت اخطاره الى الاخطاء التي ارتكبت في البلاد خلال الاعوام السابقة مما ادى الى بيع قسم كبير من الاراضي . واجتمع الى ذلك العامل الديني (٦) فاستأنفت الثورة نشاطها على نطاق شعبي واسع انتظم كثيرا من مناطق الريف في البلاد . ويحلل لنا المرحوم الاستاذ جورج انطونيوس وضع الثورة بعد مشروع التقسيم بقوله : " ما ثورة اليوم الا ثورة شنها القرويون وهذه الظاهرة اوسع اليوم منها في السابق ، وسبب الثورة المباشر هو مشروع التقسيم المقترح ولا سيما ذلك الجزء منه الذي يهدف الى توحيل عدد من مزارعي العرب في الصحراء ليحل محلهم الوطنيا المهاجرون للدولة الصهيونية ... وليست الادمغة المفكرة في هذه الثورة من الوطنيين لان اكثرهم في المنفى بل ان قوادها رجال من الطبقات الطبقات العاملة والمزارعة عاموا بارواحهم لاعتقادهم بان الثورة هي الوسيلة الوحيدة التي بقيت

---

(١) مغامراتي في جبال فلسطين ج ١ ص ١٦ (٢) ملحوق ص ١٣٠
(٣) المكتب العربي — مشكلة فلسطين ص ٥٤ (٤) المصدر نفسه ص ١٣٨
(٥) جاءت لجنة اللورد بيل الى فلسطين في نوفمبر ١٩٣٦ فقاطعها العرب في اول الامر ولكن الحكومتين العربية السعودية والعراق اصرتا على فلسطين بوجوب الاتصال بها ومع ذلك كانت النتيجة مشروع التقسيم (حداد وكرد علي ص ٣١٨)
(٦) مغامراتي في جبال فلسطين ج ١ ص ١٦ جاء عن هذا العامل ما يأتي : " ان قوة الايمان التي يتحلى بها الثوار عجيبة ومدهشة ، وما دام هؤلاء يتدرعون بها ويستندون على معتقداتهم الدينية باعتبارهم يقومون بواجب ديني مفروض عليهم ، فسوف لا يعرف الخوف الى قلوبهم سبيلا " .

امامهم للمحافظة على مناولهم وقراهم ... ليست الثورة بعيدة عن صنع الوطن فحسب بل هي بشكل واضح جدا ، تعد لسلطتهم وتجريم لاساليبهم فان قواد الثورة ينسبون مصيبة المزارعين في الوقت الحاضر الى اولئك الملاكين الذين باعوا اراضيهم (١) ويتهمون الوطن بالاهمال الجاني لاخلاقهم في منع البيوع اذ لم يكن للفلاحين رأى في معظم تلك البيوع التي ادت الى اخراجهم من بيوتهم / اراضيهم "(٢) .

وفي مطلع سبتمبر ١٩٣٧ عقد مؤتمر بلودان الاول للبحث في القضية الفلسطينية والذى تجلت فيه العواطف القومية المتبادلة بين الاقطار العربية . اشترك في هذا المؤتمر عدد من رجالات مصر وفلسطين وسورية والعراق وشرقي الاردن ولبنان . وتبادل المؤتمرون الخطب العاطفية التي تكشف عن توعتهم القومية ورغبتهم في التحرر من سيطرة الاجنبي (٣) . واتخذ المؤتمر عددا من المقررات اهمها :

١ — " ان فلسطين جزء لا ينفصل من اجزاء الوطن العربي
٢ — رفض ومقاومة تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية فيها
٣ — الاصرار على طلب الغاء الانتداب ووعد بلفور وعقد معاهدة مع بريطانيا تضمن للشعب العربي الفلسطيني استقلاله وسيادته ، وان تكون حكومته دستورية للاقليات فيها ما للاكثريات من الحقوق وفقا للمبادىء الدستورية ...
٤ — تأييد طلب وقف الهجرة اليهودية فاجلا واصدار تشريع يمنع انتقال الاراضي من العرب الى اليهود "(٤) ... ولقد تكررت هذه الطلبات في اكثر التصريحات التي قام بها رجالات العرب وفي المؤتمرات التي عقدت فيما بعد(٥) .

والى جانب هذه الانتفاضة القومية ابان الثورة الفلسطينية برز العامل الديني للمشاركة في معالجة المشكلة وادى ذلك الى انعقاد المؤتمر البرلماني في القاهرة في اكتوبر ١٩٣٨ من البلاد العربية والاسلامية . واقترحت في هذا المؤتمر عدة حلول للقضية الفلسطينية وهدد المؤتمرون ، اذا لم تقبل توصياتهم ، بان الشعوب العربية والاسلامية تضطر ان تعتبر موقف الانكليز واليهود منها غيرودى (٦) . وفي الوقت نفسه عقد " مؤتمر نسائي عربي لتأييد عرب فلسطين "(٧) .

---

(١) المكتب العربي — مشكلة فلسطين ص ١٤١ جاء في هذا المصدر ان قسما من الاراضي التي انتقلت لليهود كانت ملكا لبعض العائلات اللبنانية والسورية ... فلما فصلت فلسطين عن سورية قطعت صلة هؤلاء الملاكين باراضيهم فباعوها لليهود .
(٢) انطونيوس ص ٤٠٦ (٣) مؤتمر بلودان ص ١٥٤
(٤) المصدر نفسه ص ١٩ (٥) طابقت مقررات مؤتمر بلودان مع مقترحات الحاج امين الحسيني التي ادلى بها امام اللجنة البريطانية في ١٢ يناير ١٩٣٧ (جافا ص ٢٨) وكذلك اقترح مؤتمر طلاب العرب في اوربا عام ١٩٣٩ مقترحات مماثلة (مؤتمر طلاب العرب ص ٩)
(٦) هوراني ص ١١٥ (٧) صداد دكر دعلي ص ٢٩٩

واخيرا رأت الحكومة البريطانية ، حيال هذا النشاط الثوري والسياسي في داخل فلسطين وخارجها ان تعمد الى محاولة جديدة لحل القضية الفلسطينية . وللمرة الاولى اعتبرت العرب في الاقطار العربية الاخرى اصحاب علاقة في المشكلة فدعت الدول العربية المستقلة الى لندن وعقد مؤتمر المائدة المستديرة في يناير ١٩٣٩ للعمل على تفاهم اليهود مع العرب . ولكن هؤلاء ابوا الاجتماع معهم دون الوصول الى اتفاق . وفي ١٧ مايو ١٩٣٩ اصدرت الحكومة البريطانية كتابا ابيض نال موافقة البرلمان البريطاني . ويعتبر هذا الكتاب بالرغم من التحفظات التي تضمنها خطوة طيبة لمعالجة المشكلة والابقاء على عروبة فلسطين تقريبا (١) . ومع ذلك فقد رفضه العرب في ذلك الحين (٢) .

وهكذا سلك العرب في مجابهة وعد بلفور والانتداب البريطاني اساليب تتدرج من الاحتجاج والتظاهر الى الثورة المسلحة كما انهم اعتمدوا في مفاوضاتهم على الاسانيد التاريخية والعهود الدولية التي لم تجد نفعا عندما استخدموها عقب الحرب العالمية الاولى لتحقيق استقلال بلادهم . على ان هذه الحركات جميعها لم تخرج عن حدود العاطفة السلبية التي تسرع بالانفجار ولكنها لا تملك قوة الاستمرار لقد اصر العرب على تصلبهم وقد يحمدون على ذلك ، الا انهم لم يدركوا حقيقة الموقف الدولي لسلوك السياسة المناسبة والحفاظ وانقاذ ما يمكن انقاذه . ولعل مرد ذلك الى انهم كانوا يملكون عاطفة الاتحاد والتساند لدفع الاخطار ولكنهم لم يملكوا وسيلة التحقيق . لقد تعددت دولهم فتنوعت لذلك آراؤهم واعجابهم ومن هنا جاءت النكبة القائمة الان .

٣ — مشكلة الاسكندرونة :

كان سنجق (لواء) الاسكندرونة (٣) قبل الحرب العالمية الاولى يؤلف جزءا بسيطا من ولاية حلب (٤) وفي نوفمبر ١٩١٨ دخلته فصائل من الجيش الافرنسي عقب انسحاب الاتراك كما جاءت فرقة من الجيش الفيصلي في الوقت نفسه واستقرت في مدينة انطاكية . وفي عام ١٩٢١ قبلت الحكومة التركية بموجب اتفاقية فرنكلين — بيرون ادخال اللواء المذكور في مناطق الانتداب الافرنسي على ان يمنح استقلا خاصا من الحكم ولكن معاهدة لوزان التي عقدت بين الاتراك والحلفاء عام ١٩٢٢ لم تسجل شيئا يتعلق

---

(١) محمد رفعت ص ٨٠ — ٨٣ بدون خلاصة عن مؤتمر المائدة المستديرة والكتاب الابيض البريطاني

(٢) عاد العرب الى قبول مشروع الكتاب الابيض مع بعض التعديلات وجرت محادثات شفهية رسمية في هذا الشأن في شهري يوليو وأغسطس عام ١٩٤٠ (المكتب العربي — مشكلة فلسطين ص ٦٣)

(٣) يقع لواء الاسكندرونه في الزاوية الشمالية الغربية من بلاد الشام ويتألف من مدن اسكندرونة وانطاكية وبيلان وقوق خان ...

(٤) رباط ص ٢٠٣ (٥) حوراني ص ٢٠٧

باللواء (١) . وظلت الاسكندرونة جزءا من دولة حلب حتى صيف ١٩٢٤ فاصدر المفوض السامي قرارا قال فيه " يتمتع لواء اسكندرونة مع بقائه تابعا للدولة السورية بنظام اداري ومالي خاص وتعتبر اللغة التركية لغة رسمية كالعربية والفرنسية ويعين متصرف لواء اسكندرونة من قبل رئيس الدولة السورية بناء على اقتراح المندوب السامي " (٢) .

بقي لواء الاسكندرونة مشمولا بالطابع السوري دون ان يحدد الاتراك الى اثارة اي شيء حوله . وصدف ان اجتمع الملك فيصل قبيل وفاته (١٩٣٣) بالسيد آراس وزير الخارجية التركية في مدينة جنيف وحدثه حول مشروعه في توحيد سورية والعراق فاجابه الوزير التركي صراحة ان حكومته لا تستطيع ان تهمل حقوقها في منطقة الاسكندرونة (٣) . على ان هذا الحديث لم يغير شيئا من وضع اللواء حتى عام ١٩٣٦ .

بلغت نسبة الاتراك القاطنين في اللواء حسب احصاء ١٩٣٦ ٣١ بالمئة (٤) ونسبة العرب اكثر من ٥٧ بالمئة وما تبقى من الارمن والعناصر الاخرى (٤) . ولما وقعت المعاهدة الافرنسية السورية التي تنص على ضم الاسكندرونة الى سورية ، اثار الاتراك قضية اللواء وادعوا انه يضم اغلبية تركية لا يمكن ان تتنازل لرحمة الحكومة العربية في دمشق وطالبوا بعقد معاهدة خاصة مع اللواء (٦) . ولما رفض الافرنسيون هذا الطلب عرضت القضية امام عصبة الامم في دسمبر ١٩٣٦ فلم تبت فيها وانما عينت المسيو ستدلر وزير خارجية السويد لتقديم تقرير عنها ووفدت ثلاثة مراقبين حياديين الى الاسكندرونة (٧) .

وصل المراقبون الى اللواء في مطلع يناير ١٩٣٧ فاستقبلهم الاتراك بمظاهرة حشي فيها خمسة الاف تركي في مدينة انطاكية ليبرهنوا على انهم يكونون اغلبية السكان . وفي اليوم التالي تظاهر ثلاثون الفا من العرب والعناصر الاخرى غير التركية معلنين انهم لا يريدون فصل اللواء عن سورية (٨) . وسرعان ما تطورت القضية في صالح الاتراك بسبب الاحوال الدولية في ذلك الوقت فاقرت العصبة مشروع المسيو ستدلر القاضي باستقلال اللواء بشؤونه الداخلية على ان يوكل الى سورية ادارة علاقاته الخارجية ويتحد معها بالامور الجمركية (٧) والنقدية (٩) . واخيرا " لعبت السياسة الدولية لعبتها فانفصل اللواء عن سورية

---

(١) دروزة ج ٢ ص ٥٨ (٢) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٢٣١
(٣) رياط ص ٢٥٣ — ٢٥٤ (٤) حوراني ص ٢١٠
(٥) المقتطف المجلد ٩٠ مارس ١٩٣٧ ص ٣٤٢ من حديث للدكتور شهبندر
(٦) و (٧) حوراني ص ٢٠٧
(٨) كلوديا ميلس ص ١٧ من مقال لها عن الاسكندرونة مقدم للدكتور نقولا زيادة .
(٩) حوراني ص ٢٠٧ ودروزة ج ٢ ص ٥٩

دون النظر الى نتيجة الاستفتاء الذى جاء في صالح سورية . وتشكل لواء مستقل تحت النفوذ التركي وسمي باسم (هاتاى) " (١) . وفي ٣٠ يونيو ١٩٣٩ خطى الاتراك خطوتهم الاخيرة والحقوا اللواء بتركية (٢)

كان اللواء عربيا بمجموع سكانه . وواقعه بين الحربين يؤيد عروبته بنائه ضمن الكيان السورى فلا غرابة اذن ان تثير مسألة الحاقة بتركية ضجة كبرى تردد صداها في العالم العربي . والواضح في قضية اللواء انها كانت قضية عربية صرفة لا دخل فيها للطابع الديني كما كانت الحال في فلسطين . ولكن هل اختلف موقف العرب من هذه المشكلة عن موقفهم من المشاكل الاخرى ؟ والجواب ان الاسطوانة لم تتغير : اضراب وتظاهر واحتجاج ويحل العسير فتردد الالسن " انا لله وانا اليه راجعون ".

لقد كان موقف السوريين من قضية اللواء كما في اول الامر — موقفا لا يخلو من الاطمئنان والثقة بالمستقبل فالتاريخ والواقع يؤيدهم (٣) وكذلك العهود والشرائع الدولية تشد من ازرهم (٤) . على ان الاذهان تنبهت تدريجيا للخطر المحدق فتردد في الاوساط المسؤولة ان الذين دافعوا عن البلاد تجاه فرنسا وقاوموها لا يتراجعون عن الدفاع عن الاسكندرونة تجاه تركية (٥) .

لقد مرت قضية الاسكندرونة والبلاد غارقة في موجة من الفرح على اثر عقد المعاهدة السورية الافرنسية فانقلبت تلك الموجة الى ثورة عاطفية عمت سورية في ذلك الوقت فكانت اعوام ١٩٣٦ — ١٩٣٩ حافلة بالاضرابات والتظاهرات لاسباب مختلفة في طليعتها قضية الاسكندرونة (٦) . اما بالنسبة للواء نفسه فقد حدثت فيه عدة اضطرابات دامية بين العرب والاتراك ادت الى تدخل الجيش الافرنسي اكثر من مرة (٧) .

---

(١) حداد وكرد علي ص ٣٧٤
(٢) حوراني ص ٢١٢
(٣) اصدرت لجنة الدفاع عن الاسكندرونة في دمشق نشرة بعنوان " اللواء عربي وسيبقى عربيا " بحثت فيه قضية اللواء من النواحي الجغرافية والعنصرية والتاريخية والحقوقية وما الى ذلك وكلها تشير الى عروبة اللواء المذكور
(٤) لجنة الدفاع عن الاسكندرونة — اسكندرونة عربية ص ٦ مذكرة لجميل مردم رئيس الوزارة السورية
(٥) المصدر نفسه ص ٩ من مضمون تصريح لسعد الله الجابرى وزير الخارجية السورية
(٦) المصدر نفسه ص ٨ . ولقد قيض لي ان اعيش في تلك الفترة وكنا نحن الطلاب نتنادى لعقد الاجتماعات ونتصل باخوان الطلاب في المدن السورية المختلفة للتظاهر والاحتجاج .
(٧) حوراني ص ٢٠٩

اما فيما يتعلق بصدى المشكلة في الاوساط العربية المختلفة فقد تجلى بالرسائل والعرائض التي كانت توسل الى عصبة الامم والى المسؤولين من رجال الحكم محتجة على ما يراد باللواء وطالبة حل المشكلة حلا عادلا . ولقد تضمنت هذه العرائض والرسائل وجهات نظر مختلفة فكان بعضها يحمل طابع التهديد (١) والاخر يأتي على تحليل الموقف من ناحيتيه القانونية والواقعية مع اقتراح بعض الحلول (٢) ومنها ما تضمن الاعتماد على فرنسا لانقاذ الموقف (٣) . يضاف الى ذلك بعض الاحتجاجات التي كانت تصدر عن الارمن وهي تذكر بمذابح اعوام ١٩١٤ — ١٩١٦ التي قام بها الاتراك ضدهم (٤) .

ولم يعدل الستار على المشكلة الا بعد ان غادر اللواء عدد من العرب والارمن الذين ابوا البقاء تحت الحكم التركي (٥) . وجدير بالذكر في ختام هذا البحث ما دونه بعض الكتاب في صدد قضية اللواء اذ قال : " لقد كان لهذه المأساة رد فعل جارح في نفوس السوريين حكومة وشعبا فقامت المظاهرات وارسلت الاحتجاجات وكان هذا كل ما في استطاعتهم ان يفعلوه ازاء العواصف الغادرة " (٦)

مشاكل ثلاث جابهها العرب بين الحربين وكانت كلها نتيجة للمطامع الاجنبية في البلاد العربية . وقد يصح لنا ان نشبه العرب في موقفهم من هذه المشاكل بحال الرجل المريض الذي بلغ دور النقاهة فهو يملك النطق والتعبير ويملك العاطفة التي تثور بسرعة ، كما يملك تدبير الخطط وتعيين الاتجاهات ولكن ينقصه الوثوق من موقفه بعد ما نال العرض من قواه بعض الشيء . وهو الى ذلك يرغب في الوقوف والسير ولكنه اذا ما سلك السبيل سرعان ما يتعثر في خطاه ليعود الى الاستجمام من جديد . وما فترة الحكم العثماني الا مرحلة مرضية اصابت الكيان العربي بالشلل والضعف . وهو الى الان لم يخرج من دور النقاهة الذي بدأه في اواخر القرن التاسع عشر .

---

(١) لجنة الدفاع عن الاسكندرونة — اسكندرونة عربية ص ١٨ من مضمون احتجاج طلاب الجامعة الاميركية في بيروت

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠ — ٢٥ من مضمون مذكرة اللجنة العربية في فلسطين ونادي الطلبة السوري في مصر

(٣) المصدر نفسه ص ٢٨ من مضمون مقررات مؤتمر الجمعيات السورية في فرنسا المنعقد في طولوز

(٤) المصدر نفسه ص ١٣

(٥) حوراني ص ٢١٢

(٦) دروزة ج ٢ ص ٦٠ وحوراني ص ٢٠٩ اتفق معه في الرأي .

٤ — النزعات السياسية المختلفة ومظاهرها :

تنوعت الاتجاهات السياسية بين العربين وتباينت مظاهرها لاسباب مختلفة ، يرجع بعضها لمؤثرات خارجية والبعض الاخر لمجرى الاحداث التي مرت على البلاد بالاضافة الى بعض العوامل الاجتماعية والتاريخية والدينية . ولسهولة العرض يمكننا ان نجعل هذه الاتجاهات بالامور الاساسية التالية :

آ — النزعات الاقليمية

ب — نزعة الاتحاد او الوحدة

جـ — النظرات السياسية المختلفة

آ — النزعات الاقليمية : اتجه العرب ، منذ ان بدأوا يعملون لتحرير بلادهم من الحكم العثماني ، اتجاها قوميا عربيا لا يعتد كثيرا بالحدود الاقليمية . لكن هذا الاتجاه قد اختلف بعد الحرب الكبرى . فقد قسم الانتداب البلاد الى وحدات سياسية مستقلة " فانتعشت فكرة السياسة الاقليمية وراجت وعملها انصراف كل قطر من الاقطار العربية الى العناية بشؤونه الخاصة من دون ان يكون له ارتباط او اتصال مباشر بالاقطار الاخرى " (١) . ومن الطبيعي ان نشهد انصرافا من هذا النوع ما دام كل قطر من الاقطار العربية قد جابه مشاكل محلية كان عليه ان يتفرغ لمعالجتها . على ان الغرض السياسي الاول في جميع هذه الاقطار كان واحدا على العموم وهو التخلص من الانتداب وتأمين السيادة والاستقلال .(٢)

ففي سورية مثلا كانت مطالب الوطنيين ترمي الى تأمين استقلال سورية كما اصطلح على تحديدها ايام الانتداب بالاضافة الى " البقاع والاقضية التي الحقت بلبنان رغم ارادة اهلها "(٣) . ولقد كان هذا الهدف من اول اغراض الثورة السورية(٤) . ولما اعلنت الجمهورية اللبنانية في مايو ١٩٢٦ وتصدر دستورها على انه لا يجوز التنازل عن اي جزء من ارض لبنان كما حدده الانتداب اعتبر السوريون هذا الامر حائلا دون تحقيق الوحدة السورية فاستقال بعض الوزراء من وزارة الداماد احمد نامي باشا التي كانت تعمل على تحقيق هذا الهدف(٥) . على ان الساسة السوريين قد تنحوا اخيرا بشأن لبنان الكبير على حاله وقبلوا بعقد معاهدة ١٩٣٦ على اساس استقلال سورية كما سبق تحديدها .

كان الغرض من هذا الاتجاه الاقليمي التحرر من الانتداب بالدرجة الاولى وهذا لم يمنع السوريين

---

(١) المقتطف المجلد ٨٨ مايو ١٩٣٦ ص ٦١٥ من مقال لامين سعيد
(٢) حوراني ص ١٧٨ (٣) الكيالي — رد الكتلة الوطنية ص ٥
(٤) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٣١٢
(٥) حداد وكرد علي ص ٣٧٠

من التعبير عن عواطفهم العربية في مختلف المناسبات كما كان رغبتهم في مستقبل افضل يكون فيه للاقطار العربية اوفر نصيب من التقارب والاتصال .

اما في لبنان فقد كانت النزعة الاقليمية اكثر بروزا وخاصة في لبنان (المتصرفية) . فبينما كان السوريون يؤمنون بالروابط القومية المشتركة بين الاقطار العربية نادى بعض اللبنانيين عند انتهاء الحرب الكبرى ان " اللبناني الابي المستقل يرفض كل الرفض ان يكون تابعا لحكومة ومجالس مركزية تسود فيها اكثرية سورية لا تربطه بها رابطة الجنس والتقاليد ولا رابطة العواطف والمصالح " (١) . وبينما هب اكثر السوريين لدفع الانتداب قال بعض اللبنانيين " اننا لا ننفك من تصور وطننا تمام التصور دون ان نجعل لفرنسا فيها مقام الشرف الذي تستحقه " (٢) . ولكن فريقا من اللبنانيين لم يكن يمانع في التقرب من سورية ويعمل على مناهضة الانتداب (٣) بالاضافة الى ان اكثر المسلمين في لبنان كانوا يتجهون بانظارهم الى سورية . وفي عام ١٩٢٦ راجت احاديث الانفصال والاتصال بين سورية ولبنان ففريق " يرمي الى الغاء لبنان الكبير والانضمام الى الوحدة السورية عن طريق اللامركزية . وفريق يناهض هذه الفكرة ويجهد استقلال لبنان الكبير بحدوده الحاضرة ... ويدعون ان السبب الرئيسي لانفصال لبنان عن سورية هو ايجاد وطن قومي للمسيحيين " (٤) . واخذ فريق آخر يتصل من العرب والعروبة وينادي بحضارة البحر المتوسط التي ساهم اللبنانيون في اشادتها " ... والفئات التي اعتنقت هذه الفكرة تقول ان لبنان واللبنانيين ليسوا من حيث الجنس عربا بل فينيقيين ، اما حضارتهم فحضارة البحر المتوسط ، وهم لا يحتون للعرب بصلة او قربى الا باللغة " (٥) .

وهكذا تضاربت الاراء في لبنان واخذ بعضهم يقدم مبررات للنزعة الاقليمية التي يريدونها / فالقومية او الوطنية كما يعرفها الرئيس اده رئيس الجمهورية اللبنانية عام ١٩٣٦ انها " هي استقلال لبنان استقلالا تاما كوحدة جغرافية وسياسية وتحالف دائم مع فرنسا " (٦) . ويرى الرئيس اده ان الاتحاد مع سورية الذي يطالب به المسلمون مخالف لمصالح لبنان . فلبنان يضم اغلبية مسيحية والاتحاد مع سورية معناه سيادة

---

(١) لبنان بعد الحرب ص ١١٠ (٢) جريدة البشير عدد ٢٥١٧ تاريخ ١٠ يناير ١٩٢٠ من خطاب لبشاره خليل الخوري (الرئيس الحالي للجمهورية اللبنانية)

(٣) يمثل هذا الاتجاه مجلس ادارة لبنان كما اسلفنا (٤) الشرتوني ص ١٤٠

(٥) " العرب الاحياء " ص٢٢ . وجاء في هامش ص ٣٣ — ٣٤ ان الاستاذ شارل القرم اصدر مجلة شهرية باسم المجلة الفينيقية " لا ريفو فينيسين " صدر العدد الاول منها في تموز ١٩١٩ واحتجبت بعد صدور العدد السادس في كانون الاول من العام نفسه

(٦) لاندو ص ١١٩ من حديث للرئيس اده وتجد نص الحديث ص ١١٨ — ١٢١

المسلمين . ويعتقد اده ان السوريين يكونون شعبا آخر غير الشعب اللبناني يختلف عنه في تقاليده وطراز معيشته ويرى ان التحالف مع فرنسا امر طبيعي لاعتبارات تاريخية ولغوية لان اكثر اللبنانيين يتكلمون اللغة الافرنسية . ويقول عن نفسه " انا افرنسي اكثر مني عربي ... " (١) . ولا يرى الرئيس اده مانعا من مصادقة السوريين مع معارضة فكرة الاتحاد معهم (٢) .

ونتيجة لهذا الاتجاه ظهرت فكرة لدى بعض المسلمين في لبنان ترمي الى تأليف دولة مستقلة اداريا في المناطق التي الحقت بلبنان (المتصرفية) على ان ترتبط باتحاد لامركزي مع لبنان القديم وسورية (٣).

اما فلسطين فلم تبرز فيها نزعة اقليمية خاصة فضلا عن ان الخطر الذي تعرضت له جعلها تهفو دائما الى تعزيز الفكرة العربية ولكن نزعة الخلاص من المشكلة الصهيونية بطريقة من الطرق دعت بعض الساسة الى القول بتأليف دولة مستقلة فيها على اساس التحالف مع بريطانيا (٤) . وهذا امر طبيعي ما دام وضعها السياسي بين الحربين قد وقف حائلا دون اتجاهها الى الارتباط مع اي قطر عربي .

اما شرقي الاردن فلم تختلف حالها عن حال فلسطين الا ان وجود الامارة فيها جعل الوطنيين يراعون جانبها ويطالبون باستقلال البلاد على اساسها الواقعي .(٥)

ب — نزعة الاتحاد او الوحدة : الى جانب هذه النزعات الاقليمية كانت هنالك نزعات ترمي الى جمع بعض الاقطار العربية في كيان واحد او تستهدف توسيع نطاق العلاقات بين هذه الاقطار كمقدمة للوحدة العربية . لقد كانت هذه النزعة حقيقة واقعة قبل عهد الانتداب ثم حدث انحراف الى الاقليمية كما ذكرنا او بعبارة اخرى اصبحت النزعة الى الاتحاد في حالة كمون تتحين الفرصة المناسبة للظهور . وتمت هذه النزعة في السنوات الاخيرة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ومرد ذلك في الغالب الى ان الاحداث السياسية قد دفعت دول الانتداب في تلك الفترة الى تصفية علاقاتها مع البلاد التي ضجت بالمطالبة بحقوقها فرأت تلك الدول ان تلجأ الى اسلوب تحالف وعقد المعاهدات كما حدث في العراق وكما حاولت فرنسا ذلك في سورية ولبنان . ولقد شهدت بلاد الشام صراعا بين الفكرة الاقليمية والنزوع الى الاتحاد (٦) واتجهت انظار الكثيرين الى منقذ او على الاصح سعت الى ايجاد وضع يؤمن لها القوة لمجابهة الاحداث . فكان هذا الاتجاه يرمي تارة الى توحيد بلاد الشام ويتطلع حينا الى توحيد سورية والعراق .

---

(١) و (٢) لاندو ص ١٢٠ (٣) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٤١٧
(٤) جاما ص ٢٨ ويؤتمر طلاب العرب ص ١ ويؤتمر بلودان ص ١٩
(٥) الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ص ٢٣٩ — ٢٤٠
(٦) امين سعيد — ايام بغداد ص ٦٨

لقد نادى الساسة في العهد الفيصلي بوحدة سورية الطبيعية واقر ذلك مؤتمرهم في ٨ مارس ١٩٢٠ على ان ترتبط مع العراق برباط اقتصادي وسياسي . ومنذ عام ١٩٣٦ — عام المعاهدات اذا صح التعبير(١) — نمت فكرة الاتحاد بين الاقطار العربية . فكان فارس الخوري يرى مثلا ان تبدأ الخطوة الاولى بالاتحاد بين سورية ولبنان لان الانفصال بينهما غير طبيعي (٢) . وذهب بعض اللبنانيين الى القول اننا اذا اردنا ان نعيش فاننا بحاجة الى تساند عسكري وتعاون اقتصادي مستمرين ولا يتحقق ذلك الا بالجامعة العربية او بسورية الكبرى (٣) . ولقد نشأ الحزب القومي السوري قبل عام ١٩٣٥ (٤) داعيا لتوحيد بلاد الشام .

اما فكرة الاتحاد بين سورية والعراق فقد القيت بذورها الاولى منذ العهد الفيصلي في سورية كما اسلفنا . ولقد عزز هذه الفكرة ان فيصل الذي احبه الشعب السوري قد غدا سيد الديار العراقية . فاتجهت انظار السوريين في ايام المحن الى ان " الترياق لا يأتي الا من العراق " ففي انتفاضة الثورة السورية اوكل قادتها الى الملك فيصل امر المفاوضة باسمهم في الخارج (٥) .

خرجت فكرة الاتحاد مع العراق من مكامن الصدور الى ميدان البحث في صيف ١٩٣١ حيث اجتمع بعض ساسة العرب الى الملك فيصل في اوربا وبحثوا معه في الموضوع " مقدرين الفوائد العظيمة للقطرين الشقيقين خاصة وللاقطار العربية عامة من هذا الاتحاد المبارك " (٦) . ولقد جد الملك فيصل في الموضوع واخذ يكثف جهده له بالتحدث مع بعض الساسة الاجانب (٧) . وكان فريق من السوريين يرى ان انتقال فيصل الى العراق لم يفقده حقه في العرش السوري ولذلك حدثت محاولة في بعض الاوساط — على اثر وفاته عام ١٩٣٣ — لمبايعة ولده غازي على العرش المذكور (٨) . وظلت الفكرة قائمة في اذهان الكثيرين حتى اعتبر بعضهم ان مفهوم الوحدة العربية انما هو " اتحاد ... سورية والعراق وشرقي الاردن وفلسطين " (٩) . وفي تصريح

---

(١) عقدت في هذا العام المعاهدة السورية الافرنسية ، والمعاهدة اللبنانية الافرنسية ، والمعاهدة المصرية الانكليزية وتجدد عقد التحالف بين العراق والمملكة السعودية ...

(٢) لاندو ص ١٣٧ (٣) المصدر نفسه ص ١٢٢

(٤) حوراني ص ١٩٧ . كان الحزب السوري قبل عام ١٩٣٥ يعمل بصورة سرية

(٥) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٥١٤ — ٥١٦

(٦) الخوجي ص ٢١٢ (٧) اوسلان — الوحدة العربية ص ٦

(٨) حدثت تلك المحاولة في مدينة اللاذقية . فقد اجتمع الناس في احد المساجد للصلاة على روح الفقيد المرحوم فيصل فوقف احد الخطباء ينادي بمبايعة ولده غازي وربط للعرش السوري فتعالت الاصوات بالموافقة

(٩) رباط ص ٣٤٣ — ٣٤٤

لفارس الخوري عام ١٩٣٧ وكان رئيسا للمجلس النيابي السوري " ان سورية ليست تلك المنطقة التي تدعى بهذا الاسم في هذه الايام وانما تشمل جميع البقاع التي كانت تعتبر في وقت ما اجزاء من سورية وهي لبنان وفلسطين والعراق . وحدودنا الحقيقية يجب ان تكون تركيا والحجاز ومصر والمتوسط وايران " (١) ونستطيع القول ان مشروع الهلال الخصيب — حسب التعبير الجديد — لا يزال في طليعة مشاريع الاتحاد التي تتردد في الاوساط العربية بين حين وآخر .

لقد كان عام ١٩٣٦ عام المعاهدات كما ذكرنا ويصح ان نعتبره بدء مرحلة جديدة من التقارب بين الاقطار العربية . ففي شهر ابريل من ذلك العام وقع ميثاق التحالف بين العراق والمملكة السعودية وجاء في المادة السادسة منه " يجوز لاية دولة عربية مستقلة ان تطلب الانضمام الى هذه المعاهدة ايضا " (٢) ومنذ ذلك التاريخ اخذت فكرة الوحدة العربية او الاتحاد العربي تتردد في المجالس وتتناولها اقلام الكتاب . ولقد اجمع اكثر وطنيي العرب على تأييد هذه الفكرة التي اعتبروها امنية كل عربي لما بين الاقطار العربية من تقاليد مشتركة وروابط لغوية واجتماعية وتاريخية ، ولكنهم اختلفوا في نظرتهم الى الوسائل التي يجب اتباعها لتحقيق المشروع كما تباينت آراؤهم حول مفهوم الوحدة والاتحاد (٣) .

يرى اكثر رجالات العرب ان توحيد الثقافة او بعبارة اخرى توحيد المناهج التعليمية بين الاقطار العربية (٤) يجب ان يكون الخطوة الاولى لتحقيق الوحدة العربية . ورأى بعضهم هؤلاء ان القضية تحتاج الى بث الفكرة بين الشعوب العربية وتهيئة الاذهان لهذا المشروع لتصبح الكلمة للشعب لا للزعماء (٥) حتى ان بعضهم ذهب الى القول بعدم اشراك الحكم في بحث هذا الموضوع (٦) وبالمقابل كان فريق يرى ان الاتحاد انما يتم بواسطة الزعماء والحكام عن طريق التحالف والتعاقد (٧) . ويرى آخرون

---

(١) لاندو ص ١٣٧ (٢) المقتطف المجلد ٨٨ ص مايو ١٩٣٦ ص ٦١٦ من مقال لامين سعيد ، الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ص ٢٥٦ — ٢٦٠ نص المعاهدة

(٣) قام الصحفي محمد شاكر الخردجي بجولة في الاقطار العربية مستطلعا رأي رجالات العرب في الوحدة العربية والطريق التي يجب سلوكها لتأمين ذلك . ونشر ما تجمع لديه في كتاب بعنوان "العرب في طريق الاتحاد" وعنه نلخص بعض الاراء التالية حول الوحدة العربية

(٤) الخردجي ص ٢١٨ و ٢٣٠ — ٢٣١ و ٢٣٣ — ٢٣٤ و ٢٥٣ — ٢٥٤ و ٢٨٧ ، ٢٩٥ و ٣٠٤ و ٣٠٦ و ٣١٢ و ٣١٧

(٥) المصدر نفسه ص ٢١٩ و ٢٣٤ و ٢٧٠ و ٣١٢ و ٣١٤ — مؤتمر بلودان ص هـ من المقدمة للريحاني (٦) الخردجي ص ٢٧٠ و ٢٨٠ و ٣١٢ و ٣٤٠

(٧) المصدر نفسه ص ٢٢٧ — ٢٢٨ و ٣٠٤

نظام اللامركزية اساسا للاتحاد العربي [١] . واخذ فريق يبشر بضرورة التحالف العسكري والاقتصادي والسياسي على ان يظل كل قطر من الاقطار العربية مستقلا في شؤونه الداخلية [٢] . وصرح نفر من رجالات العرب بوجود عقبات كثيرة في طريق الوحدة العربية . فالنفوذ الاجنبي [٣] لا يزال متغلغلا في البلاد والنزعة الاقليمية والشعوبية لا تخلو من انصار [٤] بالاضافة الى تعدد الطوائف الدينية [٥] وما عليه فريق من المتنفذين من انانية واهتمام بمصالحهم الخاصة [٦] . ولذلك دعا هذا النفر الى نشر التربية القومية والعمل على تحقيق العلمانية في الاقطار العربية او بعبارة اخرى فصل الدين عن الدولة [٧] وتحرير الكفاح للخلاص من النفوذ الاجنبي [٨] والتضحية بالمصالح الخاصة في سبيل الصالح العام [٩] .

جـ — النظريات السياسية المختلفة : تسربت بعض المذاهب السياسية العالمية كالفاشية والشيوعية الى البلاد العربية في فترة ما بين الحربين ولاقى كل مذهب عددا من الانصار هنا وهناك . على ان الفاشية بصورة خاصة كانت تعتبر في طليعة الاشياء مظهرا من مظاهر التحدي لسلطان الانكليز والافرنسيين الذين يسيطرون على مقدرات بلاد الشام وبعض الاقطار العربية الاخرى . ولذلك فان بعض مظاهر الفاشية والنازية قد لاقت شيوعا اكثر من غيرها في البلاد العربية فتعددت المنظمات التي اتخذت طابعا عسكريا وعرفت قالبا بمنظمات " القمصان " واحيانا باسم الفتوة او النجادة . ونستطيع ان نعتبر هذه الحركات اسلوبا من الاساليب التي توسل بها العرب لمجابهة النفوذ الاجنبي في البلاد [١٠].

---

(١) الخردجي ص ٢٥٢ و ٢٨٧
(٢) المصدر نفسه ص ٦٢ و ٢٢٧ — ٢٢٨ و ٢٣١ . ارسلان — الوحدة العربية ص ١٣
(٣) الخردجي ص ٢٧٩ و ٣١٢ (٤) المصدر نفسه ص ٢٣٩ — ٢٤٠
(٥) المصدر نفسه ص ٢٥٣ — ٢٥٤ و ٢٧٩ — ٢٨٠
(٦) المصدر نفسه ص ٢٧٠ و ٢٧٩
(٧) المصدر نفسه ص ٢٥٢ و ٢٨٠ و ٢٨٥ و ٣١٧
(٨) المصدر نفسه ص ٢٢٥ و ٢٦١
(٩) المصدر نفسه ص ٢٣٠ و ٢٧٩ و ٢٨٧
(١٠) حدثت هذه الموجة من التشكيلات بين عام ١٩٣٠ — ١٩٤٠ عندما كانت النازية في المانيا والفاشية في ايطاليا في الاوج من الانتشار . ومن المنظمات التي اتخذت هذا الطابع : القمصان الحديدية في سورية والقمصان الزرق في مصر والفتوة في العراق والنجادة في لبنان . وكذلك فقد عزيت تشكيلات الحزب القومي السوري الى النظام الفاشي ايضا . اما الشيوعية فقد كانت عرضة للظهور والاختفاء تبعا للتقلبات السياسية .

اما الديموقراطية نفسها التي اخذ ينادي بها ساسة العرب في كل مناسبة فلم توجد الا نظريا في الاقطار العربية لاعتبارات مختلفة يرجع بعضها الى النفوذ الاجنبي في البلاد ويعود بعضها الاخر الى الطبيعة العربية ذاتها والى ما يعانيه الشعب العربي من انتشار الامية والافتقار الى الخبرة التي يتطلبها تصريف الامور على الوجه الاكمل . " والديموقراطية في جوهرها نظام تعاوني ، يخضع فيه الافراد لارادة الاكثرية ويوفق فيها بين وجهات النظر المتضاربة . وهو نظام لا يتقبله بسهولة من بلغت عنده النزعة الفردية اقصى حدها " (١) .

على ان العرب في بعض اقطارهم قد انتقلوا عقب الحرب العالمية الاولى من دور التهيئة الى دور السيادة وكافحوا الانتداب للوصول الى حكم انفسهم بانفسهم ولذلك وجدت لديهم بعض النظرات السياسية التي لا تخلو من تأثر بماضي الامة العربية بالاضافة الى العوامل الخارجية التي تعرضت لها البلاد .

عندما دخل فيصل الى سورية على رأس جيوش الثورة اخذ ينشر بالاخاء الوطني بين السكان مرددا في كل مناسبة " الدين لله والوطن للجميع " (٢) والعرب " هم عرب قبل عيسى وموسى ومحمد ، وان الديانات تأمر في الارض باتباع الحق والاخوة ، وعليه فمن يسعى للشقاق بين المسلم والمسيحي والموسوي فما هو بعربي " (٣) والحكومة " العربية قد تأسست على قاعدة المساواة فهي تنظر الى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم وادیانهم نظرا واحدا " (٤) .

وهكذا كان الاتجاه الاول اتجاها قوميا صرفا يستهدف بناء المجتمع العربي على اساس جديد يبعده عن النعرات الطائفية . ولقد ظهرت بوادر هذه الحركة منذ اواخر القرن التاسع عشر وساهم فيها مسيحيو سورية ولبنان عندما ان الاتحاد القومي هو السبيل الوحيد للخلاص من التفرقة الدينية التي اضعفت بلادهم زمنا طويلا (٥) . ولقد اصبح هذا الاتجاه القومي مذهبا له انصاره الكثيرون ولم تعد فكرة العروبة مجرد نظرية يتشدق بها الناس — كما يقول الدكتور شهبندر — " بل هي ايمان حي متحرك ناطق ، فنحن نعيش في مجتمع واحد ونتخاطب بلغة واحدة ونتغذى من ثقافة واحدة ويحيط بنا عدو واحد . ولا ادل على وحدتنا الطبيعية من التشابه التام في ظواهرنا الاجتماعية والسياسية : فكلنا نشعر بحد آلام موجبة بوجوب اعتناق الوطنية رابطة للذين يعيشون على ارض الوطن فشعارنا " الدين لله والوطن للجميع " ووجوب تهذيب الفن والادب واحترام اللغة العربية واعطائها مكانتها " (٦) .

---

(١) ماشوز ص ٥٣٤ والترجمة العربية ص ٦٩٦

(٢) الحصري ميسلون ص ٧٧ ج ٢ ص ٧ (٧٨)

(٣) المصدر نفسه ص ١٩٨ وامين سعيد — الثورة العربية

(٤) الحصري ميسلون ص ١٩٤ و امين سعيد — الثورة العربية ج ٢ ص ٣

(٥) حوراني ص ١٠٤

(٦) الهلال المجلد ٤٤ يونيو ١٩٣٦ ص ٨٥٨ وبياط ص ٤١ ينقل حديثا مماثلا للدكتور ضيا الحجلاني

سارت فكرة العروبة في طريق النمو حتى غدى مفهومها لدى الكثيرين : التحرر من كل قيد يحول دون تاخي ابناء الاقطار العربية او يقف في سبيل تقدمهم فهي " اسلوب من اساليب التطور وطريق من طرق الحياة التي تسير دوما نحو الرشد والرشاد وعقيدة في العلاقات الانسانية متاصلة دوما في قيمة الفرد وكرامته تستوحي فكرة الحرية المتطورة " (١) . وتتجه دعاة العروبة الى بناء كيان اعضائه على اسس " مستمدة من استعداد العرب وظروفهم الخاصة ، ومن تجارب الغرب دون التقيد بمذهب معين من المذاهب الاوروبية الحديثة " (٢) .

على ان النزعة القومية بين الحربين لم تسر وحدها في الميدان وانما رافقتها النزعة الدينية يقول الاستاذ حوراني " يستحيل على العموم ان نفصل الشعور القومي العربي عن الشعور الاسلامي " (٣) ... ولكن النظرة العلمانية آخذة في الانتشار وخاصة بين الجيل الجديد وبين الذين تلقوا علومهم في اوربا او اميركا . وهي اكثر بروزا في سورية ولبنان منها في الاقطار العربية الاخرى (٤) . والواقع ان الروابط التي تجمع بين معظم ابناء الضاد انما هي مزيج من الشعور القومي والشعور الديني في آن واحد (٥) . ويلاحظ الباحث الدقيق " ميلين ظاهرين في الشرق العربي ميلا الى الجامعة الاسلامية وميلا اخرا الى الجامعة العربية " (٦) ويذهب بعضهم الى القول " ان الوحدة السورية مثلا هي مقدمة للوحدة العربية ، والوحدة العربية مقدمة للوحدة الاسلامية " (٧) . على ان النزعة الاخذة في الازدياد في بلاد الشام هي اقرب الى الروح القومية العربية وتلمس هذه الروح بين شباب المسلمين كما تلمسها بين شباب الطوائف الاخرى على السواء .

الى جانب هذه النظرات اخذت قضية الحكم حظها من القول . ففي العهد الفيصلي كان الاتجاه ديموقراطيا كما اسلفنا . فقد اعلن فيصل عقب دخوله سورية " تشكيل حكومة دستورية عربية مستقلة " (٨) . وتابع هذا الاتجاه طريقه بين الحربين بصورة نظرية لان احوال البلاد السياسية والاجتماعية لم تساعد على تطبيقه عمليا . اما شكل الحكم في بلاد الشام فقد اتجه الى الملكية في اول الامر واقر المؤتمر السوري ذلك واقترحته لجنة كنغ — كراين . وفي الوقت نفسه طالب فريق من اللبنانيين بالنظام الجمهوري (٩) .

---

(١) " غيوم عربية " ص ١٥
(٢) مؤتمر طلاب العرب ص ١٣
(٣) حوراني ص ١٠٢
(٤) المصدر نفسه ص ١٠٣
(٥) فان اس ص ١٠٤
(٦) المقتطف المجلد ٧٩ اكتوبر ١٩٣١ ص ٢٢٠ من مقال للدكتور شهبندر
(٧) هوهدى ص ٩٩ من حديث للزنجاني من ائمة الشيعة في العراق
(٨) الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ص ٨٩
(٩) امين سعيد — الثورة العربية ج ٢ ص ٥٧

وظلت النظرة الى شكل الحكم تتردد بين الملكية والجمهورية • ففي عهد الانتداب بني الحكم في شرقي الاردن على الامارة وانتهى الى الملكية • واعلن النظام الجمهوري في سورية ولبنان على ان قريقا من السوريين ظل يتطلع الى الملكية متمثلة في شخص فيصل كما مر بنا • وكان رجال الانتداب يفكرون بين حين وآخر باقامة الملكية في سورية املا في تأمين مصالحهم بصورة ايسر (١) • والى جانب ذلك كان بعض ساسة العرب يتطلع الى طبيعة الاحوال العربية ويبني عليها حكمه في تعيين نظام للحكم في البلاد • فيرى الدكتور شهبندر ان في وسعنا القول " بصورة مجملة تنطبق على احوال هذا العالم [العربي] ... الاجتماعية وعلى الدرجة السياسية التي بلغتها ان شكل الحكم الصحيح القائم على الانتخاب الحر — جهد الطاقة — هو الشكل الذي يجب ان يصر عليه الاهلون حيث هم مستقلون استقلالا مقيدا بالانتداب او الحماية او المعاهدة المصطنعة او غير ذلك من التدخل الاجنبي في شؤونهم ، والاستبدادي العادل او الخير حيث هم يتمتعون بالاستقلال التام " (٢) .

٥ — طبيعة الاتجاه السياسي :

تضمنت الصفحات المتقدمة بعض الامثلة والاقوال التي تكشف عن بعض نواحي العقلية العربية في اتجاهها السياسي الحديث • ويتميز الطابع العام لهذا الاتجاه بالانتفاضات الانية والوثبات المتفرقة وبغلب على تصرف العرب روح الارتجال والنظر الى ظاهر الامور دون النظر الى ملابساتها • على ان هذا لا ينفي وجود بعض النظرات الصائبة العميقة على شيء من التفكير والتحليل مما يدفعنا الى القول ان العقلية العربية تتصف بالقلق الفكري وفقدان روح الاستمرار وضعف التحليل • ولو حللنا تصرفات بعض الافراد المتميزين في الامة لوجدنا كل واحد منهم يمثل اتجاها خاصا ويدور في فلك معين • وهذا من صفات النزعة الفردية التي تطبع ناحية بارزة من نواحي العقلية العربية • وعلى العموم اننا نلمس تناقضا في سلوك العرب وتفكيرهم فنجد النزعة الاقليمية الى جانب التطلع الى الوحدة • ونشاهد الاندفاع القومي الى جانب الاندفاع الديني • ونلمس الفوضى الى جانب النظام والاستسلام الى جانب الاقدام وضعف الثقة بالنفس الى جانب الاعتداد بها • والتفور من الاجنبي الى جانب النظر اليه بعين التجلة والاعتبار • وبعبارة اخرى ان روح الانسجام في التفكير والسلوك لم تتكون تكونا تاما عند العرب حتى الان (٣) .

---

(١) امين سعيد — الثورة العربية ج ٣ ص ٤١٨ و حوراني ص ٢٢٧ • حدثت المحاولة الاولى اثناء الثورة السورية والمحاولات الاخرى عام ١٩٣٩

(٢) المقتطف المجلد ٨٤ مارس ١٩٣٤ ص ٣٣٧ — ٣٣٨

(٣) زيدان ص ٣٣ يشير الى هذه الفوضى في النزعات والاتجاهات •

ولنستعرض بعض هذه الاتجاهات المتناقضة فهي على صفتها هذه تبرز لنا المظهر العام للعقلية العربية في هذا الدور الانتقالي اذا صح التعبير .

اول ما يطالعنا من هذه المظاهر ، النزوع الى التحرر من السلطان الاجنبي وحب الاستقلال " فقد ثار العرب ضد الاتراك لا لان الحكومة التركية كانت سيئة بشكل فاضح ولكن لانهم كانوا يرغبون في استقلالهم (١) وهذا ما يفسر نشاطهم الثوري في عهد الانتداب ايضا . على ان الفشل الذي صاحب بعض الحركات العربية في مجابهتها للنفوذ الاجنبي قد ادى الى اضعاف الثقة بالنفس والاعتقاد بغلبة الاجنبي في النهاية (٢) . وعلى مرور الايام وقر في النفوس وهم ان ما من عمل من الاعمال او مشروع من المشاريع ياخذ طريقه في البلاد العربية الا كان وراءه ارادة اجنبية تسعى لاقراره (٣) واصبحت النظرة الى التدخل الاجنبي والى النفوذ البريطاني بصورة خاصة اشبه ما يكون بدم الحسين في يوم عاشوراء تحت كل حجر حسب اعتقاد فريق من الشيعة .

ومهما يكن من امر فان هذه النظرة التي نشأت حول الاجنبي انما هي من طبيعة الحذر والقلق التي تميز الشعوب المغلوبة عند مجابهتها للمواقف الحاسمة . وتقابلها في الوقت نفسه نزعة الاستجابة لكل تحد يصدر عن الاجنبي واكثر الحركات الثورية والانتفاضات الشعبية في البلاد العربية كان مصدرها المباشر ضرب من الاستفزاز الذي يصدر عن السلطات الحاكمة او الهيئات التي تحاول أن تتحدى شعور الشعب في عنفوانها . ومن الملاحظ في هذه الظاهرة ان المسلمين بصورة خاصة كانوا اكثر الفئات استعدادا لمجابهة كل تحد يصدر عن الاجنبي (٤) . على ان هذا لا ينفي وجود هذه النزعة لدى الفئات الاخرى من السكان بل كما نرى في الواقع ان الامر قد التبس في بعض المناطق العربية ، فلم يعد هنالك تمييز بين فئة واخرى في نظرتهم الى الاجانب فقد طغت العاطفة القومية كما كانت الحال في فلسطين . ولا نكون في ان فلسطين ، وما احيط بها من ظروف قاسية ، كانت اشبه بالبوتقة التي صهرت الفئات المختلفة فاخرجتهم عربا ينطقون بلسان واحد ويتعرون بعاطفة واحدة واتجاهات واهداف واحدة . وبعبارة اخرى ان القومية العربية كانت في تلك البقعة العربية ابرز ما تكون قوة وانسجاما ، بل اننا نستطيع ان نعزو الى فلسطين وما سببته محنتها من تلاقي عواطف العرب الفضل الاكبر في نمو الروح القومية .

---

(١) رياط ص ٢١ من حديث للكولونيل لورانس

(٢) ارسلان — لماذا تأخر المسلمون ص ١٣٦ (٣) ارسلان — الوحدة العربية ص ١٧

(٤) قد نستطيع ان نرجع نظرة المسلمين للاجانب من افرنسيين وبريطانيين الى تشابك العاطفة الدينية والعاطفة السياسية فكل تحد سياسي من قبل هؤلاء كان يفسره المسلمون بانه تحد موجه الى الدين مباشرة .

وتميز الميدان السياسي في تلك الحقبة بانتشار روح الشكوى وحب الاعتراف والاسترسال في الحديث وخاصة في المواضيع السياسية . وقد لمس هذه الظاهرة الكاتب " ريلاكلاو " روم لاندو " فقال ان سورية تشكو من فرط الحيوية السياسية تلك الحيوية التي لم يكبحها ضابط نفسي او وعي اجتماعي . يقول الكاتب المذكور لا انه ادرك بعد الدقائق العشر الاولى من مقابلته لبعض رجالات البلاد ان الساسة السوريين يرسلون انفسهم على سجيتها وخاصة امام الاجنبي المحايد حيث تزداد رغبتهم في الاعتراف والشرح والشكوى ... (١) .

والى جانب هذه الظاهرة يبرز الميل الى المعارضة التي كانت تنتج غالبا عن حرد سياسي اذا صح التعبير (٢) . فكما تلمس لدى بعض المشتغلين في القضايا الوطنية نزعة الى المطالبة بثمن الجهاد والتضحية وقد بدت هذه الروح في سورية عقب معاهدة ١٩٣٦ عندما تسلم الوطنيون مقاليد الحكم فكما تسمع الانتقادات والشكوى تلقى جوابا من الذين لم ينالوا حظا من وظائف الدولة . وكانوا الى وقت قريب يسيرون على رأس كل مظاهرة ويفاخرون بالقاب الجهاد ، ولما افلت امرهم اندفعوا الى المعارضة والتشهير على الوضع القائم .

ومن المظاهر السياسية وجود فئة من الساسة المحترفين الذين " يلبسون لكل حالة لبوسها ويقضون ايامهم في تكييف مبادئهم حتى تستوى مع الواقع "(٣) . وهم يقولون تارة بالوحدة العربية وطورا ينادون بالاقليمية الضيقة ، وآنا يدعون للتعاون مع الاجنبي وحينا آخر يترأسون حركة الجهاد السلبي . ومن المرجح ان للاطماع الشخصية والرغبة في استغلال الظروف القائمة ، اثرا كبيرا في هذا التحول .

ويطبع الاتجاه السياسي ايضا ذلك التعلق بالاقليمية " التي تتجلى بالوضع الراهن الذي ارتضته الاقطار العربية بعد ان رسم خريطتها الاجنبي بعد الحرب العالمية الاولى وقسمها الى ممالك وجمهوريات منفصلة بعضها عن بعض " (٤) . ويمكننا ان نرجع التعلق بالاقليمية في بعض المناطق الى بعض النزعات الدينية التي حاول الاجنبي استغلالها . على ان الناحية التي ادت الى استمرار هذه النزعة انما تعود الى تمسك الحكام والرؤساء بما وصلوا اليه من نفوذ وسلطان . وما ذلك الا اثر من آثار الانانية التي تطبع كثيرا من مظاهر الحياة العربية .

---

(١) لاندو ص ١٤٢

(٢) دروزة ج ٢ ص ٧٠ — ٧١ يشير الى نشوء المعارضة عن هذا الطريق

(٣) " غيوم عربية " ص ٦٤

(٤) الابحاث - السنة الرابعة (١٩٥١) الجزء الثاني ص ١٢٩ من مقال للدكتور نبيه أمين فارس بعنوان " العرب في النصف الثاني من القرن العشرين "

اما فكرة الوحدة او الاتحاد فلم تكن قد تركزت في الاذهان ولم تنل حظها من الدرس والتمحيص فتضاربت حولها الاقوال وظهر الاختلاف في تعيين الاساليب وتفهم الملابسات التي تقود الى هذا الهدف . على ان هنالك بعض اشارات صائبة حول ما يصح ان تكون عليه طبيعة كل حلف او اتحاد عربي . من ذلك ما قاله الدكتور شهبندر ان " قاعدتنا في تحديد الحلف العربي القادم هي قاعدة ليس فيها دم ولا حديد كقواعد المتغلبين ... بل قائمة على تجاذب روحي يناسب المستوى العقلي الذي بلغناه ويجمعها قولنا طاقة الثقافة العربية باوسع معانيها ان تضم تحت جناحيها جميع العناصر التي اكتسبت التماثل والتجانس بفعلها . واما ما لا تتسع له مدتها فيكون خارجا عن حوزتها ."(١)

وجملة القول لقد تشبع الجو العربي بالمؤثرات الخارجية واردحمت عليه مخلفات الماضي القريب والبعيد ، فكان من الطبيعي ان تشهد بلبلة في الاوضاع وحيرة في الاتجاه نتيجة لاصطراع المؤثرات المختلفة . وزاد في هذه الحال وجود الاجنبي في البلاد مما ولد عددا من المشاكل كان على العرب ان يتصدوا لمجابهتها . ولم يكن الشعب قد بلغ درجة من الوعي والنضج السياسي تمكنه من اتباع سياسة مرسومة والسير في اتجاه اصلاحي مناسب . ولذلك فقد تعددت الاتجاهات وتضاربت الاراء واتسمت بعض تصرفات العرب بطابع الارتجال حتى اننا لا نجد ارتباطا كبيرا بين مقدمات الاحداث التي جابهها العرب وبين نتائج تلك الاحداث فكأن ظروف الحوادث وملابساتها لم تكن تدخل في حسابهم وتقديرهم للمواقف الدقيقة . على ان الجو السياسي لم يخل من نظرات صائبة اذا قدر لها النمو والتكامل تسير بالقافلة العربية نحو مستقبل افضل .

---

(١) المقتطف المجلد ٨٤ يونيو ١٩٣٤ ص ٧٣٨

الفصل الثالث

الاتجاه الاجتماعي

تمهيد : لا حاجة للرجوع الى الوراء والبحث في بطون الكتب للوقوف على حال المجتمع العربي منذ بضعة عقود من السنين فانما مشاهد حية لذلك المجتمع تتمثل الى جانب اوضاع جديدة تتفاعل تفاعلها في مظهرها وقد لا تختلف عنها كثيرا في مضمونها . لقد تسربت مؤثرات الحضارة الغربية الى بلاد الشام منذ القرن السابع عشر واخذت في الازدياد تدريجيا حتى كانت الحرب العالمية الاولى فاذا بالحالة تتحول من تسرب تدريجي واقتباس شخصي الى احتكاك وتدفق مباشرين ، ولكن المجتمع العربي لم يكن على حالة واحدة من الاستعداد لقبول هذه المؤثرات او معارضتها . فسكان الساحل مثلا كانوا ، بفعل العوامل الاقتصادية وازدياد المواصلات ، اقرب الى الاحتكاك والتأثر من سواهم . وسكان المدن بصورة عامة تعرضوا للمؤثرات الحضارية اكثر من سكان الارياف . وهناك عوامل اخرى من دين وتقاليد تاريخية واجتماعية قد فرضت وجودها في طريقة النظر ونوع الاستجابة للحضارة الغربية .

وعلى العموم كان المجتمع العربي ولا يزال في عراك مستمر بين تقاليده وعاداته القديمة وبين الاساليب والعادات الغربية الجديدة . على ان المظاهر المادية للحضارة الغربية قد اخذت بالانتشار ولاقت استعدادا طيبا لقبولها والتمتع بفوائدها . وشهد المجتمع العربي عددا من المظاهر المختلفة التي تكشف عن طبيعة الاتجاه الاجتماعي ما بين الحربين . وتتجلى هذه المظاهر بالامور الاساسية التالية :

١ — المجتمع العربي بين التقليد والتجديد
٢ — طبقات المجتمع واتجاهاتها
٣ — الحياة الاجتماعية بين المدينة والريف
٤ — المرأة والاسرة العربية
٥ — حركة التعليم
٦ — الحركات التنظيمية
٧ — طبيعة الاتجاه الاجتماعي

١ — المجتمع العربي بين التقليد والتجديد :

لا تقف قابليات المرء للتطور عند تكوينه الطبيعي ومواهبه الفطرية وانما هناك عوامل مختلفة

تؤثر في اتجاه الانسان ، فحياته الاولى في البيت ومحيطه الذي ينشأ فيه ، ثم المدرسة والافراد الذين يعاشرهم ، وما يذخر به المجتمع من تقاليد وعادات ومثل اخلاقية ودينية وما الى ذلك ، كل هذه الامور لها مقام هام في تكوين شخصية الانسان . فالتطور لا يمكن ان يفرض من جهة واحدة لان النمو بطبيعته عملية تنبع من ذات الشيء بفعل المؤثرات المختلفة . وهذا ما يفسر تماثل الاوضاع الاجتماعية وتلونها . فهنالك اقبال وادبار ، صراع وترحيب ، بل هنالك ازدواج في النظر لمظاهر الحياة الغربية التي اخذت تغزو البلاد العربية .

لقد سارت الحياة العربية شوطا بعيدا في مظاهرها الخارجية وتقدمت في محاكاتها للحياة الغربية ولكن المظاهر القديمة لا تزال قائمة ، فترى الجمل الى جانب السيارة في شوارع دمشق ، وتشهد في اكثر المدن تعدد الازياء بين شرقية وغربية [1] . ولكن مما لا شك فيه ان قضية الانسجام في المظهر انما تتوقف على الزمن وعلى ازدياد المواصلات التي كانت عاملا هاما في تهيئة السبيل للتبدل الذي طرأ على المجتمع العربي . ولم تخل قضية المظهر من تلفت الى الوراء في بعض الاوساط كاثر من آثار النفور من الاجنبي [2] . على ان الامر في جوهره لم يكن قضية ازياء ومظاهر فالحياة العربية ظلت متأرجحة بين التطلع الى الماضي ومثله وتقاليده وبين الاخذ بالمدنية الحديثة .

هنالك من يرى ان الموقف في العالم العربي انما هو " موقف تفريط وجمود وصفته البارزة هي التمسك بالقديم لقدمه وانقياد الى سنن الاباء والجدود انقيادا اعمى حتى كادت بعض اقطاره تعد من عالم القرون الوسطى . ولا يتهم صقع من اصقاعه بالثورة الاجتماعية كما يفهمها العلم ... " [3] . وفي الواقع ان هذا الحكم لا يخلو من تصوير صادق لحال بعض الاوساط العربية الا اننا نلمس في الوقت نفسه عددا من الاتجاهات في ميدان الحياة الاجتماعية . فهنالك نفر من الناس بينهم عدد كبير من القادة الدينيين قد صرفوا انظارهم عن امكانيات العالم الجديد ونظروا اليه كقوة يجب ان تقاوم [4] و " هنالك فريق ... بلغت بهم مؤثرات الحضارة الغربية مبلغا عظيما ... فاقبلوا على كل شيء غربي اغث كان اسمينا وولوا ظهورهم جميع ماضيهم ... " [5] . وثمة فريق ثالث وهم العدد الاكبر من مفكري العرب ، لم يحبذوا

---

(١) الشرتوني ص ٢٨ — ٢٩ يشير الى تعدد الازياء والمشارب وذلك عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ وقد سجل الظاهرة نفسها الرحالة المصري محمد ثابت في كتابه " رحلة في ربوع الشرق الادنى " ص ٣٤ عام ١٩٣٦.

(٢) المشرق المجلد ٢٩ مايو ١٩٣١ ص ٣٨١ — ٣٨٢ اشارة الى الدعوة لايجاد لباس للرأس مطبوع بالطابع العربي يحل محل الطربوش والقبعة

(٣) المقتطف المجلد ٨٠ فبراير ١٩٣٢ ص ١٦٩ من مقال للدكتور شهبندر

(٤) حوراني ص ٧٣ (٥) حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٢٧٣

الانسياق مع الحضارة الغربية الى النهاية ولكنهم اقروا بان حضارتهم مريضة ولم يغفلوا عن شرور الحضارة الغربية الا انهم رأوا فيها خيرا كثيرا يمكن ان يساعد على اصلاح الحضارة العربية واعادة تكوينها . وهم يؤمنون ان لدى العرب ... مواهب خلاقة خاصة بهم كما ان عليهم ان يقوموا بدورهم الخاص في التاريخ الانساني (١) . " ولقد غدا كل عربي مثقف من سكان المدن مدفوعا الى العيش في عالمين لا في طريقة التفكير فحسب ولكن حياته الاجتماعية اليومية قد اصبحت اكثر تأثرا باوربا واسرع مع انه في شعوره لا يزال عربيا وسطا كالمعتاد ..." (٢) .

وفي ميدان الاقبال على الحضارة الغربية كان لبنان اسبق من غيره الى ذلك لانه كان اكثر تعرضا لموثراتها . فقد اخذ اللبنانيون " مدنية الغرب من مدارسه هنا وبالاختلاط باهله وراء البحار بلا قيد ولا شرط على حين كان غيرهم ولا يزالون يأخذونها ببعض الحذر والحيطة "(٣) . على ان اللبنانيين في مجموعهم لا يمثلون اتجاها واحدا وانما تتلاقفهم تيارات مختلفة كما هي الحال في الاقطار العربية الاخرى وان كانوا في طريقة حياتهم والوان معيشتهم اقرب الى المظاهر الغربية من سواهم . وفي الواقع ان المسيحيين وخاصة في لبنان يمثلون الفريقة الاكثر تأثرا بالحضارة الغربية .

ومهما يكن من امر فان المجتمع العربي مشهد متغير لم تستقر احواله حتى الان . ولقد تكشف عن تبدلات مختلفة في طراز المعيشة واساليب التعامل وفي بعض مناحي التفكير . على انه لا يصح ان يفهم من هذا التبدل انه تحول مطلق من نظام اجتماعي الى آخر وانما كان الامر اقرب الى الخليط المتنافر الالوان احيانا كما سيتضح ذلك من مجموع ابحاث هذا الفصل .

٢ — طبقات المجتمع واتجاهاتها :

ان انقسام المجتمع الى طبقات شيء واقعي قل ان يخلو منه مجتمع امة من الامم . ويبدو هذا الانقسام بشكل ظاهر في المجتمع العربي فقد تعددت طبقاته وتميزت فيما بينها بتفاوت في الثروة والنفوذ .

كان المجتمع العربي ايام الحكم العثماني في حالة اقطاعية تتحكم فيه طبقة الملاكين الذين كانوا يجمعون الى ثروتهم سلطة تنفيذية تقوم على جباية الضرائب وتأمين الجنود للدولة . ولما ارتفع حكم الدولة العلية عن ديار الشام ، احتفظت هذه الطبقة ببعض نفوذها وسطوتها وان كانت قد فقدت سلطانها التنفيذي . على انها قد استمرت في تصدرها مستغلة ما كان لها من مكانة في الماضي واحاطت

---

(١) حوراني ص ٧٤ (٢) المصدر نفسه ص ٧١
(٣) كرد علي — خطط ج ٦ ص ٢٩٩

نفسها بسياج من النسب العائلي الذي لا يزال يحتفظ باثره في نفوس الشعب (١) . ولقد عملت هذه الطبقة احيانا في ميدان النضال السلمي ضد السيطرة الاجنبية مما حفظ لها مكانتها ايضا مع ان بعض افرادها لم يتأخر عن مطأة السلطات الحاكمة طمعا في ازدياد نفوذه .

اقبلت هذه الطبقة على المدنية الغربية وخاصة ناحية الترف منها واصبح هذا المظهر مدعاة للفخر والاعتزاز (٢) . ويختلف كيان هذه الطبقة بين قطر واخر من الاقطار العربية فهي في مصر والعراق اكثر بروزا منها في بلاد الشام . وتتحلى الطبقة العليا احيانا بصفات طيبة كالكرم مثلا الا انها في الوقت نفسه يغلب عليها حب الرياسة والتحكم والنظر الى ما للغير نظرة الاستعلال (٣) . وتتميز غالبا بانصرافها عن المشاريع الاقتصادية فقد ورثت المال عن ابائها فراحت تبدده في ميدان الترف او تكنزه في الصناديق او المصارف (٤) . ولقد طرأ بعض التغيير على احوال الطبقة العليا في فترة ما بين الحربين فتقلصت ثروات وظهرت اخرى على ان الاوضاع الاساسية تسير في تغير بطيء وليس هنالك من طبقة اجتماعية واعية او قوية تحل محل الطبقة الانفة الذكر ، فلم تتكون في البلاد طبقة صناعية متوسطة ولكن هنالك طبقة تجارية في المدن اخذة في الازدياد الا انها ليست مستقلة ولا قادرة على تحدي سلطة الملاكين وكثيرا ما ترتبط بهم عن طريق التزاوج ...(٥) .

اما الطبقة الوسطى فتؤلف فئة كبيرة من افراد الشعب في ديار الشام ، فهي تضم اصحاب الحرف ورجال الاعمال وتجمع اليها الفئات المتعلمة وجمهور الموظفين واصحاب الملكيات الصغيرة . ففي لبنان مثلا لا يحتكر الاغنياء ملكية الاراضي بل " هي منقسمة ومملوكة من جميع طبقات الشعب وقلما تجد عائلة لبنانية لا تملك شيئا " (٦) وكذلك فقد كانت فلسطين تضم عددا من الملكيات الصغيرة ايضا (٧) .

تظهر الطبقة المتوسطة في المدن بشكل بارز حيث نمت بعض المشاريع الاقتصادية وتكونت بعض الملكيات مما اخل قليلا بتوازن الطبقة العليا . والطبقة المتوسطة تحاكي غالبا الطبقة العليا في ضروب معيشتها ومظاهرها الخارجية . وهي تتمتع بحظ من التعليم اقبلت عليه حبا في وظيفة او رغبة في ادارة اعمالها التجارية . وهي تتطلع او للاستفادة من بعض نواحي المكاسب التي تتطلب ضربا من المعرفة .

---

(١) الشرتوني ص ٧٤ — ٧٥ يشير الى مكانة ابناء العائلات القديمة
(٢) كرد علي خطط ج ٦ ص ٣٣٥ يذكر مثالا عن مظاهر الترف بين الاغنياء
(٣) الزركلي ص ٨٥ (٤) الشرتوني ص ٧٦ وص ٧٨
(٥) حوراني ص ٩١ — ٩٢ (٦) الشرتوني ص ٧٩ — ٨٠
(٧) المكتب العربي — مشكلة فلسطين ص ١٣٧

ومظاهر هذه الطبقة آخذة من التقارب من المظاهر الغربية وخاصة في المدن وتشي بينها عادة محاكاة الافرنج بالتكلم بلغتهم وكثيرا ما نسمع ٪ من يمزج في حديثه بين اللغة الاجنبية ولغته العربية تظاهرا بالرقي وكذلك الحال في ارتياد الملاهي والانسياق مع تيار الازياء وضروب التقليد المختلفة(١). على انه لا نكران في ان الفئة المتنورة من هذه الطبقة قد ساهمت مساهمة بارزة في الحقل الوطني وكان لجهودها اثر طيب في قيام بعض الحركات التنظيمية كانشاء بعض النوادي والمؤسسات الاجتماعية وتكوين الحركة النقابية للعمال (٢).

وتلحق بالطبقة المتوسطة او تعلوها احيانا طبقة رجال الدين التي احتفظت بنفوذها وخاصة بين العامة. على ان هذه الطبقة لم تتصرف قاليا الى العمل الديني واصلاح فساد المجتمع وانما هي احدى فئتين : فئة قليلة صالحة صدفت عن كل عمل اصلاحي لغلبة اليأس عليها وفئة كان رجالها " اقرب الى امتهان الدين باعمالهم ، يأتون ما لا ينطبق على جلال منزلتهم فقد فشت المطامع فيهم واستغلوا الاموال ... واعوا للاحتفاظ بمظاهرهم القديمة من الاعمال ما بدت به مظاهرهم فقضوا بفساد زعمهم على اوضاع الامة " (٣).

اما الطبقة الدنيا او الطبقة العامة فقل ان يخلو منها مكان . تراها في الحقول والمزارع كادحة لتأمين لقمة العيش وتشاهدها في الشوارع والازقة تمتهن ابسط الحرف وتمارس الاعمال الشاقة او تستجدي اكف المحسنين (٤). ولقد توفر لهذه الطبقة بعض الكسب المادي ولكنها لم ترتفع كثيرا عن مستواها الوضيع. وتتميز هذه الطبقة بانها اكثر الطبقات الاخرى احتفاظا بالتقاليد والعادات القديمة ، وهي في بلاد الشام اسعد حظا منها في البلاد العربية الاخرى فلا تقاس بنظيرتها في وادي النيل مثلا . والطبقة الدنيا لا تشكل فئة كبيرة في لبنان(٥) ومع انها لا تزال في اكثر نواحي بلاد الشام غير متحررة من عبودية الملاكين في المناطق الزراعية او تحكم اصحاب الاعمال في المدن ، الا ان عددا من افرادها قد اخذ بالتفلت للعمل مستقلا لنفسه سواء بالنزوح عن القرى الى المدن او عن طريق الانخراط بالجندية كما حدث ايام الانتداب (٦) او بالهجرة من منطقة الى اخرى طلبا للرزق . والمعهد الاول لهذا التحول البطيء انما هو ازدياد المواصلات وظهور موارد جديدة للعيش غير موارد الارض المحدودة.

---

(١) الشرتوني ص ٢٩ وكرد علي — خطط ج ٦ ص ٣٠٤
(٢) المكتب العربي — مشكلة فلسطين ص ٤٦ و كرد علي — خطط ج ٦ ص ٣٣٧ يشيد بنشاط الطبقة الوسطى
(٣) كرد علي خطط ج ٦ ص ٣٢٤ (٤) زريق ص ٦٩ — ٧٠ يشير الى حال هذه الطبقة
(٥) الشرتوني ص ٨٢ (٦) لقد استغل الافرنسيون في سورية هذه الظاهرة ففتحوا باب التطوع للجندية لابناء هذه الطبقة لقاء رواتب اعتبرها هؤلاء موردا طيبا للرزق .

بذلت هذه الطبقة ايام الانتداب جهودا طيبة في الحقل الوطني . ولئن كانت القلة المتنورة بمثابة الروح المحركة للنضال في ذلك الوقت فقد كانت الطبقة الدنيا القوة العاملة في ذلك الميدان . فقد لبت نداء رجال البلاد في اكثر المناسبات سواء بفعل النجدة الاقطاعية او عن طريق الغيرة على التقاليد التي يهددها النفوذ الاجنبي . ففي السنوات الاخيرة بدأت هذه الطبقة تتحسس وجودها قليلا عن طريق بعض الدعوات التي اخذت تتسرب الى صفوفها فتراها احيانا ترفع صوتها مطالبة باصلاح اوضاعها الفاسدة . على ان هذه الحركات لم تخرجها عن تبعيتها ، فاذا كانت تسير في الماضي قلة بقوة المتنفذين من الزعماء فهي تسير اليوم بقوة من يحاول التزعم عليها عن طريق الدعاية الواسعة للاصلاح . وهذا ما يجعلها قوة صالحة لبناء الامة اذا حسنت القيادة وخلصت النيات .

والى جانب الطبقات الانفة الذكر يؤلف البدو في بلاد الشام طبقة قائمة بذاتها لها اتجاهات خاصة واساليب معينة من السلوك والعيش وهم يقيمون في بادية الشام والجزيرة الفراتية وتتصل مضاربهم جنوبا بالجزيرة العربية . تسير حياة البدو سيرا رتيبا حتى ان حالهم اليوم لا تفترق عن حالهم منذ عشرات السنين لولا بعض الوسائل المادية الحديثة التي اخذوا في استعمالها . لقد احتفظ البدو بكل ما عرف عنهم من خشونة العيش وحب الغزو والاسراع الى الثأر والنزوع الى التحرر من كل قيد والنفور من كل سلطان غير سلطان القبيلة حتى انهم يعتبرون بحق خير من يمثل العبقرية الفردية (١) . وظلت حياة البادية في نظرهم هي الحياة المثلى ولا يزالون يؤمنون بعلو مكانتهم ويرون في الحضري شخصا دونهم في المرتبة والمقام . والبدو مسلمون او مسيحيون بالاسم فقط ولكن لهم مثلهم الدينية وتصوراتهم الخاصة حول القدرة الالهية (٢) والحياة الاخرى (٣) . واحتفظ البدو بعادة الكرم فهم يقدمون لضيوفهم خير ما يملكون وعلى النقيض من ذلك فهم " يحبون المال حبا جما وقد يرتكبون في سبيل الحصول عليه افظع الجرائم "(٤) .

وحياة البدو بصورة عامة لا تختلف عما كانت عليه منذ قرون عديدة . فهم يحترفون تربية الماشية ولذلك فهم يتنقلون من مكان الى اخر طلبا للكلأ لتامين حياة مواشيهم . وتخضع حياتهم لنمط معين من المعاملات متعارف عليها فيما بينهم فهم لذلك يؤلفون دولة ضمن الدولة لها شروطها واحكامها الثابتة م

---

(١) لورانس ص ٣٩ (٢) سلمان ص ١٥١ يذكر انهم يعظمون الله بحديثهم كشيخ طوى مراحل الحياة فلعب البياض بلحيته . وطورا يعظمونه بفاتحة ربما يجول في الاقطار باقل من لمح البصر
(٣) الهلال المجلد ٤٠ دسمبر ١٩٣١ ص ٢٢٦ من مقال للدكتور شهبندر عن جولة له في مضارب البدو يذكر فيه انه عرف من احاديثهم انهم ينكرون الاخرة
(٤) المصدر نفسه ص ٢٢٩

وقد اقرتهم سلطة الانتداب على هذا النمط من التصرفات واقامت لهم مؤسسة خاصة للاشراف على شؤونهم تتبع في احكامها الاسلوب المتعارف عليه بين العشائر البدوية (١) . على ان البدو البدو في بلاد الشام قد اعتادوا في الماضي على التنقل من مكان الى اخر بين سورية والعراق والجزيرة العربية لا يعترفون على حدود فحاولت سلطات الانتداب ان تحد من هذه النزعة قدر الامكان وعملت على حصر القبائل البدوية في نطاق الحدود التقليدية التي رسمتها المصالح السياسية (٢) .

والبدو في بلاد الشام ليسوا جميعهم رحلا فهناك فريق منهم يتعاطى الاعمال الزراعية احيانا وفي هذه الحال تقل تنقلاتهم ولذلك يعتبرون نصف رحل ويكثر وجودهم في فلسطين (٣) والجزيرة الفراتية في شمالي سورية . واستقرار البدو يسير بشكل بطيء فليس هناك مناهج خاصة موضوعة لتحضيرهم . اما موقفهم من الدنيا الحديثة فهو موقف اللامبالاة فلم تغير شيئا من نزعاتهم واتجاهاتهم ولكنهم في الواقع قد بدأوا يتأثرون باحوالها المادية واخذوا يستخدمون بعض وسائلها . فقد غدت السيارة احدى وسائل تنقلاتهم واصبح مما يميز مضرب شيخ القبيلة وجود سيارته في خيمة قرب المكان الذي تحرك فيه جماله (٤) . واذا كانوا في القديم يستخدمون الخيول لمطاردة الغزلان فالسيارة اليوم هي الاداة الاساسية لهذا الغرض . ولئن كان البدو في مجموعهم لا يزالون في حالة بدائية وفي مستوى من العيش لا يحسدون عليه ، فقد اصبح ذوو اليسار منهم وخاصة شيوخ القبائل ينعمون باطايب العيش ويتنقلون بين المدن والمصايف مقبلين على التمتع بالنصيب الاوفر من عيث المدنية الحديثة ولهوها .

على ان الحرب العالمية الثانية وما نتج عنها من حصر اقتصادي ادى الى ارتفاع المواد الغذائية كانت عاملا اساسيا دفع سكان الجزيرة الفراتية من البدو الى استغلال التربة الخصبة عن طريق الزراعة . ولذلك فلص بينهم ميلا ظاهرا في هذه الايام نحو حياة الاستقرار . والجلي في الامر ان الدافع مادي في الدرجة الاولى فهم في حياتهم هذه يرغبون المرعى لمواشيهم ويؤمنون خير الموارد عن طريق الزراعة نظرا لخصب التربة في تلك البقاع . على ان هؤلاء المزارعين من البدو لا يزالون يفضلون السكنى تحت خيامهم اكثر من سكنى البيوت على غرار الحضر (٥) .

---

(١) ياسين مظهر — «الوضع القبلي في سورية» ص ٦١ يشير الى السياسة التي سلكتها الدولة المنتدبة تجاه البدو

(٢) حمادة — النظام الاقتصادي في سورية ولبنان ص ١٣

(٣) حمادة النظام الاقتصادي في فلسطين ص ٤٣

(٤) مونتان ص ٢٠٠ (٥) المصدر نفسه ص ١٩٠ — ٢٢٦ يعقد فصلا عن استقرار البدو ويتناول بدو الجزيرة الفراتية بالحديث واضعا تدرجهم نحو الاستقرار .

وجملة القول ان فترة ما بين الحربين قد غيرت عددا من المظاهر الاجتماعية . ومع ان المجتمع العربي لا يزال يتميز بتعدد طبقاته الا انه ان هذه الطبقات قد اخذت بالتقارب ولو بشكل بطيء ولا شك ان انتشار حركة التعليم التي سيأتي الكلام عنها قد افقدت الطبقة العليا جانبا من مكانتها التقليدية كما نال من تلك المكانة ظهور ثروات جديدة ناتجة عن طريق التجارة وبعض المشاريع الصناعية وكان للحرب العالمية الثانية اثر كبير في تبدلات كثيرة اصابت عددا من مظاهر الحياة في المدن بصورة خاصة .

٣ — الصلة الاجتماعية بين المدينة والريف :

ذكرنا ان المجتمع العربي قد شهد تبدلات مختلفة اصابت طبقات المجتمع ومظاهر الحياة والوان المعيشة . ويجمع الان ان نلقي نظرة سريعة على احوال المدينة والريف في سيرهما المتطور بعد الحرب العالمية الاولى لنرى بعض ما حققته من نمو او سجلته من ركود .

طرأ على مظاهر الحياة العربية قبل عهد الانتداب بعض التبدل ولكنها كانت تسير سيرا بطيئا في هذه الطريق . وكانت العادات متشابهة بين جميع الطوائف الا ان المسيحيين كانوا اكثر ميلا لتعديل عاداتهم " لانهم اسرع الى التعلم من الاكثرية " (١) . وفي عهد الانتداب ظهر تبدل في عدد من نواحي الحياة ، فعادات الزواج مثلا كانت تتبع سلسلة من التحريات السرية من قبل الاهل في البحث والتنقيب عن فتاة تصلح زوجة لابنهم . يقابل ذلك تحريات مماثلة يقوم بها اهل الفتاة ايضا (٢) . والامر الجوهري في هذه الناحية ان الزواج كان يتم حسب رغبة الاباء بالدرجة الاولى ولم تتلاش هذه العادة من بعض البيئات حتى الان . على اننا نشهد في بيئات اخرى تحررا من كل هذه القيود " واصبح الشاب حرا طليقا في اختيار الفتاة التي يريدها فهو يتردد عليها مرارا ويعاشرها مدة من الزمن قبل قرانه بها لانه لم يعد عبدا للتقاليد الوراثية البالية بعد اقتباسه التمدن الحديث " (٣) .

وارتقت احاديث المجالس في هذه الفترة واصبحت تتناول الشؤون العامة وخاصة السياسية منها ولم تكن في الماضي تتعدى احاديث البطون والامور الجنسية الا قليلا (٤) . وتغيرت سبل اللهو ايضا فبينما كان فريق من الاهلين يصرفون لياليهم في مشاهدة خيال الظل " قره كوز " ويستمعون الى احاديث اسطاذ هذا الفن التي تتضمن كثيرا من المواعظ الاخلاقية والانتقادات الاجتماعية (٥) اذا بهم يتنقلون بين

(١) كرد علي — خططج ٦ ص ٣٠٦
(٢) الصدر نفسه ص ٢٨٤ — ٢٨٥ تفصيل لذلك
(٣) الشرتوني ص ٤٦
(٤) كرد علي — خططج ٦ ص ٢٨٧
(٥) المصدر نفسه ص ٢٨٦ — ٢٨٧

دور السينما واماكن اللهو والشراب التي ازداد انتشارها على مر الايام ولاقت تشجيعا من السلطة الحاكمة ايام الانتداب (١) . ولقد طغت العادات الغربية وخاصة في لبنان " فبعد ان كان اللبناني يأكل واهله وضيوفه على سفرة في الارض او على خشبة مستديرة من صحفة واحدة ، يادوات منها الخزف ومنها ملاعق من الخشب من صنع البلاد ، اصبح يجلس الى خوان واطم صحاف وملاعق وشوكات وسكاكين وفائدة مغطاة بثوب ابيض وعلى يده منديل الغمر ابيض ، والوان الطعام تأتيه ارسالا . واكثر هذا محسوس الاثر بين المسيحيين ولا سيما سكان الساحل " (٢) ... وانتشر الرقص الافرنجي في بيروت وفنادق لبنان الكبرى كما فشت عادة المقهوة في كثير من الاوساط (٣) . ولم يقتصر الامر على لبنان ولكن مظاهر الحياة الغربية هي ابرز ما تكون في الساحل وتأخذ في التناقص في الاوساط الداخلية النائية .

ومهما يكن من امر فان المدن العربية في بلاد الشام لا تزال تجمع النقيضين ، ففيها من مظاهر القدم ما يصح ان يعزى للقرون الوسطى وفيها من مظاهر التجديد ما يحاكي احدث البيئات الاوروبية . وتعتمد المدن في حياتها على التجارة والصناعة الا ان الصناعة في حد ذاتها كانت مقصورة على الحرف اليدوية التي تقوم على نشاط الافراد بصورة مستقلة . واكثر الشركات التي ظهرت في البلاد في عهد الانتداب قد بدأ بها الاجانب (٤) . على ان الحرب العالمية الثانية قد حققت بعض الازدهار في ميدان الصناعة مما ساعد على رفع مستوى المعيشة . وفي الواقع نلاحظ اليوم اقبالها هائلا في مظاهر المدن فالبنايات الحديثة تنتظم كثيرا من الاحياء وبعض المعامل آخذة في الانتشار في الضواحي . وغدا اقتناء السيارة اكثر فشيا من حب اقتناء الخيول لدى سكان البادية .

ومما يميز سكان المدن وخاصة الشباب منهم استنكافهم عن القيام بالاعمال الزراعية " لانهم يعتقدون بان ذلك يحط من كرامتهم ويضع من قدرهم " (٥) . وهذه النزعة متفشية بين المتعلمين ولو تعليما ضئيلا (٦) . حتى ان هؤلاء قد غالوا في الامر وصدفوا عن الحرف الصناعية بصورة عامة . ومقابل ذلك فقد تطلعوا الى الوظيفة كهدف اساسي في نظرهم . ولعل مرد ذلك الى عدم توفر المجال امام الشباب للعمل في الحقول الاخرى . وقد نستطيع ان نرجع هذه النزعة في نفوس الشباب الى رغبتهم في الحصول على الفائدة من ايسر سبيل وفي اسرع وقت ممكن ، فالحاضر يعنيهم اكثر من المستقبل وهم يخشون المجهول وقد تكون لحالة البلاد القلقة آنذاك اثر في ذلك .

وهنالك في المدن العربية نوع من التكتل الطائفي ابرزته في الارياف . وتمارس بعض الطوائف ضربا

---

(١) ثابت ص ٣٠

(٢) و (٣) كرد علي — خطط ج ٦ ص ٣٠٢ والشرتوني ص ٥٣ يشير الى اقبال الشباب على انواع اللهو

(٤) الشرتوني ص ٣٤ يشير الى ذلك (٥) المصدر نفسه ص ٥٤

(٦) محاضرات الندوة — النشرة السادسة — اكتوبر ١٩٤٧ ص ٣٢٠ من حديث لسعيد حمادة .

من الانعزالية في حياتها فلها احياؤها الخاصة ولا تزال تسمع في بعض المدن بتسميات مثل " حارة النصارى " و " حارة اليهود " و " حي الدروز " . وعلى ذلك نرى ان بيئتنا في " تنوع عجيب في العناصر البشرية منها القديم ومنها الحديث ومنها الاحدث ، يمتاز كل منها بالشارة الطائفية وبما يجره اختلاف الطوائف من اختلاف في الاحوال الشخصية ، وبالتالي من اختلاف في المبادىء الاخلاقية على نقاط جوهرية تتجاوز الحياة العائلية الى الحياة الاجتماعية فالى حياة الاعمال والمكاسب " (١) . وهذه الظاهرة بينة في لبنان اكثر منها في الحال في الاجزاء الاخرى من بلاد الشام . ولكن هذا الصراع المشار اليه يعمل في صمت وهو آخذ في الخفوت بين مظاهر الوطنية والقومية التامة يوما بعد يوم .

وثمة ظاهرة اخرى في المدن وهي انها قد اصبحت محط انظار سكان الارياف لا يقبلون عليها للتبادل التجاري فحسب وانما يهاجرون اليها من قراهم املا في رفع مستوى معيشتهم . فبينما كانت نسبة سكان المدن الكبرى في لبنان عام ١٩٣٢ ، ٣١ بالمئة اصبحت سنة ١٩٤٢ ، ٣٤ بالمئة (٢) . وارتفعت في فلسطين نسبة سكان المدن من المسلمين من ٢٣,٥ بالمئة عام ١٩٢٢ الى ٢٦,٩ بالمئة عام ١٩٣٥ (٣) . وليس لدينا احصاء عن تطور نسبة النزوح الى المدن اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ولكن الواقع يؤكد ازدياد هذه النسبة واصبح العمل في المدن محط انظار الكثيرين من سكان الارياف .

والحياة في الريف العربي اكثر تعلقا بالقديم وملازمة لسننه الماضية ومع ذلك فقد شهدت شيئا من التبدل في مظاهرها . فقد قضت المواصلات على كل عزلة وكان لحركة الاصطياف اثر بارز في هذا التطور . على ان الحال تختلف بين مكان وآخر ، فبعض قرى الريف اللبناني مثلا قد اخذت ببعض مظاهر المدنية الحديثة بما توفر لديها من مال عن طريق الهجرة وبواسطة سكان المدن الذين يؤمونها للاصطياف في ربوعها . وفي المناطق الاخرى من بلاد الشام لم تشهد القرية تطورا واسع النطاق ولا تزال القرى في اماكن كثيرة تتشكل كتلا من البيوت المتراصة المبنية من الحجارة في بعض المناطق الساحلية والجبلية ومن اللبن في المناطق الداخلية (٤) .

امتدت حركة التعليم الى عدد وافر من القرى في بلاد الشام وهذا يشير تطور تدريجي يصيب

---

(١) المشرق المجلد ٣٩ يناير ١٩٤٠ من حديث لعيشال شيخا

(٢) محاضرات الندوة العاشرة السادسة — اكتوبر ١٩٤٧ ص ٣٤٠ من حديث لسعيد حداده

(٣) حداده — النظام الاقتصادي في فلسطين ص ١٤

(٤) حوراني ص ٩١ وحداده — النظام الاقتصادي في فلسطين ص ١٦ وصف لحالة مساكن القرويين .

هذه المناطق . الا ان الامية لا تزال منتشرة بصورة واسعة في الارياف ولم تضعف السيطرة الاقطاعية كثيرا فلذلك نرى سكان القرى يسلكون سبيل الحذر والتحفظ في تصرفاتهم واتجاهاتهم . ولا تزال الروح القبلية مسيطرة بينهم وعادة الثأر متمكنة من نفوسهم [١] . والريفيون مطبوعون ايضا على نزعة القيل والقال والمشاجرة بالكلام وقل ان يتلاقى اثنان دون ان يتحدثا عن شخص غائب [٢] . اما اساليبهم في العمل فلا تزال تسلك سبيل من سبقهم فادوات الفلاحة والحصاد لا تزال كما كانت عليه من قبل [٣] ، الا في بعض السهول الكبرى التي عرف اصحابها الكبار كيف يستغلون الالة الحديثة لانماء ثروتهم .

فالقرية العربية على العموم لا تزال ترتدي طابع القدم . واذا ما توفر لاحد من ابنائها الانطلاق قليلا والتشبع ببعض الاتجاهات الحديثة نراه عندما يرجع الى قريته يعاود سيرته الاولى ، وكثيرا ما يستخدم ثروته الجديدة للتمكين لنفسه والسعي الى استغلال السذج من القرويين لتعزيز مصالحه الخاصة .

اما مستوى المعيشة في الارياف فهو في اكثر الاحيان لا يتجاوز الحد الادنى من ضروريات الحياة العادية [٤] الا ان بعض المناطق تنعم في مستوى لا بأس به من العيش كما هي الحال في لبنان [٥] . وعلى الجملة فان كثيرا من العائلات القروية لا تتفق في العام ما يوازي نفقات حصان سيد القرية . على ان المجاعة بالمعنى الصحيح لم تحدث في البلاد بعد الحرب العالمية الاولى ، ولكن سوء التغذية امر بين سواء في الريف او بين الطبقات الدنيا مما مهد السبيل لانتشار بعض الامراض كالبرداء والتفوئيد وغيرها [٦] .

ومهما يكن من امر فان هذه الحال السيئة لا تنفي وجود التطور التدريجي في الحياة الريفية . وفي الواقع ان ظاهرة التحول كانت بطيئة جدا قبل الحرب العالمية الثانية ولكن هذه الحرب كانت سببا في انتشار المواصلات وازدياد وسائل المدنية الحديثة كالمذياع مثلا . ومما يجدر ذكره ان عددا من ابناء الارياف قد انتظم في سلك الجندية في صفوف جيوش الحلفاء ... وهكذا كانت الحرب العالمية الثانية نقطة انطلاق نحو تطور جديد قد اخذ طريقه الى كثير من مظاهر الحياة ، وساعدت الحكومات الوطنية على التمكين له عن طريق نشر التعليم وتنظيم المواصلات بين اكثر اجزاء البلاد .

---

(١) الشرتوني ص ١٣٧ — ١٣٨
(٢) المصدر نفسه ص ١١٧ — ١١٨
(٣) المصدر نفسه ص ١١٤
(٤) حوراني ص ٩٠
(٥) المكتب العربي — مشكلة فلسطين ص ١٢١
(٦) حوراني ص ٩١

٤ — المرأة والاسرة العربية :

لم تخرج المرأة العربية في الحقبة الاولى من تاريخ الاسلام عن حدود سيطرة الرجل ورعايته ، الا ان هذه السيطرة ، كانت على ما يظهر حكيمة برة تركت امام المرأة مجالا للتمتع بالحقوق التي منحها اياها الاسلام والعيش في حرية يسرت بروز شخصيتها فحفظ لنا تاريخ تلك الحقبة عددا من اسماء النساء اللواتي برزن في حقول المعرفة من ادب ودين وسياسة .

ولما اتسعت رقعة السيطرة العربية ، وتعقدت احوال المجتمع ، وتدفق سيل الرقيق من الجواري الى كل بلد ، اخذت المرأة العربية بالانزواء تدريجيا في بيتها ، ثم فرض عليها حصار منيع باسم التقاليد حتى غدا القبر خير صهر تزف اليه المرأة (١) .

ظلت حالة المرأة العربية تسير من سيء الى اسوأ حتى كان القرن التاسع عشر حيث اخذ بعض المصلحين يطالب بتعليمها (٢) . ومنذ ذلك الوقت بدأ الصراع بين انصار تحرير المرأة وبما هي عليه وبين من يقول لحصرها في دائرة المنزل . وفي الواقع كانت المرأة العربية " من وقت ولادتها الى يوم مماتها ... رقيقة لانها لا تعيش بنفسها ولنفسها وانما تعيش بالرجل وللرجل وهي في حاجة اليه في كل شأن من شؤونها ... فهي بذلك لا تعد انسانا مستقلا بل شيء ملحق بالرجل " (٣) . واعجبت انظار القائلين بتحرير المرأة الى ضرورة نزع الحجاب عنها لكي تتمكن من الانطلاق والتعلم والعمل ، الا ان بعض المفكرين كانوا يخشون نتيجة ذلك ويخافون من عبث الرجال . وفي ذلك يقول شوقي :

ان السفور كرامة وعفارة لولا وحوش في الرجال ضواري

واتفق اكثر المصلحين لمعالجة حال المرأة على ضرورة تعليمها ولكنهم اختلفوا في قضية السفور فمنهم من يقول ان الحجاب " لم يمنع ولن يمنع مطلقا من تحصيل العلم الصحيح النافع ولا عدوبه لمن يريدن " (٤) ويرى الفريق الاخر ان الحجاب " يحرم المرأة من حريتها الفطرية ويمنعها من استكمال تربيتها ويحوقها عن كسب معاشها عند الضرورة ويحرم الزوجين لذة الحياة العقلية والادبية . ولا يأتي معه وجود امهات قادرات على تربية اولادهن . وبه تكون الامة كانسان اصيب بشلل في احد شقيه " (٥)

---

(١) الشواربي ص ٢٠ (٢) النصولي ص ١٠٨
(٣) امين — المرأة الجديدة ص ٣٥ وقد كتب ذلك في اواخر القرن الماضي
(٤) حرب ص ٩٤ ومحمد طلعت حرب ناصر قاسم امين في كتاباته حول المرأة
(٥) امين — المرأة الجديدة ص ٦٣ — ٦٤

وهكذا برز الصراع بين عقليتين احداهما تتمسك ببعض النظرات الدينية لابقاء القديم على قدمه والاخرى تحاول ان تعالج واقع المشكلة دون ان تغفل عن دعم موقفها ببعض التصورات الدينية ايضا .

لم تكن حركة تحرير المرأة ترمي الى اخراجها من منزلها لتعمل على قدم المساواة الى جانب الرجل وتتمتع بما يتمتع به من حقوق ومسؤوليات وانما كان دعاة التحرير يرون ان يقتصر نشاط المرأة على حقول معينة من العمل الاجتماعي كتربية الاطفال او صناعة تربية الاطفال وتعليمهم ، كما يقول قاسم امين ، ومهنة الطب كما يمكن ان يفسح لها مجال الاشتغال " بجميع الاعمال التي تلائمها الترتيب والتنظيم ولا تحتاج الى قوة العضلات والاعصاب كالتجارة " (١) . ومن رأيهم ان تتساوى المرأة بالرجل في ميدان التعليم الابتدائي على الاقل (٢) وان يكون لها الحق في انتخاب زوجها كما للرجل في انتخاب زوجته ... لان الزواج امر يهمها اكثر مما يهم ذوي قرابتها (٣) . ويستنكر هؤلاء المصلحون تعدد الزوجات الذي يتنافى مع جوهر العدل والشرع (٤) .

اما السفور فقد اقره بعض رجال الدين في حدود معينة (٥) . ولما سوى في بعض الاوساط رأى هؤلاء انهم تجاه الامر الواقع وتعليل ذلك عندهم بان " هذا الامر الواقع هو مظهر من مظاهر القضاء والقدر الذي اعتدنا ان نقول حين توقع حلوله " اللهم لا نسألك دفع القدر وانما نسألك اللطف به " . واللطف في مسألة السفور يكون بالاقتصار فيه على ما رخص لنا الوحي وسنه لنا السلف الصالح " (٦) . والملاحظ ان هذه النظرة الى الامور الواقعية كثيرا لا يستطاع دفعها قد اصبحت طابعا مميزا لكثير من مواقف العرب والمسلمين تجاه امور قد فرضت وجودها . والجدير بالذكر ان هذا التحليل لحال المرأة والمدافعة عن حقوقها وحريتها قد صدر جميعه عن الرجل ولم تشارك فيه المرأة - وهي صاحبة الحق — لان وضعها لم يكن يمكنها حتى من ابداء رأيها في ذلك الوقت . والمطالبة بحقوق المرأة قد بدأت في بلاد الشام ولكن الصوت الداوي قد صدر عن مصر بعد ذلك ثم تردد اصداؤه في البلاد العربية الاخرى .

تنبهت الاذهان تدريجيا الى ما تعانيه المرأة من سوء الحالة . وجاءت حركة التعليم تفرض وجودها في فترة ما بين الحربين فدخلتها المرأة بقدم متزعزعة في بادئ الامر ، وكان الرجل كثير الحذر في افساح

---

(١) امين — المرأة الجديدة ص ١٠٦ — ١٠٧
(٢) امين — تحرير المرأة ص ٥٣ (٣) المصدر نفسه ص ١٤٥
(٤) المصدر نفسه ١٥٥ (٥) رضا — نداء الى الجنس اللطيف ص ١١٢ يقول " والتحقيق ان النظر من كل من الرجل والمرأة الى ما عدا العورات مباح فان كان بشهوة كره تكراره ... "
(٦) زين الدين ج ٣ ص ١١ من كلام الشيخ عبد القادر المغربي .

المجال امامها . ولم تكن حالة المرأة تسير على نسق واحد في مختلف انحاء البلاد . فهي في الارياف تنطلق سافرة تشارك الرجل في اعماله (١) . وفي بعض الانحاء وخاصة في لبنان كان قد توفر لفريق من النساء سبيل التعليم منذ القرن التاسع عشر بواسطة الارساليات الاجنبية . وكانت المرأة المسيحية سباقة في هذا المضمار . والى جانب ذلك كانت المسيحيات في بعض مدن الشام يشاركن النساء المسلمات في عادة الحجاب الى عهد ليس بالبعيد (٢) .

بعد ان سارت المرأة شوطا في ميدان التعليم اخذت بدورها تطالب بحقوقها وتتكرر على الرجل ادعاء التفوق عليها . فالتفاوت القائم بينهما " انما هو تفاوت مرونة ودربة وتاثير بيئة ليس الا "(٣). وعقدت الجمعيات النسائية عددا من المؤتمرات للمطالبة بحقوق المرأة . ومما جاء على لسان احدى المؤتمرات عام ١٩٣١ قولها : " نحن لسنا طالبات طفرة او ثائرات على النظم الاجتماعية . كلا بل ان هنالك اعطالا هي من شاننا لو تناولناها لكفى ، ولتامن نهوض الامة على ما هي الحال في الامم الاخرى " (٤) . والملاحظ هنا ان المرأة ترى نفسها مهيأة لاعمال معينة وهي تبدي الحذر في انطلاقها ولا تقبل ان يقال عنها انها ثائرة . لقد طالبت المؤتمرات عددا من القضايا الاجتماعية الا ان جل عنايتهن قد انصبت حول الاسرة وضرورة تنظيمها تنظيما يحقق روح الانسجام فيها ، وان تطلق يد المرأة في تدبير منزلها واصلاح شؤونه . ولتحقيق هذا الانسجام طالبن بضرورة تكافؤ الزوجين في الحالة الروحية والادبية والاجتماعية وان يمنع تعدد الزوجات الا عند اشد الضرورات (٥) . والجدير بالملاحظة ان المرأة في ذلك الوقت لم تطالب بحقوقها السياسية كما هي الحال اليوم .

لقد قطع فريق من النساء شوطا طيبا في ميدان النهوض الاجتماعي . ولكن حالة المرأة بصورة عامة لا تزال في اضطراب . وعدد النساء الاميات لا يزال يشكل الرقم الاكبر في المجتمع النسائي . وفي الواقع ان التناقض والغموض في الاتجاه لا يزالان يمثلان الطابع العام لحالة المرأة العربية . فبينما نجد فريقا من النساء المثقفات قد انساق في تيار العادة وتعلق بالوان الترف (٦) نرى فريقا آخر قد انصرف للخدمة الاجتماعية ويضم هذا الفريق الطبيبة والمحامية والصحفية والمعلمة ... (٧)

---

(١) كرد علي — خطط ج ٦ ص ٣٠٨ (٢) المصدر نفسه ص ٣٠٦ يشير الى تحجب النساء المسيحيات في نابلس وحماه ، وزام ص ٢٠ لاحظ هذه الظاهرة في حمص عام ١٩٣٠

(٣) المؤتمر النسائي الثالث ص ٤٤ حدث ذلك عام ١٩٢٨ في بيروت

(٤) المؤتمر النسائي الرابع ص ١٤٦ وكان ذلك عام ١٩٣١

(٥) المؤتمر النسائي الثالث ص ٤٦ — ٤٩ تعداد لمطالب المرأة

(٦) زويق ص ٦٧ وصف لوضع المرأة في هذا الميدان

(٧) الهلال المجلد ٤٣ نوفمبر ١٩٣٤ ص ١١٥ من حديث لطاهر الطناحي عن المرأة السورية والفلسطينية .

على ان النظرة الى المرأة لا تزال تحمل كثيرا من عنت الرجل وتحكمه وقد وقر في الاذهان ان المرأة مخلوق وضيع المنزلة ، ناقص العقل ، لا يجلب لعائلته الا قلق البال ... [١] ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان معاملة بعض الرجال للمرأة قد ليست مسوحا من الاداب الشكلية . فهي تتقدم الرجل في الحفلات وترافقه في بعض رحلاته ولكنه لا يزال ينظر اليها نظرة التابع للمتبوع وقل ان يتعاون معها في قضية من القضايا . وقد توجد حالات تناقض هذا الاتجاه ولكنها لا تزال قليلة جدا حتى الان .

اما حال الاسرة العربية فهي لا تزال على ما وصفنا من حال المرأة في قلق واضطراب واوشك البيت العربي في بعض البيئات ان يستحيل الى " آلة تفريخ تعطي الامة افرادا ولكنها لا تستطيع ان تمنحهم التهذيب ولا الشخصية التي تجعل منهم مواطنين صالحين " [٢]. وآية ذلك " ان تطور المرأة لم يساير تطور الرجل وتطورها وتطوره لم يساير تطور البنين . وقد ادى هذا الى فقدان التجانس في الجو العائلي "[٣]. وفي الواقع " ان مظاهر حياة المرأة قد تقدمت اكثر بكثير مما تقدم تفكيرها وتعليمها وان تربيتها الحالية لا تعدها الاعداد الكافي للقيام بواجبها كمواطنة وكزوجة وام " [٤] . على ان بعض الاسر المختارة " في هذا العالم العربي الشاسع قد تكون اهلا للاحتذاء والانتظام حتى في ارقى الاوساط المدنية الغربية ... "[٥]

وجملة القول ان المجتمع العربي لا يزال يشكو فقدان الانسجام . ولا تزال تسيطر عليه احيانا روح الجاهلية وما ذلك الا نتيجة للاعمال الارتجالية التي تميز كثيرا من تصرفاتنا ، فلا نكاد نسير شوطا في ميدان حتى نرتد لنبدأ السير في اتجاه آخر . ولكن لا نكران ان حال الرجل والمرأة في تبدل مستمر . ولئن كانت عوامل الانسجام غير متوفرة حتى الان ، فان تمهيد السبيل الى هذا الانسجام قد اصبح بغية اكثر الحركات التنظيمية والبرامج الاصلاحية التي بدأت تخرج الى عالم الوجود لتخط طريقا نحو مستقبل افضل .

٥ — حركة التعليم

ان غايتنا من بحث حركة التعليم بين العربيين انما تستهدف بالدرجة الاولى تعيين طبيعة هذه الحركة واتجاهها لنرى مدى ما حققته من تأثير في العقلية العربية او ما للعقلية العربية من تأثير فيها .

بدأ نشاط الحركة التعليمية في بلاد الشام منذ القرن التاسع عشر — كما رأينا في الفصل الاول — ولقد كان للارساليات الاجنبية فضل كبير في اذكاء الهمم لتعزيز هذه الحركة فتعددت المدارس الاهلية

---

(١) " العرب الاحياء " ص ٧٢ وصف لهذه النظرة التي لا تزال قائمة حتى الان
(٢) مؤتمر طلاب العرب ص ١٠٤ (٣) و (٤) المصدر نفسه ص ١٠٥
(٥) المقتطف المجلد ٨٠ مايو ١٩٣٢ ص ٥٧٢ من مقال للدكتور عبد الرحمن شهبندر .

والامبرية . ولم تكن هنالك سياسة مرسومة تفرضها الدولة لتعيين اتجاه التعليم مما جعل المعاهد التعليمية في غاية التنوع والاختلاف : " مدارس رسمية تعلم باللغة التركية ، ولا تعالي باللغة العربية . مدارس طائفية تختص بكل جماعة دينية ومذهبية على حدة ، تعلم اللغة العربية ، وتتأثر في الوقت نفسه بالمدارس الاجنبية التي تشاكلها في الدين والمذهب . مدارس اجنبية تنتسب الى مختلف الدول الغربية ، تعلم لغة الدولة التي تنتسب اليها وتعتني في الوقت نفسه باللغة العربية ، وتسعى الى نشر ثقافة تلك الدولة وتوسيع نفوذها في البلاد العربية "(١) .

ولما وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها وتبدلت القيادة في البلاد كان من الطبيعي ان تتأثر حركة التعليم بهذا التبدل . ففي سورية عمدت حكومة فيصل الى " تعريب المدارس التي كانت موجودة في العهد العثماني " وقامت " باحداث دورات عربية في دوائر الحكومة لتعريب الموظفين على الانشاء العربي وتحويل لغة الدواوين من التركية الى العربية "(٢) . ولكن هذه الخطوة لم تكد تهدأ حتى اوقفتها سلطة الانتداب . ففرض الافرنسيون في سورية ولبنان سياستهم التعليمية الخاصة . وفي فلسطين ادار الانكليز شؤون المعارف ادارة مباشرة وسارت المعارف في شرقي الاردن على نفس النظام الذي تأسس في فلسطين(٣).

حركة التعليم في سورية ولبنان : جاءت اكثر المناهج التي طبقت ايام الانتداب خالية احيانا من اية اشارة واضحة تعين وجهة التعليم . وكانت في الواقع تمثل حشدا من المعلومات النظرية التي تعتمد على الذاكرة بصورة خاصة لاستيعابها . وكان هدف المناهج مقتصرا على تحضير التلاميذ للامتحانات الرسمية . وكانت سياسة الافرنسيين ترمي الى تعميم لغتهم وتشجيع الناس على الاقبال على المدارس الافرنسية التي اخذوا في نشرها (٤) .

نمت حركة التعليم الابتدائي(٥) في عهد الانتداب وقامت بعض المدارس الثانوية (٦) في سورية . اما في لبنان فقد " ترك الفرنسيون مهمة التعليم الثانوي والعالي الى المدارس الطائفية والاجنبية الخاصة ...

---

(١) الحصري — حولية ص ١٣ (٢) المصدر نفسه ص ٧٧
(٣) المصدر نفسه ص ١٩ (٤) المصدر نفسه ص ٧٨
(٥) كانت مدة التعليم الابتدائي خمس سنوات في دولة سورية وست سنوات في لبنان وبعض المناطق الاخرى كاللاذقية مثلا . والتعليم الابتدائي كان اجباريا ومجانيا بصورة نظرية ...
(٦) كان التعليم الثانوي على دورتين متوسطة ومدتها من ٣ — ٤ سنوات تعد لمدة التعليم الابتدائي ثم الدورة الاعدادية ومدتها ثلاث سنوات تنتهي بالبكالوريا الثانية بقسميها الرياضي والفلسفي وكذلك كانت البكالوريا الاولى تقسم الى فرعين : علمي وادبي .

وانحصر التعليم الرسمي في لبنان في بعض المدارس الابتدائية وحدها "(١). ولقد سبب وجود المدارس المختلفة في البلاد تنوعا في الاتجاه وخاصة في لبنان فلم " تكن التربية في لبنان خلال اعوام واعوام موحدة او متشابهة فيما بينها في جميع المدارس والمؤسسات التعليمية وانما كان لكل مؤسسة وكل مدرسة طريقة خاصة تسلكها " (٢).

ولم تكن مناهج التدريس متناسقة مع حالة البلاد . وكانت في الوقت نفسه متباينة بين مكان واخر . ففي دولة سورية كان يعطى للغة العربية حظا اوفر مما يعطى لها في المناطق الاخرى . فتدريس اللغة الافرنسية مثلا كان يبدأ من الصف الرابع ابتدائي في دولة سورية بينما يبدأ منذ الصف الاول في لبنان وفي منطقة اللاذقية . وكان تدريس العلوم في هذه المناطق باللغة الافرنسية ايضا حتى في بعض الصفوف الابتدائية . والجدير بالذكر ان شرط النجاح في النظام الافرنسي لم يكن يتوقف على كل مادة من مواد المنهاج وانما يشترط فيه الحصول على معدل معين من العلامات في مجموع المواد في المجموع وعلامة الصفر في مادة ما هي وحدها التي تحول دون نجاح التلميذ الذي يحصل على المعدل المطلوب . وهكذا نرى انه لم يكن هناك انسجام في سياسة التعليم . ومع ان البرامج كانت غنية بالمواد الدراسية فكثيرا ما كان نجاح الطالب مقتصرا على تفوقه من بعض المواد دون غيرها . وما ذكرناه عن المدارس بصورة عامة ينطبق على مدارس الاناث التي كانت تتبع المنهاج نفسه . وكانت مدارس الاناث اقل عددا من مدارس الذكور . اما التعليم المهني فقد كان ضيق النطاق ايضا ولكنه اخذ يرتقي تدريجيا في السنوات الاخيرة (٣).

اما المدارس الاهلية والاجنبية في سورية ولبنان فقد ظلت تحمل طابعا خاصا في مناهجها وانماطها الا ان بعضها كان يطبق المنهاج الرسمي لتهيئة الطلاب للامتحانات الحكومية . وكانت هذه المدارس تتميز على العموم بالعناية باللغات الاجنبية وتهتم الطائفية منها بالتعليم الديني الذي كان له حظ من العناية في المدارس الحكومية ايضا .

اما رجال التعليم فقد كانوا يحملون شهادات مختلفة . فبعضهم من متخرجي المعاهد التركية وبعضهم ممن تعلموا في المدارس الخاصة والاجنبية . وفي عام ١٩٢٣ — ١٩٢٤ قامت بعض دور المعلمين الابتدائية في سورية ولبنان (٤) الا انها لم تكن كافية لتخريج العدد اللازم من المعلمين والمعلمات

---

(١) الحصري — حولية ص ١٧ (٢) صلح ص ١١

(٣) الحصري — حولية ص ١٢٨ يتكلم عن المدارس المهنية في سورية .

(٤) المصدر نفسه ص ١٤٢ — ١٤٣ يذكر دور المعلمين والمعلمات التي قامت في دمشق وحلب . وكذلك انشئت في اللاذقية دار للمعلمين والمعلمات في آن واحد بعد ذلك بفترة وجيزة . — صلح ص ١٠١ الى ص ١٠٢ يتكلم عن دار المعلمين التي انشئت في بيروت عام ١٩٢٤ ايضا .

لتأمين الحاجة المتزايدة مع نمو التعليم . ولذلك بقيت المدارس تتزود بالمعلمين من تخرجوا من المدارس الثانوية او دون ذلك احيانا ولم تتحسن الحال كثيرا حتى الان .

لم تتغير مناهج التعليم في سورية ولبنان في فترة ما بين الحربين تقريبا . ولكن جرت محاولات لاصلاحها . فقد نظمت في لبنان عام ١٩٣٦ سلسلة محاضرات في المحافظات اللبنانية دعي اليها رجال التعليم واولياء الطلاب وكانت غايتها الدعوة لربط اتجاهات التعليم المختلفة القائمة في لبنان في اتجاه موحد يراعى فيه مصلحة الطلاب حسب مقتضيات البيئة (١) . على ان المناهج في لبنان لم تعدل حتى عام ١٩٤٦ . اما في سورية فقد حدث تعديل في المناهج التعليمية عقب معاهدة ١٩٣٦ . فبينما كانت غاية التعليم كثيرا ما تحدد بالحصول على شهادة معينة في نهاية كل مرحلة ، جاء نظام التعليم الذي وضع عام ١٩٣٧ فقرر لكل مادة من مواد الدراسة غاية اساسية ترمي بمجموعها الى " انشاء الطفل مواطنا فعالا منتجا ، حريصا على واجبه ، قويا في روحه وجسمه وشخصيته ، منسجما مع المجموع ، موءمنا في المستقبل ، معتزا بوطنيته وقوميته وتاريخه ، مثقانيا في سبيل المصلحة العامة " (٢) .

حركة التعليم في فلسطين وشرقي الاردن : سار التعليم في فلسطين (٣) على نمط يختلف عنه في سورية ولبنان سواء في تقسيم مراحل الدراسة (٤) او في المناهج التعليمية فكانت لغة التدريس " اللغة العربية بدون استثناء وكانت اللغة الاجنبية فيها الانكليزية تعلم من السنة الرابعة فصاعدا . ولم تختلف مناهج المدارس الاهلية والاجنبية كثيرا عن مناهج الحكومة الا ان لغة التدريس في المدارس الثانوية كانت الانكليزية " (٥) . وكان من اهداف التعليم في فلسطين " تعميم التدريب اليدوي في جميع المدارس

---

(١) صبلح ص ١١٨ — ١١٩ (٢) الحصري — تقارير ص ٨٣

(٣) استقيت المعلومات التي تتعلق بالتعليم في فلسطين من الاساتذة : احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية في القدس والمساعد الفني لمدير المعارف ، جبرائيل كاتول مساعد مدير المعارف في فلسطين ، اسحق موسى الحسيني احد اساتذة الكلية العربية ومن مفتشي المعارف في فلسطين ايضا . وكانوا متفقين في جميع النقاط ...

(٤) مراحل الدراسة : المرحلة الابتدائية مدتها سبع سنوات وتقسم الى دورتين دنيا ومدتها خمس سنوات ، وعليا ومدتها سنتان . والملاحظ ان هذه المرحلة لم تكن تنتهي بشهادة معينة اما المرحلة الثانوية فمدتها اربع سنوات تنتهي بشهادة الماتريك بقسميها الادبي والعلمي وكانت هذه المرحلة تقسم الى دورتين ايضا مدة كل منها سنتان

(٥) الابحاث — السنة الثانية (حزيران ١٩٥٠) ص ١٧٩ من مقال للاستاذ كاتول عن التعليم في فلسطين .

الابتدائية ومعظم المدارس الثانوية بحسب البيئة لا لقيمته التربوية فحسب ، بل لرفع شأن العمل لا سيما المنتج منه » (١) .

وكان النظام يربط بين مدارس القرى والمدارس المركزية في القرى الكبيرة والمدن بل يربط بين مدارس البدو والمدرسة المركزية في بئر السبع فكان الطالب في القرية النائية اذا اظهت مقدرة يستطيع ان ينتقل الى المدرسة المركزية لاتمام تحصيله . وكانت اكثر هذه المراكز مجهزة بمنازل تأوي اذكى الطلاب من القرى وتعدهم للتعليم الابتدائي الراقي او للتعليم الثانوي (٢) . فالتعليم والحالة هذه كان يسير بشكل انتخابي فلا يفسح المجال للتعليم الثانوي الا امام الطلاب الموهوبين دون النظر الى حالتهم المالية او مقامهم الاجتماعي . وكانت شهادة المتريك (٣) تعتبر عاملا من عوامل التوحيد في المناهج اتجه اليها التعليم سواء في المدارس الحكومية او في عدد من المدارس الخاصة .

ولقد هيأ نظام التعليم في فلسطين سبيل النمو العلمي امام معلمي المدارس فكان الترفيع يجري على اساس مسابقات تشتمل على معلومات تربوية نظرا وعملا ومباحث دراسية . وكذلك فان دور المعلمين كالكلية العربية (٤) والمدرسة الرشيدية في القدس ودار المعلمات الريفية في رام الله ، كانت مجالا لاعداد فئة طيبة من المدرسين بالاضافة الى البعثات المختلفة الى الخارج التي كانت تزود المدرسة الفلسطينية بالمعلمين النابهين ايضا ... ومع ان التعليم في المدارس الثانوية ودور المعلمين كان يجري باللغة العربية ، فان الطالب الذي يتم المرحلة النهائية في هذه المدارس كان يتميز ، الى جانب معرفته باللغة العربية معرفة جيدة ، بتمكنه من اللغة الانكليزية الى درجة يستطيع معها فهم مصادر تلك اللغة ، حتى ان قريبا من متخرجي هذه المدارس استطاع الحصول على شهادة (ب . ع) لندن اثناء وجودهم في التعليم (٥) .

اما تعليم الاناث فقد كان يسير على منهاج تعليم الذكور في المرحلة الابتدائية . وقد كانت المدارس الثانوية للبنات اقل من مدارس البنين الا انها تميزت بطابع خاص كالتدبير المنزلي . اما التعليم المهني (٦) فقد كان ضيق النطاق كما كانت الحال في سورية ولبنان ولكن المدارس الابتدائية كانت تعنى ببعض الحرف البسيطة حسب حاجة البيئة كما ذكرنا آنفا .

---

(١) الابحاث — السنة الثانية (حزيران ١٩٥٠) ص ١٨٠
(٢) من حديث للاستاذ احمد سامح الخالدي
(٣) وضع نظام شهادة المتريك الفلسطينية عام ١٩٢٤
(٤) تأسست عام ١٩٢٦ — ١٩٢٧ (٥) من حديث للاستاذ الخالدي
(٦) تأسست المدرسة الصناعية في حيفا عام ١٩٣٤ وتأسست المدرسة الزراعية في طول كرم عام ١٩٤٣ .

اما المدارس الاهلية من وطنية واجنبية فقد كانت ذات اهداف خاصة كما هي الحال في سائر البلدان : الوطنية ترمي الى تنمية الروح القومية والاجنبية تقصد تدريس المطبوعات باللغة الاجنبية وادخال نماذج اجنبية في الحياة (١) .

اما التعليم في شرقي الاردن فقد كان مرتبطا ارتباطا شكليا بالتعليم في فلسطين ولكنه ظل محصورا في نطاق ضيق ولم يبلغ المستوى الذي بلغه في فلسطين . وكان الطلاب في المدارس الثانوية يعدون لشهادة قريبة من المتريك ولقد تقدم بعضهم لا الطلاب الى شهادة المتريك الفلسطينية فلم يكن لهم حظ طيب من النجاح (٢) . على ان بعض معلمي ومعلمات المدارس الاردنية كان يجري تدريبهم في فلسطين . ولا شك ان حالة البلاد الاقتصادية لم تساعد على نمو التعليم نموا طيبا كما كانت الحال في بقية اجزاء بلاد الشام .

اما التعليم الجامعي فقد توفرت له ثلاث جامعات في بلاد الشام . وهي الجامعة السورية في دمشق (٣) والجامعتان الاميركية واليسوعية في بيروت . وكان لهذه الجامعات تأثير على وجهة التعليم . فبعض المدارس في بلاد الشام كانت تعد تلاميذها للالتحاق بالجامعة الاميركية وبعض المدارس الاخرى كانت تهيئهم للجامعة اليسوعية . اما الجامعة السورية فكانت تفتح ابوابها لمتخرجي المدارس الثانوية الرسمية . وتميزت هذه الجامعة بعنايتها باللغة العربية اذ جعلتها لغة التدريس في جميع الفروع حتى الفرع الطبي نفسه ...

وكانت الشهادات الثانوية التي تعطى في اكثر بلاد الشام انما هي شهادات مقبولة دوليا في كثير من الجامعات على العموم . والى ذلك يشير ماشور بقوله : ان المدرسة الثانوية في كافة الاقطار العربية " هي ذلك النوع من المدرسة التي تعنى بالمواد الدراسية النظرية (الاكاديمية) واقصى ما تطمح فيه من التنوع ، تقسيم السنوات العليا الى شعبتين ادبية وعلمية ، واحيانا رياضية واحيائية ، فهي اذن مدارس ثانوية من النوع الذي يعد الطلاب لدخول الكليات ... "(٤) .

وبعد هذه لمحة عن حركة التعليم في بلاد الشام تكشف لنا عن طبيعة توجهها مادة واعجاما . وهذا التنوع في الثقافة قد اوجد عقلية تفتقر الى الانسجام . وورث العرب بعض القلق الفكري الذي نراه في تصادم الآراء وتنوع المشارب . ولكن الصبغ التعليمي الاشد الذي ليس المسؤول الوحيد عن هذا

---

(١) من حديث للدكتور اسحق موسى الحسيني (٢) من حديث للاستاذ جبرائيل كاتول
(٣) تأسست الجامعة السورية عام ١٩١٩ واقتصرت على فرعي الطب والحقوق في اول الامر
(٤) ماشور ص ٧١٤ ف من الطبعة العربية .

التناقض والاضطراب في الاتجاه الا انه كان من الممكن ان يعمل في سبيل التوحيد والانسجام فجاء تنوعه ساعدا على بناء المثال وتأصلها . على على ان الفروق التي تشاهد بين هذه الاقطار [العربية] من حيث نظم التعليم واتجاهات الثقافة ، لم تكن محصول طبيعة البلاد الاصلية وحاجاتها الحقيقية . انما كانت من نتائج السياسة السياسات الاجنبية التي سيطرت على مقدراتها ، عن طريق الانتداب او الاحتلال "(١).

وسبب التعليم النظري انصراف شباب العرب عن الاعمال التي تتطلب خبرة عملية ومقدرة فنية فلم يجدوا امامهم الا ابواب الوظائف يدقونها حتى ضاقت دواوين الحكومة بموظفيها ولا يزال شباب العرب يرجون لها التضخم والاتساع .

ومهما يكن من امر فان حركة التعليم قد زودت البلاد بنور المعرفة ووضعت امام الشباب آفاقا جديدة ووضعتهم وجها لوجه امام الحضارة الحديثة . وبالاضافة الى ذلك فقد كانت المدرسة العربية تحتاج للتلقيح والفتح والنمو فتيسر لها الامر بصورة مباشرة خلال تلك الحقبة . وهي بذلك قد بدأت الشوط الاول من سيرها ولكنها لا تزال متأرجحة بين التقليد والتجديد وبين المجرى النظري والمجرى العملي الذي يعطي للممارسة والاختبار حظا وافرا من العناية . ويتطلع المشرفون اليوم على شؤون التعليم الى اصلاح المدرسة اصلاحا يجعلها اكثر ملاءمة للحياة ومتطلباتها .

٦ — الحركات التنظيمية :

بدأت بعض الحركات التنظيمية في البلاد العربية منذ القرن التاسع عشر ورأينا بعض مظاهرها في الفصل الاول من هذا البحث . ولقد اصبحت نزعة التكتل على مر الايام هدفا يتوق اليه الكثيرون فتعددت المنظمات ما بين الحزبين واتخذت اشكالا مختلفة من سياسية واجتماعية ودينية . ولكن الى اى حد نستطيع ان نعد هذه التكتلات ذات طابع تنظيمي وما حظها من الاستمرار ؟

لقد كثرت الاحزاب السياسية في البلاد ولم تخل من اهداف وطنية طيبة ورغبة في النضال لتحقيق الاماني القومية الا انها تميزت في الغالب بالصفات التالية :

١ — " انها عبارة عن ارتباطات شخصية ، تعتمد غالبا على الصداقة او القرابة ولا تكون البرامج السياسية الواضحة حجر الزاوية في بنائها ."

٢ — " انها في عملها سياسية محضة ... لا تعنى العناية الكافية في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية على خطرها واهميتها "

---

(١) الحصري - حولية ص ٢٠

٣ — " انها محلية ، بمعنى ان تشكيلاتها ، ان وجدت ، قاصرة على الحدود السياسية الراهنة وهنالك كثير من الاحزاب ذات النزعة الاقليمية . " (١)

ولكن لا نكران في ان بعض الاحزاب قد نشأت على اساس برامج معينة تسعى لاقرارها ، كالحزب القومي السوري الذي سبقت الاشارة اليه عند الكلام عن النزعات السياسية ، وحزب الكتائب اللبنانية الذي رمى الى تعزيز الكيان اللبناني . ومع ان منهاج هذا الحزب قد افسح المجال لقبول اعضاء من جميع الطوائف ولكن اكثر اعضائه كانوا من الطائفة المارونية التي ينتسب اليها رئيس الحزب السيد بيير الجميل (٢). وهنالك حزب " عصبة العمل القومي " الذي عقد مؤتمره التأسيسي في قرنايل — لبنان عام ١٩٣٣ . ولقد اصدر بيانا (٣) عقب المؤتمر حلل فيه مشاكل البلاد العربية وعين الخطوط الاساسية التي يجب اتباعها للنهوض بالبلاد العربية عامة . ولكن ما كاد هذا الحزب يبدأ بالظهور حتى اصابته الضربة التي اضعفت نشاطه وهي وفاة رئيسه عبد الرزاق الدندشي (٤) . وفي الواقع ان هذه الظاهرة كانت بارزة في اكثر الاحزاب والقضية كانت في الغالب قضية اشخاص لا قضية برامج واهداف .

وفي الحقل الاجتماعي ظهر " في البلاد العربية كثير من المشاريع الاجتماعية يقوم بها الشباب وغير الشباب ، ويقصدون بها الى معالجة هذه او تلك من مشاكل الحياة العامة : من الاحسان الى الفقير والمحتاج ، الى تخفيف الم المريض ، الى ايواء اليتيم ، الى تعليم الامي ، الى سواها من الاعمال الاجتماعية (٥)." على ان اكثر المؤسسات التي اشرفت على مشاريع من هذا النوع كانت مطبوعة بالطابع الطائفي (٦) . ولقد تعددت الجمعيات النسائية ايضا واستهدفت غالبا القيام بالاعمال الخيرية والتهذيبية الى جانب العمل على النهوض بالمرأة العربية (٧) .

اما الحركة النقابية فقد بدأت بوادرها عند الحرب العالمية الاولى . وقام في بلاد الشام عدد كبير من النقابات ولكنها لم تكن مرتبطة فيما بينها باي اتحاد بالاضافة الى انها كانت محلية يقتصر نشاط بعضها على مدينة بعينها . ونقابات العمال في دمشق مثلا كانت منفصلة عن نقابات العمال في حلب (٨) . وكذلك

---

(١) مؤتمر طلاب العرب ص ٥٧ (٢) حوراني ص ١٩٨

(٣) راجع بيان المؤتمر التأسيسي للحزب المذكور ويتضمن منهاج الحزب من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية (طبع في دمشق ١٩٣٣)

(٤) حوراني ص ١٩٨

(٥) زريق ص ١١٣ (٦) المصدر نفسه ص ٩٠

(٧) المؤتمر النسائي الثالث ص ١٣ — ١٤ ذكر لعدد من الجمعيات النسائية واهدافها

(٨) الشرق المجلد ٣٩ — ٤٠ اكتوبر ١٩٤٥ ص ٨٤ — ٨٥ من بيان عن الحركة النقابية في سورية

العمال في عدد من النقابات في لبنان (١) وفلسطين (٢) . على ان العمال في فلسطين كانت اكثر تنظيما منها في المناطق الاخرى . فقد نشطت الحركة فيها وتنظمت بعض الاتحادات كجمعية العمال العربية التي تأسست عام ١٩٢٥ واتخذت مركزها في حيفا وكان لها فروع كثيرة في المدن الاخرى . ثم اتحاد نقابات وجمعيات العمال العرب الذي تأسس عام ١٩٤٢ وسار على طريق التنظيم الصناعي (٣) .

ومن ظواهر هذه الحركة ان بعض النقابات كانت تضم اصحاب الاعمال والعمال في آن واحد كما كانت الحال في نقابة اصحاب " الكاراجات " والسائقين في سورية (٤) . والملاحظ على العموم ان الحركة النقابية اخذة في الازدياد ولكن لم تبلغ الى الان ما يصح ان يدعى تنظيما كما هي الحال في اوروبا . فحالة العامل العربي تشكو كثيرا من عوامل الضعف والانحطاط ومع ذلك لا تبدي النقابات كبير اهتمام في هذا الشأن . وتمثل هذه الحركة كغيرها من المنظمات ارتباطات شخصية تعمل احيانا لصالح المهنة التي تنظمها ولكنها في الغالب لا تبدي نشاطا منظما ولا تقف موقفا تكتليا ازاء الحوادث التي تمر بالبلاد .

وعرفت البلاد عددا من المنظمات الرياضية والعسكرية احيانا وقد اشرنا (٥) الى الموجة التي اجتاحت البلاد العربية ما بين ١٩٣٠ — ١٩٤٠ والتي حفلت بالتشكيلات العسكرية سواء في بلاد الشام او في غيرها من الاقطار العربية كمصر والعراق .

اما الحركة الكشفية والرياضية فقد كانت واسعة الانتشار ايضا وكانت غالبا ملحقة بالمؤسسات الطائفية . وقل ان توجد مؤسسة من هذا النوع دون ان تعمل على تأسيس فرق كشفية ورياضية . فمؤتمر الجمعيات الاسلامية مثلا الذي عقد في حيفا في ابريل ١٩٢٨ قد اوصى بتقوية حركة الكشافة بين المسلمين (٦) . ولا تزال بعض الفرق الكشفية تحمل هذا الطابع الطائفي . على ان سورية منذ العهد الوطني الاول عام ١٩٣٦ قد تبنت الحركة الكشفية وعززتها في المدارس الرسمية واتخذت بذلك طابعا قوميا عربيا .

اما النوادي الرياضية البحتة فلا تتبرأ من الطائفية ايضا وقد اصبح نشاطها عنوانا لنشاط المؤسسات التي ترعاها فهي مظهرها البارز في الحفلات التي تحييها . " فلكل مدرسة اليوم فرقتها لكرة القدم

---

(١) المشرق المجلد ٣٦ — ٤٠ اكتوبر ١٩٤٥ ص ٨٣ بيان عن الحركة النقابية في لبنان
(٢) المصدر نفسه ص ٨٦ بيان عن الحركة النقابية في فلسطين
(٣) المصدر نفسه ص ٨٦ (٤) المصدر نفسه ص ٨٤ — ٨٥
(٥) انظر الفصل الثاني من هذا البحث ص ٥٦
(٦) جب — وجهة الاسلام ص ١٠٨

والطائرة والسلة وغيرها . الا ان هنالك امرا يدوخ العرب ، وهو ان اللاعب عوضا عن يحير الكرة لزميله الواقف تحت السلة تراه يحاول القاءها في السلة عن بعد كي يستأثر هو بالفخر دون سواه . والفتى العربي عدا عن انه فردي ، قد تنقضي له عدة طويلة من التمرين حتى يفهم ويدرك بانه انما يلعب للفرقة وليس لذاته " (١) .

اما المنظمات الدينية فقد بدأت بالظهور منذ القرن التاسع عشر كما ذكرنا في الفصل الاول وقامت بعدد من الاعمال الخيرية والتهذيبية . ولا تزال المنظمات الدينية ذات اثر كبير في المجتمع العربي على العموم . وفي فترة ما بين الحربين ارتدت هذه الحركة طابعا جديدا فعرفت بمنظمات الشباب فهنالك "جمعيات الشبان المسلمين " (٢) و " جمعيات الشبان المسيحيين " الى جانب جمعيات خاصة من هذا النوع تضم النساء فقط . وفي الحديث عن الاتجاه الديني سنحاول الكلام عن اتجاهات بعض هذه الجمعيات .

وجملة القول ان الحركات التنظيمية في بلاد الشام قد برزت الى عالم الوجود منذ القرن التاسع عشر كما اسلفنا وقامت بعدد من الاعمال الطيبة والمشاريع النافعة . على ان اكثر هذه الحركات لم تعرف الاستمرار فقد كانت عرضة للاختفاء والظهور . وعلى الاصح لقد انقرضت جمعيات كثيرة بذهاب مؤسسيها وقامت جمعيات اخرى . ولكن المنظمات التي اتصفت بالطابع الديني كانت اكثر دواما من غيرها . ومهما يكن من امر فان الحركة التنظيمية في البلاد العربية آخذة في الاتساع ولكنها تحمل طابع الصراع بين المصالح الخاصة وبين المصلحة العامة . فالى جانب المنظمات ذات الاهداف المركزة من سياسية واجتماعية واقتصادية والتي غايتها النهوض بالبلاد ، نجد تكتلات اخرى قائمة على اساس عائلي محض فهي اشبه ما تكون بالنزعة القبلية بين البدو . وسواء في هذا اللون من التكتلات او ذلك النوع منه ، فان للنزعة الاستغلالية حظا من الظهور بين المشرفين على هذه الحركات . ولكن هذا لا ينفي وجود فئات قد اتخذت المصلحة العامة هدفها الاساسي في كل نشاط تقوم به .

٧ — طبيعة الاتجاه الاجتماعي :

طرأت على البلاد العربية تبدلات اصابت كثيرا من نواحي الحياة ولكن هذا التبدل لم يكن شاملا ولذلك ظل المجتمع العربي يتميز بكثير من التناقضات في اتجاهه الحديث " فالعقل العربي والمجتمع العربي ما زالا مضطربين ومنقسمين على نفسيهما تتنازعهما الدنيا القديمة المشرفة على الموت والدنيا

---

(١) فان اس ص ١٢٧

(٢) بدأت في مصر عام ١٩٢٧ وفي عام ١٩٢٨ تأسست لها فروع في بلاد الشام والعراق (جب) — وجهة الاسلام ص ١٠٨) .

جديدة لم يكتمل نموها " (١) . لقد كانت الحضارة الغربية العامل الاول في هذا التبدل . ولقد ذكرنا ان تيار هذه الحضارة قد ولد صراعا في دنيا العرب انقسم معه الناس الى فئات : بين مستكر لا يزال يحيش بفكر الاجيال الماضية ؛ ومحمد يرى الشر كل الشر فيما تقدمه الحضارة الغربية ؛ وقف بين هذا وذاك من يرى ان صلاح العرب انما يكون في التوفيق بين خير الحضارتين (٢) . على ان واقع الحال يكشف لنا حقيقة موقف العرب من الحضارة الغربية . ويتجلى هذا الموقف في الاقبال كل الاقبال على الخيرات المادية لهذه الحضارة واما ما عدا ذلك من فكر وروح فلا يزال الموقف منه متميزا بالحذر والقلق واحيانا بالتجاهل والتعامي . وعلى ذلك فان الشعب العربي لا يزال يتسم بعدد من الصفات والنزعات التباينة التي تعطيه طابع التميز .

اذا نظرت الى كثير من رجال العرب وشبابهم ترى كلا منهم بمفرده " يضاهي برقيه وتقدمه العلمي ارقى طبقات العالم المتمدن واما اذا جلت بنظرك في المجموع اللبناني والسوري وتأملت شدة الانقسام المستولي على السكان سواء كان من جراء المذهب ام الجهة ام القرية ام العائلة واحببت ان تصل الى النتيجة المنطقية ظهر امامك حالا ان اسباب الانقسام من عوامل سوء التفاهم وهذه من عوامل الجهل وعندئذ تعلم حق العلم نتيجة انحطاط المجموع بالرغم من رقي افراده " (٣) .

لقد اضعفت حركة التعليم شيئا من حدة المظاهر الطبقية ولكن نزعة الغرور ظلت تعمل في نفوس الكثيرين فاحتفظت الالقاب التركية برنينها في الاذان وكثر التخاطب بها بين اكثر الطبقات (٤) ولا شك ان في ذلك كثيرا من مركب النقص . ولقد استغل بعض الحكام هذه الناحية فاخذ يوزع الالقاب ليسترضي بها الناس ويمكن لنفسه بينهم (٥) . واصبحت الوظيفة ايضا شيئا من الالقاب يرى فيها الكثيرون الوانا شتى من الاغراء حتى غدت بنظرهم غاية في نفسها (٦) يتطلع اليها المتعلم وغير المتعلم ويسعى للوصول اليها الغني والفقير على السواء .

والى جانب هذا التنازع على الالقاب والوظائف ، سرت بين السواد الاعظم موجة من الزلفى والمراءات فترى الناس يتحسسون في احاديثهم شتى المحاذير لكل هفوة تبدر من جليسهم فاذا ما غاب عن عيونهم اخذوا

---

(١) المكتب العربي — مشكلة فلسطين ص ٢٦
(٢) الابحاث عام ١٩٥٠ الجزء الثالث ص ٣٠٣ — ٣٠٤
(٣) الشرتوني ص ٣١ (٤) كرد علي — خطط ج ٦ ص ٣١٠ والشرتوني ص ١٩١
(٥) الزركلي ص ٦٢ — ٧٣ و ص ٨٠ يشير الى اغداق الامير عبد الله (الملك عبد الله الان) الالقاب على رعيته (٦) " العرب الاحياء " ص ٨

في تعداد عيوبه . وكان الناس" في الايام الماضية اذا ارادوا الحط من شخص سلبوه صفاته واتهموه بالمروق من الدين ... واليوم نشأ لهم زى جديد من ازياء التهمات يلبسونها من لا ترضيهم حاله ، اضافوا الى من يحاولون النيل منهم تهمة المروق من الوطنية "(١) . ومن الظواهر البارزة في المجتمع العربي ايضا ، ما يعانيه الكثيرون من كبت وحرمان واضطراب في الحالة النفسية فقل ان تجد رجلا لا يشكو ولا يتالم واصبح التذمر على كل لسان ووجه (٢) .

وفي حقل التعليم برهن العرب عن قابلية طيبة في تلقي الوان المعارف والتمكن من اللغات الاجنبية الا ان اختلاف المناهج قد ولد اختلافا في الاتجاه والتفكير . وكانت هذه المناهج ذاخرة بالمعلومات النظرية المختلفة ولذلك فقد انتجت نمطا خاصا من الشباب المثقف بحسن القول ولا تنقصه المعلومات المتنوعة ولكنه يفتقر الى الروح العملية والنظرة الواقعية للامور .

وفي ميدان التشكل والتنظيم يبدو ان اكثر الحركات التي تتطلب قيادة مشرفة وبرامج مقررة قل ان تكتب لها الحياة طويلا فسرعان ما تتلاشى بذهاب المؤسسين الاول او تتاربهم فيما بينهم واكثر المؤسسات استمرارا ما كانت مطبوعة بالنزعة الدينية لسابق تأصل هذه النزعة في النفوس . فالجمعيات الطائفية اكثر دوام من غيرها . ولا تخلو هذه الظاهرة من عوامل مادية اذ أن قسما كبيرا من هذا النوع من المؤسسات انما يستند على وقفيات ومواد تكفل له اطراد البقاء .

لقد تميزت العقلية العربية بكثير من عوامل التفريق من فردية تنفر من كل نظام ، ومادية تتغاضى عن الصالح العام في سبيل المصلحة الشخصية ، وفورة عاطفية سريعة الانفجار والتاثر تنطلق للعمل دون سابق تركيز وتصميم ، فاذا بالهمم تتلاشى سريعا في انتظار موجة جديد . يقابل ذلك من الناحية الاخرى قابلية نامية الى تقبل المعرفة ، وتطلع الى اصلاح الاوضاع الفاسدة ، ونزوع الى الخروج من دائرة التبعية الى ميدان الاستقلال . وهذه الميزات المختلفة اذا لقيت من يتعهدها ويهذبها عن طريق البرامج العملية الموجهة قد تأتي باطيب الثمرات للمجتمع العربي .

---

(١) كرد علي — خطط ج ٦ ص ٣٣٩
(٢) الشرتوني ص ٣٢ ، " من هنا نبدأ ص ٥٦

الفصل الرابع

الاتجاه الديني والاتجاه الادبي

ان غايتنا من الكلام عن الاتجاهين الديني والادبي انما هي الاشارة الى الخطوط الرئيسية تسجل واقع هذين الاتجاهين وتكشف عن طبيعة مجراهما . ولقد غدا الاتجاه الديني مجالا خصبا للباحثين فظهرت عدة كتب تتناول بعض نواحي هذا المجرى الى جانب عدد من المقالات التي تنشرها المجلات والصحف بين حين وآخر . والاحاطة بهذا الموضوع تحتاج الى بحث مستقل ولذلك سنقتصر هنا على الاشارة الى النزعة التطورية في هذا الاتجاه الى جانب الاشارة الى واقع الاثر الديني في النفوس بصورة عامة . اما الاتجاه الادبي فقد طالعه الاستاذ انيس الخوري المقدسي في كتابه " الاتجاهات الجديدة في الادب العربي " [1] معالجة وافية تناول فيه النواحي المختلفة للموضوع . وهذا ما يدعونا الى الاكتفاء برسم صورة سريعة لهذا الاتجاه لتعيين طبيعته قدر الامكان .

الاتجاه الديني :

ان الدين بالغ الاثر في الحياة العربية على العموم ولقد خالطت النظرة الدينية تفكير العرب في مختلف نواحي الحياة . وكذلك فان تفكير العرب في مشكلة من المشاكل قل ان يتجرد من دافع ديني ولو بصورة غير مباشرة . فليس في مفهوم الجماهير ما هو ممنوع او ممنوع حسب المنطق القانوني وانما هنالك حرام او حلال تبعا للتقليد الديني .

ومن المرجح ان الاثر الديني كان العامل الاول في تعلق العرب بالحكم العثماني طوال اربعة قرون وكان لهذه الفترة الطويلة من التاريخ ، التي لم يرافقها نشاط علمي يذكر ، اثر في تحجر النظرة الدينية وابتعادها عن الروح الحقيقية للدين . فكان " الاسلام نفسه لدى جمهور المسلمين ... تراثا مشوها بقدر كبير من الخرافات والجمود ... واقتصرت الدعوة الاسلامية في الغالب على فئتين كبيرتين : الفقهاء والمتصوفة . اما الفقهاء فقد كان اعتمادهم على كتب الفقه المؤلفة في العصور الاخيرة وفيها الغث والسمين وفيها الصواب والخطأ ... واما المتصوفة فلقد كان الطابع العام لحركتهم في مختلف بلاد العالم الاسلامي حركة زهد وانقطاع عن الدنيا وقعود عن العمل ، وركون الى الرؤيا والتواكل تحت اسم الاتكال على الله والرضا

---

(١) الكتاب المذكور لا يزال مخطوطا ولقد تفضل الاستاذ المقدسي وسمح لي بالاطلاع عليه

بها قسم من رزق معلوم ، ولم يسلم من هذا التوجيه الخاطئ الا فرق او بالاصح افراد من ائمة هذه الفرق رزقوا من قوة العزم وحمية الايمان ما الهبوا به شعور مريديهم ضد الاستعمار[1] ...

وفي الواقع ان هذه الحالة لم تنته معالمها حتى الان . ولا يزال بعض خطباء المساجد يتلون ايام الجمع الخطب نفسها التي كانت تتلى منذ قرون عديدة حتى ان بعضهم لا يغفل عن الدعاء لخليفة المسلمين ... وكذلك لا تزال بعض الزوايا والتكايا في بلاد الشام تضم عددا من الدراويش الذين يقيمون حلقات الذكر بين حين وآخر باسم التصوف وبعضهم اميون تماما ...

ومنذ القرن التاسع عشر اخذت الاطماع الاجنبية تمد اعناقها الى العالم العثماني . وازدادت حركة الارساليات التبشيرية فادى ذلك الى استجابات متعاكسة كان من ابرزها الحركة الدينية التي قام بها جمال الدين الافغاني والتي اتصفت بالحيوية والنشاط كرد فعل للنشاط الاجنبي[2]

وفي مصر التف حول الافغاني عدد من المريدين وعلى راسهم الشيخ محمد عبده الذي كان لشخصيته اثر كبير في الاتجاه الديني الحديث . ويتلخص منهاج الشيخ محمد عبده بما يلي[3]:

١ — اصلاح الدين الاسلامي بارجاعه الى حالته الاصلية

٢ — تجديد اللغة العربية

٣ — الاعتراف بحقوق الشعب فيما يتعلق بالحكومة .

" وكانت كتابات الشيخ محمد عبده واعماله تحاول اصلاح الثقافة الاسلامية وصوغ الاسلام في الفاظ ان لم تكن الفاظ الفكر الحديث ، فهي على الاقل اكثر قبولا عند الانسان الحديث من الصيغة العتيقة التي كانت سائدة في القرون الوسطى"[4] ونلمس عند الشيخ محمد عبده اعطاءها للتوفيق بين روح الاسلام والفكر العلمي الحديث وتأكيدا على مكانة العقل في الوصول الى ادراك الحقائق[5] . وكان محمد عبده ينظر

---

(١) المنار الجديد عدد ٢٩٦ تاريخ ١٧ كانون الاول ١٩٥٠ من حديث للشيخ مصطفى السباعي بعنوان " تطور التفكير الاسلامي بسورية خلال نصف قرن "

(٢) كانت حركة الوهابيين اسبق من حركة جمال الدين ولكنها انحصرت في رقعة معينة من جزيرة العرب ولا يصح ان تعتبر كرد فعل للنشاط التبشيري او الاطماع الاجنبية .

(٣) الموسوعة الاسلامية — مقال محمد عبده بقلم شاخت

(٤) جب — الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ٢٩

(٥) جاء في رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ٢٣٢ ما يلي " وشرط صحة الاعتقاد ان لا يكون فيه شيء يصر التنزيه وعلو العظم الالهي عن مشابهة المخلوق فان ورد ما يوهم ظاهره ذلك في المتواتر ، وجب صرفه عن الظاهر ، اما بتسليم الله في العلم بمعناه مع اعتقاد ان الظاهر غير مراد او بتاويل تقوم عليه القرائن المقبولة " . وهنا نلمس سعيه لتقريب الدين من النزعة العلمية الحديثة التي تأبى تمثل كل ما هو متناقض مع الفكر المنطقي ... ونلمس تاكيد الشيخ محمد عبده على مكانة العقل ص ٨٤ من الرسالة المذكورة نفسها .

الى مشايخ التقليد بانهم اكثر اصل الجمود الذى استولى على المسلمين فحاول ان يزيحهم من الطريق ليفسح المجال امام النظرة الجديدة التي تعتمد على البحث والمنطق العقليين (١) .

لقد كانت حركة الشيخ محمد عبده نقطة انطلاق قوية في التفكير الاسلامي الحديث لا يزال صداها يتردد في كتابات عدد ممن تصدوا للناحية الدينية مع تباين في قوة النظرة او تراخيها . على ان هذه الحركة قد لاقت ايضا صدى عكسيا في نفوس كثير من الناس وراوا فيها تطرفا وخروجا على المفاهيم التقليدية التي تعودوا سماعها من الفقهاء بصورة عامة .

وناصر محمد عبده مصلح ديني آخر هو عبد الرحمن الكواكبي ولكن نشاطه قد استهدف بصورة خاصة الناحية السياسية من الحياة الدينية كما المحنا الى ذلك في الفصل الاول من هذا البحث .

تعرضت البلاد العربية في القرن العشرين لتيارات مختلفة فانتشرت المذاهب الفكرية والسياسية الغربية . وجابه العرب كثيرا من المشاكل ولقد تأثر بعض رجال الدين بهذا المجرى الجديد والمشاكل الطارئة . وظهر هذا التأثير في نظراتهم الدينية . بل انهم رجعوا في الواقع الى اصول الاسلام لدعم موقفهم وتفاعلهم مع التيارات الحديثة . ولذلك يصح ان نقول ان التفكير الديني عند هؤلاء قد سار في طريق تطورية ملموسة بينما ظل فريق كبير يعيش بقوة الاستمرار في ظل مفاهيم تقليدية لم يصبها عامل التطور . وسار فريق آخر في جو بعيد عن التأثر الديني تقريبا .

ان دعاة التطور من رجال الدين ينادون بالرجوع الى مصادر الاسلام الاولى لتفهم حقيقة الدين الاسلامي ويقولون ان التقدم الذى حققته البشرية خلال التاريخ والتبدلات التي طرأت على الحياة لا تتعارض مع الدين لان " الاسلام قد احتاط لمثل هذا التطور التاريخي وما يترتب عليه من تطور اجتماعي واقتصادي وفكري عام . احتاط فوضع الخطوط المجملة والمبادىء العامة والقواعد الشاملة وترك التطبيقات لتطور الزمان ، وسرور الحاجات في حدود مبادئه العامة وقواعده الشاملة ، ولم يدخل بتفصيلات جزئية مقيدة الا في المسائل التي تتغير حكمتها والتي تؤدى اغراضها كاملة في كل بيئة " (٢) .

والفت هذا الفريق من رجال الدين الى ما عليه الامة العربية من تعدد في المذاهب الدينية فعابوا على اهل العصور المتاخرة ما كانوا عليه من تعصب وقالوا ان معنى الدين ليس قاصرا على اعتناق المؤمنين بدين معين انهم وحدهم على حق وان كل ما في الاديان الاخرى باطل وان الاختلاف في الدين موجب

---

(١) محمد عبده — الاسلام والنصرانية ص ١٤٥ — ١٥٠ تلخص هذه النزعة
(٢) قطب — العدالة الاجتماعية في الاسلام ص ١٩

للعداوة والبغضاء والخصام بين اتباع الاديان المختلفة ، لقد انكر التفكير الاسلامي الحديث هذا الفهم في اكثر مبادئه ، بل اعلن قادة الفكرة الاسلامية ان الدين في اصله طريق من الطرق التي اختاره الله لعباده بواسطة رسله وانبيائه ، وان الاديان كلها ... تلتقي في دعوة الناس الى الخير والتعاون عليه والايمان بالله واليوم الاخر ، وان اهل الاديان في الوطن الواحد يجب ان يؤلفوا جبهة موحدة ضد الالحاد والانهيار الاخلاقي والفلسفة المادية المنكرة للفلسفة الروحية التي تقوم عليها الاديان كلها "(١).

ولقد سمعت من يقول ان الاسلام يتكون من معادلة رياضية وهي : نصرانية تشريع = اسلام .

ويقرر بعضهم " ان المجتمع الاسلامي الحاضر ليس اسلاميا بحال من الاحوال "(٢) وهو " لم يضعف ولم يتخلف عن ركب البشرية *الحالية* وهو يستمسك بالاسلام ، وانما ضعف وتخلف بعد ان تخلى عن هذا الاسلام "(٣). وهكذا نجد ان غاية فريق من المسلمين انما هي الدعوة الى التمسك بجوهر الاسلام مجردا من كل " ما علق به من عادات القرون الماضية وتقاليد الامم المختلفة وثقافات الحضارات المتباينة مما ظن معه الجاهلون بالاسلام انها جزء منه "(٤). ويدعو هؤلاء ايضا " لمسايرة الحضارة الحديثة في كل ما لا يتعارض مع الاسلام الصحيح "(٥) ويحثون " الناس على الاستفادة من انتاج هذه الحضارة بعلومها واختراعاتها وادابها "(٦).

وفي ميدان التشريع اخذ دعاة الفكرة الاسلامية يرددون " نحن ندعو الى استئناف حياة اسلامية تحكمها الروح الاسلامية والقانون الاسلامي وتطابق بين ما ندعيه من الاسلام "(٧) على ان هذه الدعوة قد لقيت معارضة كبيرة وصرت الدعوة الى القومية تنادي بفصل الدين عن الدولة . وهناك من يرى ان الحكومة الدينية " في تسع وتسعين في المئة من حالاتها ، جحيم وفوضى ... وانها احدى المؤسسات التاريخية التي استنفدت اغراضها ولم يعد لها في التاريخ الحديث دور تؤديه "(٨). والحكومة الدينية عند اصحاب هذا الرأي تتميز بالغموض ولا تتفق بالذكاء الانساني ويحثون منها ان تنتهي الى

---

(١) المنار الجديد عدد ٢٩٦ تاريخ ١٧ كانون الاول ١٩٥٠ . وجاء فيه ايضا " ان التفكير الاسلامي الحديث يعتبر المسلمين على اختلاف طوائفهم جسما واحدا يصدرون عن تشريع واحد وكتاب دستوري واحد واذا كانت بينهم فوارق اعتقادية في امور فرعية او جزئية فان ذلك لا يمنع ان يتفق على العمل والكفاح في نطاق الاسس المتفق عليها ".

(٢) قطب — العدالة الاجتماعية في الاسلام ص ٢١٥ (٣) المصدر نفسه ص ٢١٦

(٤) و (٥) و (٦) المنار الجديد عدد ٢٩٦ تاريخ ١٧ كانون الاول ١٩٥٠

(٧) قطب — العدالة الاجتماعية في الاسلام ص ٢١٥

(٨) " من هنا نبدأ " ص ١٢٤

عكسافحة كل رأى باسم الدين . ويرد دعاة التشريع الاسلامي على هذا الرأى ان منفذ الشريعة الدينية لا يستمد سلطانه من الدين ، فليس له " سلطة دينية يتلقاها من السماء انما هو يصبح حاكما باختيار المسلمين الكامل وحريتهم المطلقة ... فاذا لم يرضه المسلمون لم تقم له ولاية ، واذا رضوه ثم ترك شريعة الله لم تكن له طاعة " (١) . فهنا نص تأكيدا على مبدأ الشورى فالتشريع الاسلامي قابل للتطور كما يقول هؤلاء ، ما دامت مصادر الاسلام الاولى لم تأت بالخطوط التشريعية الكبرى . ومنفذ الشرع حكمه حكم منفذ القانون المدني وهم بذلك يقربون بنظرتهم من الآراء البرلمانية الحديثة ... ويرى دعاة هذا الاتجاه " ان استئناف حياة اسلامية لا يتم بمجرد وضع تشريعات وقوانين ونظم تقوم على اساس الفكرة الاسلامية ، فهذا ركن واحد من ركنين يعتمد عليهما الاسلام دائما في اقامة الحياة . اما الركن الثاني فهو تكوين عقلية مشبعة بالفكرة الاسلامية ، لتنبعث حوافز هذه الحياة من داخل النفس ، فتلتقي بالبيئة التي تكفلها التشريعات والنظم والقوانين "(٢) . فالقضية هنا ليست قضية تشريع ينظم ودولة تقام وانما هي قضية تربية امة وتكوين عقلية اسلامية لها خصائصها ومميزاتها التي تنفرد بها .

وفي الواقع ان كثيرين من دعاة الفكرة الاسلامية قد اخذوا منذ عشرات السنين بتأسيس الجمعيات الاسلامية المختلفة . ولم يقتصروا نشاطهم على الناحية الروحية من الدعوة الى الاسلام وانما توسلوا بمختلف نواحي النشاط الاجتماعي فالفوا الفرق الكشفية والرياضية وانشؤا عددا من المدارس واهتموا بالصحافة (٣) ... واخذت هذه الحركة في النمو وقد بلغت حدا لا يستهان به من الاتساع في حركة " الاخوان المسلمين " التي قامت في مصر منذ اكثر من عقدين من الزمن (٤) وتلتها حركة مماثلة في سوريا والشام ايضا . والملاحظ في هذه الحركة انها لا تقل عن الحركات الغربية الحديثة او بعبارة اخرى انها تعترف بانها افادت من المذاهب الحديثة " منهجها الواقعي وطرائق تفكيرها "(٥) وتبدي هذه الحركة تحمسا للاشتراكية بل انها ترى ان الاشتراكية هي جوهر العدالة الاسلامية " التي تقوم على اسعاد الشعب وانصاف الطبقات العاملة ، وضمان العلم والغذاء والكساء والعلاج والحياة الكريمة لكل مواطن " (٦) .

وبالاجمال نرى اندفاع عند دعاة الاصلاح الديني الذين عزت عليهم مشاكل الحياة الى انكار ما عليه المسلمون من حياة انحلالية رتيبة فالدين بنظرهم لم يأت " ليجعل من الحياة البهيجة مقبرة

---

(١) قطب — العدالة الاجتماعية في الاسلام ص ٩٦ (٢) المصدر نفسه ص ٢٣٦ — ٢٣٧
(٣) المنار الجديد عدد ٢٩٦ تاريخ ١٧ كانون الاول ١٩٥٠
(٤) تأسست عام ١٩٢٧
(٥) و (٦) المنار الجديد عدد ٢٩٦ تاريخ ١٧ كانون الاول ١٩٥٠

تقاضي ايامنا في صوامعها ولحودها ، ولكنه جاء يهتف ، ويدق اجراس الصباح للنوام صائحا فيهم : اليكم زينة الله ، وطيبات الدنيا ، ومسرات الحياة » (١) .

والى جانب هذا التيار الذى تلمس فيه بعض التفاعل مع موءثرات العدمية الحديثة نرى فريقا من رجال الدين قد اتخذ الدين حرفة يتمعش منها (٢) . وهذه النوعة كثيرة الشيوع في الواقع عند الكثيرين ممن يرتدون اللباس الديني فهم اشبه ما يكونون بالرواة التقليديين يرددون على الناس ما وعته ذاكرتهم من بطون الكتب دون كبير تدبر او وعي . ودليلنا على وجود هذه الفئة ان اكثر الوظائف الدينية لا تزال الى الان تتنقل بحكم الوراثة من الاب الى الابن كما كانت الحال في الدولة العثمانية .

اما جمهور المسلمين فلا يزال فريق كبير منهم يسير بقوة الاستمرار محتفظا بكثير من التقاليد التي ينكرها دعاة الاصلاح الديني والشباب المثقف بصورة عامة . فالمزارات لا تزال تحتل مكانة كبرى في عقول الكثيرين . ولا يزال هوءلاء يقدمون اليها القرابين ويتوسلون بها املا في قضاء حوائجهم ويتيمنون بزيارتها في كثير من المناسبات . وموء من هذا الفريق من الشعب ايضا بالتمائم والرقى والدعوات الخاصة لطرد الشياطين والجن وما الى ذلك .

وفي الطرف الاخر هناك فريق من الشباب قد ضرب صفحا عن كل تقليد ديني فتجد « جهلا محببا باقوال الكتب الدينية واعراضا عن الصلوات العامة ... وميلا الى احلال الصرات والملاهي محل التقاليد القديمة المحترمة »(٣) . وترى في الوقت نفسه نزوعا لدى الشباب الى التدين والاعتقاد بالروحانيات في اوقات الازمات والمواقف الدقيقة . وهذه النوعة موجودة حتى بين اكثر الناس تطرفا في نظرهم العقلي فتجد كثيرا من الشباب يهرعون قبيل الامتحانات او قبل اجراء عملية جراحية مثلا الى تلاوة الادعية واقامة الصلوات طالبين من الله التوفيق وهم بذلك « صادقون بغريزتهم الدينية البدائية التي تجدها عند كل فرد » (٤) .

وعلى كل من امر فان « المسلمين وخصوصا العرب منهم راضون رضى عجيبا بدينهم ولا يرغبون

---

(١) من هنا نبدأ ص ٢٣

(٢) لاندو ص ٤٢ يذكر حديثا لطه حسين يقول فيه ان الدين عند طلاب الازهر قد اصبح مورد رزق ولا شيء اكثر من ذلك

(٣) المقتطف — المجلد ٨٨ مايو ١٩٣٦ ص ٦٧٢ من حديث للدكتور ضدج رئيس الجامعة الاميركية في بيروت آنذاك

(٤) لاندو ص ٤١ — ٤٢ من مضمون حديث لطه حسين .

عنه بديلا " (١) . وسواء أكان العرب المسلمون شديدي التمسك بعقيدتهم أم لا فانهم يفاخرون اليوم بحق بالدين الاسلامي والتراث الاسلامي " (٢) .

وجملة القول اننا نلمس في الحقل الديني متناقضات شتى كما رأينا في الحقول الاخرى . فالى جانب حب التطور والرغبة في التفاعل مع مؤثرات الحضارة الحديثة نرى اندفاعا في التيار التقليدي القديم وتمسكا بكثير من التقاليد والعادات التي غدت بحرف المتعلقين بها جزءا من معتقدهم الديني . على ان القضية على العموم هي قضية زمن وعلم ، فالجهل الذي لا يزال يخيم على الكثير من افراد الامة لا يمكن ان يقود الا الى التحجر والجمود . والمعرفة الآخذة بالانتشار في البلاد العربية هي العامل الاول في وجود المجرى التطوري الذي اشرنا اليه ، وهي وحدها كفيلة في تعهير هذا المجرى . ولكن الاتجاه التطوري الطارئ لا يزال في دور النضال . ومع وجود كتل ومنظمات تسلك هذا الاتجاه فان اغراضه ومراميه لا تزال تنبثق عن افراد قلائل لم يبسطوا مناهجهم الكاملة بصورة واضحة حتى الان .

الاتجاه الادبي :

" ان الاتجاه الادبي في القرن العشرين لم يحدث طفرة بل هو نتيجة تطور اجتماعي بدأ في القرن التاسع عشر . ففي هذا القرن (اي التاسع عشر) اخذ العالم العربي يستيقظ من سبات كان قد غشيه منذ بدء العهد العثماني . فلما فتح عينيه رأى لغته وادبه في حالة يرثى لها من الانحطاط فكان همه اصلاح الحال بالرجوع الى عهود العربية الزاهرة . وهكذا كان بدء الاتجاه الادبي رجوعا نحو القديم . "

" وفي اثناء ذلك فتحت له ابواب الاتصال بالغرب اجتماعيا وعلميا فرأى في الحياة شيئا لم يستطع القديم ان يقدمه له فاقبل عليه اولا عن طريق الترجمة ثم عن طريق التقليد . وما عتم ان وجد نفسه بين جاذبيتين : جاذبية القديم وجاذبية الجديد . ولكن النهضة العلمية الجديدة وتطور المدرسة الحديثة ونشوء الصحافة والمطبعة كل ذلك تحول به في اواخر التاسع عشر عن القديم ووجهه نحو الجديد . فلما بزغ القرن العشرون كان الادب قد ترك اساليب القدماء القائمة على الصناعة البيانية

---

(١) الريحاني — ملوك العرب ج ٢ ص ١٨١ . ذكر ذلك في عرض الحديث عن بعض المؤسسات التبشيرية المسيحية التي لم تلق اية استجابة لدعوتها بين المسلمين . ويقول المؤلف ان المؤسسات التبشيرية يتضاءل خيرها ونفعها لو اقلعت عن التبشير .

(٢) — ماشور ص ٥٢٨ — الطبعة العربية ص ٦٩٦ .

واخذ في طريق البساطة والحرية . وكذلك ترك مواضيع القدماء واخذ ينظر الى الحياة والتاريخ و والطبيعة والانسان نظرات الدارس الحر كالذي يرى بعينيه ويشعر بقلبه ويدرك ما حوله ... وظل الى عهد قريب جدا متابعا خطة الترجمة والاعتماد على الغرب ...»[1] . ومهما يكن من امر فقد حصل تطور ملموس في الحقل الادبي سواء في الشعر او النثر والموضوع والاسلوب .

ظل الشعر العربي طوال قرون عديدة يدور في فلك معين من مديح وهجاء وشكوى ورثاء ووقوف على الاطلال والدمن الى جانب بعض الاغراض الوصفية والغزلية . وكان بلاطي النزعة غايته ان يرضي الفئة المتنفذة ويستدر عطاياها واذا تعدى ذلك فلا يخرج من دائرة الفرد او "الانا" وقل ان يدور في فلك الجماعة . ومع ان الشعر العربي في بدء توقفه في القرن العشرين لم يتحرر كثيرا من قيود الخاصة والدوران مع الاغراض والحاجات اكثر من الالتفات الى الطبائع والاذواق[2] . " فقد استقلت طريقته وظهر فيه اثر التحول العلمي والانقلاب الفكري وعدل به اهله الى صور الحياة بعد ان كان اكثره صورا من اللغة واضافوا به مادة حسنة الى مجموعة الافكار العربية . ونوعوا منه انواعا بعد ان كان كالشيء الواحد . واتسعت فيه دائرة الخيال بما نقلوا اليه من المعاني المترجمة من لغات مختلفة . وهو من هذه الناحية اوسع من شعر كل عصر في تاريخ هذه اللغة"[3] .

والشعر العربي منذ عهد امرئ القيس الى القرن التاسع عشر قل ان يعكس صورة حية للفترة التي مر بها . وبعبارة اخرى ان الصور التي نستجليها منه متشابهة تقريبا في مختلف الفترات . فقد يعكس لنا نمطا معينا من الحياة او يصور موقفا خاصا من المواقف الفردية دون كبير عناية بمجرى الحياة وتياراتها واحداثها المختلفة الا ما كان له علاقة بخليفة او امير .

اما الشعر اليوم فقد اصبح رحب الجنبات يتمخض بالوان من الصور الواقعية . فقد ساير كثيرا من النزعات الحديثة والاتجاهات الاصلاحية . بل انه في الواقع كان في كثير من الحالات يسبق هذه النزعات والاتجاهات . فقد دار في فلك القومية وتغنى ببطال الحرية والعزة الوطنية ، ومجد التضحية والعمل في سبيل الامة ، ورجع الى الماضي يغني امجاده ، وصور الما من الرضى والغضب تبعا للاحداث التي عانتها البلاد . ونزل من برجه العاجي الى ميدان الشعب فصور آماله وآلامه ، والتفت الى

---

(١) من حديث للاستاذ انيس المقدسي اجابة على سؤال وجهته اليه عن طبيعة الاتجاه الادبي بين القرن التاسع عشر والقرن الحالي .

(٢) المقتطف — المجلد ٦٨ يناير ١٩٢٦ ص من مقال للاستاذ مصطفى صادق الرافعي

(٣) المصدر نفسه ص ٣٠

الطبيعة والحياة صورا ، وانطلق الى ميدان النفس البشرية يحلق في اجواء الشعر والجمال[١] . على ان هذا لا يعني ان الشعر العربي القديم كان خلوا من بعض هذه الالوان وخاصة النفسية منها التي رآها الصوفيون وابدعوا فيها القول . ولكن الشعر العربي الحديث كان اكثر اقبالا على هذه النواحي واقرب بكثير الى ما يدور في نفوس الجماهير مما كان عليه في القديم .

وفي ميدان الاسلوب فقد تحرر الشعر من الصناعة اللفظية التي تحجر على يديها في عهود عهود الانحطاط ولكن ظلت القصيدة في كثير من الحالات هي النمط المتبع كما ظهر " اتجاه عام للتفنن في النظم والى سلوك مسالك جديدة لم يعرفها القدماء . وهذا التفنن الجديد متاثر من جهة بالتوشيح الاندلسي ومن جهة اخرى باساليب النظم عند الغربيين "[٢] .

ولم يقف الامر عند هذا الحد فقد ظهر ما يسمونه الشعر المنثور الذي تحرر من قيود الوزن والقافية واعتمد على الجرس اللفظي ، الى جانب الصور الشعرية . وظهر ايضا الشعر الرمزي الذي اتخذ الايقاع والجرس الموسيقيين وسيلة لاخراج له بعض الصور والتشبيهات الغريبة التي يومئ اليها ايماء ويشير اليها اشارات خفية . ولقد تمادى بعض الشعراء في اللون فجاء قريبا من الالغاز في بعض الاحيان .

وكسب الشعر العربي لونا جديدا ايضا هو الشعر القصصي او الملحمي الذي لم يعرفه القدماء الا عرضا [٣] وسلك هذا اللون سبيل الرد الى الماضي . يستجلي منه صور البطولة والوان العبر . وكان للشعر العامي الشعبي حظ من العناية في الفترة الحديثة فقد كثرت الوانه وتعدد مريدوه وخاصة في لبنان ومصر ويمثل في الواقع صورا حية كما يتمتع بحظ طيب من سعة الخيال وحسن الاداء .

وجملة القول ان الشعر العربي الحديث قد افاد كثيرا من الادب الغربي في الموضوع والاسلوب ولكن لم تتكامل شخصيته بعد . فلا هو من القوة والابتكار بحيث ندعوه شعرا فريدا يتميز بخصائص ذاتية محضة ، ولا هو من التقليد والاحتذاء الى حد يفقده العنصر الذاتي . ولكنه في الواقع بين هاتين الحالتين الا انه على اي حال قريب في كثير من الوانه الى الحياة العربية الجديدة فاذا ظهر فيه شيء من القلق والاضطراب فلا يتعدى كونه صورة من صور الواقع العربي . والشعر العربي الحديث وان لمسنا فيه بعض النزعات الاقليمية الضيقة الا انه كان عاملا من عوامل التقارب القومي في البلاد العربية

---

(١) لقد فصل هذه الالوان والاتجاهات الحديثة الاستاذ العقاد في كتابه " الاتجاهات الجديدة في الادب العربي " وردها الى الاتجاهات التالية : الاتجاه التاريخي والشعبي والطبيعي والروحي والفني وعنه اخذت هذه الاشارات .

(٢) المصدر نفسه — حرية الاخراج والنظم ص ٥٣

(٣) المقتطف ٦٨ يناير ١٩٢٦ ص ٣١ من مقال للرافعي .

فقد سجل كثيرا من الاحداث القومية وحاول ان يصورها في بوتقة واحدة هي بوتقة العروبة .

اما النثر العربي فقد خطا خطوات طيبة في سبيل الانطلاق من قيود الصناعة . على ان " حركة التجديد في الادب ... ليست حركة تجديد في البلاغة ... ولكنها تجديد في الاشكال الادبية وفي طرق التعبير التي تقتضيها هذه الاشكال . واعني باشكال الادب المقالة الادبية والصورة الوصفية والقصة الصغيرة والرواية والسيرة والخاطرات القصيرة والخطب البليغة والقصة المسرحية ..."(١) . واقتضت طبيعة هذه الاشكال الادبية والمواضيع المختلفة التي طالبها الكتاب بفعل تطور الحياة وتدفق المؤثرات الخارجية الى العدول عن الاساليب القديمة في التعبير . وتخلص النثر العربي من قيود السجع والمحسنات البيانية او صناعة الحفر والتهويل اللغوية التي غلبت على الادب في العصور المتاخرة . على ان هذا التحرر لم يات طفرة واحدة ولكنه جاء بعد صراع طويل . ولقد " اشتد ... الجهاد بين انصار القديم والجديد في العقد الاول من هذا القرن وكان السوريون بنوع خاص من اشد الناس نصرا للجديد "(٢) .

ولما بدأ الاقبال على الادب الغربي وانتشرت حركة الترجمة قامت ضجة حول اللغة العربية ومدى قدرتها على مسايرة الدنيا الجديدة ، ومرونتها على استيعاب الوان المعاني والمصطلحات . ولم يقف الامر عند هذا الحد وانما ظهرت حركة تدعو الى نبذ اللغة الفصحى والتعلق بالعامية (٣) لانها لغة الشعب — كما يقولون — ولكن كان الخير وانتصرت اللغة الفصحى وشاء القدر ان يسلم العرب من اقليمية اللغة واحتفظوا باللغة الصحيحة اداة قوية موحدة .

ولا مجال الى الشك في ان ما نشاهده من تطور ملموس في الاشكال الادبية المتنوعة التي ينتهجها الكتاب في بحوثهم الادبية انما يعود فضله الى الادب الغربي . فالقصة العربية مثلا قد نشأت بتاثير الادب الاوربي المباشر . ويؤيد ذلك معجم القصة العربية الذي وضعه يوسف داغر امين دار الكتب اللبنانية وجمع فيه نحوا من عشرة آلاف قصة بين صغيرة كبيرة مترجمة عن مختلف اللغات "(٤) . والقصة العربية قد ارتقت نموا ولكنها لم تسم بعد الى ميدان القصص الفني العالمي ولا تزال تتارجح بين المواضيع الاقليمية والمواضيع الانسانية ولم تنطلق بعد الى الافق التحليلي الاجتماعي والانساني لتغدو حياة تنفجر بالحيوية . اما الاشكال الادبية الاخرى فقد توفر لها سبيل الارتقاء والى ذلك يشير

---

(١) الهلال — المجلد ٤٠ نوفمبر ١٩٣١ ص ١٣

(٢) المقتطف — المجلد ٦٨ مارس ١٩٢٦ ص ٢٦٨

(٣) عالج هذه الناحية الدكتور نبيه امين فارس في مقال له في مجلة " العالم الاسلامي " الانكليزية المجلد ٢٣ عدد ٣ يوليو ١٩٤٣ ص ٢١٧ — ٢٢٠ والمقال مطبوع على حدة كما اطلعت عليه

(٤) المقدسي — الاتجاهات — اثر الغرب في ادبنا الحديث ص ٤

العقاد بقوله : " ان الاداب العربية — فيما عدا القصة — لا تقل عن مثيلاتها في اللغات الاوربية فالمقالات والمباحث الفكرية ... تضارع ما ينشر من هذه الابواب المختلفة في صحافة العالم المتمدين "(١)

" وحقيقة الواقع ، ان الادب العربي الحديث خطا في السنوات العشرين الاخيرة ، خطوة واسعة نحو تمثيل الحياة الجديدة التي يحياها العرب في مختلف اقطارهم ولكنه لم يصور الحياة تصويرا كاملا ، ولم يتغلغل الى البيئات العربية المختلفة ، ولم تتوفر له وسائل التعبير الشاملة بحيث يمكن ان نسميه ادبا حديثا مستقلا عن الادب القديم " (٢) .

ويعد ان من ابرز دلائل هذا الاتجاه الادبي ما نلمسه من قابليته في الذهن العربي على الاستيعاب والتقليد والتمثل . والموهبة الادبية عموما قوية في النفس العربية كما ذكرنا سابقا فلا غرابة اذن ان تهفو الى تذوق الادب العالمي والتأثر به . والقضية في الواقع قضية تذوق شخصي ولذلك ولذلك لا نجد اثرا للتنظيم في الاقتباس ولم تقم حركة منظمة في حقل الترجمة ترعاها المؤسسات وتسلك سبيل الانتخاب فيما تأخذ وما تدع وانما اقتصرت المسألة على الجهود الفردية . والعربي كما سبقت الاشارة تواق الى الاضافة بالحديث والتفنن بالكلام وهذا ما يظهر في الحقل الادبي ايضا . ويغلب على الانتاج الادبي الوفرة والخصب ولعل في ذلك بعض بوادر الارتجال والرغبة في ادراك المقاصد العادية والمعنوية بسرعة فائقة . ولذلك يفتقر الجو الادبي الى البحوث المنظمة على الطريقة العلمية (٣) . والنقد الادبي كان الى سنوات قليلة ينصب على الانتاج كصناعة لغوية واسلوب انشائي دون كبير اهتمام بالافكار والاغراض .

وعلى كل من امر فان هذا الاقبال على الادب الغربي ، وهذه الوفرة في الانتاج دليل طيب على قدرة الذهن العربي على تقبل المعرفة وصوغ العطاء على طريقته الخاصة . ولا نكران ان هنالك بوادر تبشر بانتاج ادبي زاهر ميدانه الحياة باجمعها وسبيله الدراسة والاستقصاء والتنظيم .

---

(١) الهلال — المجلد ٤٠ نوفمبر ١٩٣١ ص ٧٩

(٢) الاعالي السنة الاولى يناير ١٩٣٩ عدد ١٩ ص ٤ من مقال للدكتور اسحق موسى الحسيني .

(٣) زويق — ص ١٥٩ — ١٦٠ يشير الى هذه الناحية .

مصادر البحث

المصادر العربية

الكتب

١ - ابن خلدون ، عبد الرحمن
" المقدمة " (مصر)

٢ - اديب ، اوغست باشا
" لبنان بعد الحرب " تعريب الشيخ فريد حبيش
(مصر ١٩١٩)

٣ - ابن عبد ربه ، احمد
" العقد الفريد " الطبعة الثانية
(المطبعة الازهرية ، مصر ١٩٢٨)

٤ - ارسلان ، شكيب
" الوحدة العربية " (دمشق ١٩٣٧)

٥ - " "
" لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم "
الطبعة الثالثة (مصر ١٣٥٨)

٦ - الاعظمي ، احمد عزت
" القضية العربية " (بغداد ١٩٣١)

٧ - امين ، قاسم
" تحرير المرأة" الطبعة الثانية (مصر)

٨ - " "
" المرأة الجديدة " (مصر ١٩٠٠)

٩ - بلموق ، وديع
" الصليبية الجديدة في فلسطين " (دمشق ١٩٤٨)

١٠ - ثابت ، ومحمد
" جولة في ربوع الشرق الادنى " الطبعة الثانية
(القاهرة ١٩٢٦)

١١ - الجاحظ ، عمرو بن بحر
" البيان والتبيين " تحقيق حسن السندوبي
(مصر ١٩٣٢)

١٢ - جانا ، محمد توفيق
" الشهادات السياسية امام اللجنة الملكية في فلسطين "
(دمشق ١٩٣٧)

١٣ - حداد ، جورج - وكرد علي ، بسام
" تاريخ العصور الحديثة في الشرق والغرب "
(دمشق ١٩٤٥)

١٤ - حرب ، محمد طلعت
" تربية المرأة والحجاب " الطبعة الثانية
(مصر ١٣٢٣)

١٥ — الحصري ، ساطع — " يوم ميسلون " (بيروت ١٩٤٧)

١٦ — " " " — " حولية الثقافة العربية " (القاهرة ١٩٤١)

١٧ — " " " — " تقرير عن حالة المعارف في سورية واقتراحات لاصلاحها " (دمشق ١٩٤٤)

١٨ — حداده ، سعيد — " النظام الاقتصادي في سورية ولبنان " (بيروت ١٩٣٦)

١٩ — " " " — " النظام الاقتصادي في فلسطين " (بيروت ١٩٣٩)

٢٠ — خالد ، محمد خالد — " من هنا نبدأ " (مصر ١٩٥٠)

٢١ — خيار ، حنا — " فرنسا وسورية " (مصر ١٩٢٨ — ١٩٢٩)

٢٢ — الخوجي ، محمد شاكر — " العرب في طريق الاتحاد " (دمشق ١٩٤٧)

٢٣ — خشت ، يوسف موسى — " طرائف الامس وغرائب اليوم " (حريصا ١٩٣٦)

٢٤ — الخوارزمي ، — " رسائل ابي بكر الخوارزمي " (مصر ١٢٧٩)

٢٥ — دروزه ، محمد عزة — " حول الحركة العربية الحديثة " (صيدا ١٩٥٠)

٢٦ — رضا ، محمد رشيد — " نداء الى الجنس اللطيف يوم المولد النبوي الشريف " (مصر ١٣٥١)

٢٧ — رفعت ، محمد — " قضية فلسطين " (مصر ١٩٤٧)

٢٨ — الريحاني ، امين — " ملوك العرب " الطبعة الثانية (بيروت ١٩٢٩)

٢٩ — الزركلي ، خير الدين — " اعلام في عمان " (مصر ١٩٢٥)

٣٠ — زيتق ، قسطنطين — " الوعي القومي " الطبعة الثانية (بيروت ١٩٤٠)

٣١ — زين الدين ، نظيرة — " الفتاة والشيوخ " (بيروت ١٩٣٤)

٣٢ — ستودارد ، لوثروب — " حاضر العالم الاسلامي " نقله الى العربية عجاج نويهض وعلق عليه شكيب ارسلان (القاهرة ١٣٥٢)

٣٣ — سعيد ، امين — " ايام بغداد " (مصر ١٩٣٤)

٣٤ — " " " — " الثورة العربية الكبرى " (مصر ١٩٣٤)

٣٥ — سلمان ، الارشمندريت بولس — " خمسة اعوام في شرقي الاردن " (حريصا ١٩٢٩)

٣٦ — الشرتوني ، توفيق حسن — " الحياة في لبنان " (بيروت ١٩٢٧)

٣٧ — الشريف ، منير — " العلويون من هم واين هم ؟ " (دمشق ١٩٤٦)

٣٨ — صحفي اميركي — " مغامراتي في جبال فلسطين " (نشر ابن الخطاب ١٩٣٨)

٣٩ — طاهره ، راشد — " الانتداب وروح السياسة الانكليزية " (بيروت ١٩٢٥)

٤٠ — عبده ، محمد — " رسالة التوحيد " الطبعة العاشرة (مصر ١٣٦١)

٤١ — " " — " الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (مصر ١٣٦٧)

٤٢ — عزام ، عبد الوهاب — " رحلات " (مصر ١٩٣٩)

٤٣ — فارس ، نبيه امين — " العرب الاحياء " (بيروت ١٩٤٧)

٤٤ — " " " — " غيوم عربية " (بيروت ١٩٥٠)

٤٥ — قطب ، سيد — " العدالة الاجتماعية في الاسلام " (مصر ١٩٥٠)

٤٦ — كفافاكو ، انطون — " فتوحات ابراهيم باشا المصري في سورية وفلسطين " عربها الخوري قرألي (حريصا ١٩٣٧)

٤٧ — كرد علي ، محمد — " خطط الشام " الجزء السادس (دمشق ١٩٢٨)

٤٨ — الكواكبي ، عبد الرحمن — " طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد " (مصر)

٤٩ — " " " — " ام القرى " (مصر)

٥٠ — الكيالي ، عبد الرحمن — " رد الكتلة الوطنية على بيان العفو السامي " (١٩٣٣)

٥١ — شاقة ، مخائيل — " مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان " (مصر ١٩٠٨)

٥٢ — منير ، يس — " الوضع القبلي في سورية " رسالة (١٩٤٦)

٥٣ — المقدسي ، انيس الخوري — " الاتجاهات الجديدة في الادب العربي الحديث " (مخطوط)

٥٤ — هويدي ، محمد رشيد — " صفحة من رحلة الامام عبد الرحمن الكواكبي " (النجف ١٩٤٧)

النشرات والمجلات والصحف

١ — "الابحاث" (مجلة تصدر عن الجامعة الاميركية — مجلد عام ١٩٥٠ و ١٩٥١)

٢ — " الاسكدرونة عربية رغم كل قوة " (نشرة عن لجنة الدفاع عن الاسكدرونة — دمشق ١٩٣٨)

٣ — " الامالي " (مجلة اسبوعية كانت تصدر في بيروت — مجلد عام ١٩٣٩)
٤ — " البشير " (جريدة يومية تصدر في بيروت — مجلد عام ١٩٢٠)
٥ — " بيان المؤتمر التأسيسي لجمعية العمل القومي " (عقد في قرنايل — لبنان ٤ اغسطس ١٩٣٣)
٦ — " تقرير لجنة الانتداب " (حول الحالة في سورية ولبنان عام ١٩٢٦)
٧ — " اللواء عربي وسيبقى عربيا " (نشرة عن لجنة الدفاع عن الاسكندرونة · دمشق ١٩٣٨)
٨ — " محاضرات الندوة " (نشرة دورية تصدر في بيروت — النشرة السادسة ١٩٤٧)
٩ — " المشرق " (مجلة شهرية تصدر في بيروت)

المجلدات : (٢٩ عام ١٩٣١)
(٣٩ " ١٩٤٠)
(٣٩ — ٤٠ عام ١٩٤٥)

١٠ — " مشكلة فلسطين " (تقرير صدر عن المكتب العربي — القدس ١٩٤٦)

١١ — " المقتطف " (مجلة شهرية تصدر في القاهرة)

المجلدات : (٧ عام ١٨٨٢ — ١٨٨٣)
(٦٨ " ١٩٢٦)
(٧٩ " ١٩٣١)
(٨٠ " ١٩٣٢)
(٨٤ " ١٩٣٤)
(٨٨ " ١٩٣٦)
(٩٠ " ١٩٣٧)

١٢ — " المنار الجديد " (جريدة يومية تصدر في دمشق · مجلد عام ١٩٥٠)
١٣ — " المؤتمر الاول للطلاب العرب في اوربا " (عقد في بروكسل — دسمبر ١٩٣٨)
١٤ — " المؤتمر العربي القومي في بلودان " (المكتب العربي القومي للدعاية والنشر في دمشق ١٩٣٧)
١٥ — " المؤتمر الصائي الثالث " (بيروت ١٩٢٨)

١٦ — " المؤتمر النسائي الرابع " (بيروت ١٩٣١)

١٧ — " الهلال " (مجلة شهرية تصدر في القاهرة)

المجلدات : (٤٠ لعام ١٩٣١)

(٤٣ " ١٩٣٤)

(٤٤ " ١٩٣٦)

١٨ — " الوثائق والمعاهدات في جزيرة العرب " (صدر عن جريدة الايام الدمشقية — دمشق ١٩٣٨)

المصادر الاجنبية

1- Antonius, George
"The Arab Awakening" (London 1938)

2- Arberry, Arthur, and Landau, Rom
"Islam To-Day" (London 1943)

3-"Encyclopaedia of Islam"

4- Faris, Nabih-Amin
"The case Against The Colloquial"
Reprinred from Moslem World Vol XXXIII , N° 3
(July 1943), PP. 217-20

5- Gaulis, Berthe Georges
"La question Arabe, de l'Arabie du Roi
Ibn Sa'oud à l'indépendance Syrienne" (Paris 1930)

6- Gontaut, Biron, R. de
"Comment la France s'est installée en Syrie"
(Paris 1922)

7- Gibb, H.A.R.
"Modern Trends in Islam ?" (Chicago 1945)

8- Gibb, H.A.R.
"Whither Islam ?" (London 1932)

9- Hourani, A.H.
"Syria and Lebanon" (London 1946)

10- Ireland, Philip Willard
"Iraq" (London 1937)

11- Kessel, J.
"En Syrie" (Paris 1927)

12- Landau, Rom
"Search for Tomorrow" (London 1938)

13- Lawrence, T.E.
"Seven Pillars of Wisdom" (New York 1935)

14- Mathews, R.D. and Akrawi, M. (1)
"Education In Arab Countries of the Near East"
(Washington 1949)

15- Montagne, Robert
"La Civilisation du Désert" (France 1947)

16- Mubayyed, Claudia
"The Sanjaq of Alexandretta from 1918-1939"
(A.U.B. 1950)

17- Nöldeke, Theodor
"Sketches from Eastern History"
Translated by John Sutherland Black, M.A.
(London 1892)

18- Rabbath, Edmond
"Unité Syrienne et Devenir Arabe"
(Paris 1937)

19- Sabbah, Nemer
"L'Evolution Culturelle au Liban
(Lyon 1950)

20- Van Ess, J.
"Meet the Arab"

---

(١) استعملت النسخة العربية ايضا وهي بعنوان « التربية في الشرق الاوسط العربي » ترجمة الدكتور امير بقطر (القاهرة ١٩٤٩)

العقلية العربية بين الحربين

(١٩١٨ - ١٩٣٩)

كما تتجلى في بلاد الشام في بعض اتجاهاتها الرئيسية في تلك الحقبة

.....

ملخص الرسالة التي كتبها : علي حاج بكري

وقدمها الى دائرة التاريخ العربي في كلية

الآداب والعلوم في الجامعة الاميركية في بيروت

لنيل شهادة "استاذ علوم "في التاريخ العربي

.....

بيروت ـ الجامعة الاميركية

نوار - ١٩٥١

الملخص

العقلية العربية بين الحربين

(١٩١٨ - ١٩٣٩)

كما تتجلى في بلاد الشام في بعض اتجاهاتها الرئيسية في تلك الحقبة

-- -- -- --

لقد قسمت البحث الى أربعة فصول وتكلمت في الفصل الاول عن اليقظة العربية وطبيعتها وتحدثت في الفصول التالية عن الاتجاه السياسي والاتجاه الاجتماعي ثم عن الاتجاهين الديني والأدبي

اليقظة العربية وطبيعتها =

عانت البلاد العربية أيام الحكم العثماني فترة طويلة من الجمود والجهل والتعصب . وحدث في القرن التاسع عشر ما نبه العرب الى واقعهم السيء . ففي هذا القرن ازدادت حركة الارساليات الاجنبية في بلاد الشام وتعاظم نشاطها بفعل التنافس فيما بينها فأدت للبلاد خدمات جلى بواسطة المدارس العديدة التي أخذت في نشرها . وزاد في قيمة هذه الحركة ان المرسلين من أميركان ويسوعيين قد عنوا باللغة العربية واتخذوها اداة للتدريس في مدارسهم فاستعادت بذلك مكانتها في ميدان النشاط العلمي والتبادل الفكري وتعززت حركة البعث الأدبي الذي كان مقدمة طبيعية للحركة القومية .

ونتيجة لانتشار التعليم وقيام عدد من المدارس نشأت في البلاد عدة جمعيات سلكت سبيلا وطنيا بحتا . وكذلك فقد قامت جمعيات طائفية متعددة ساهمت بنصيب وافر في حقل التعليم والاعمال الاجتماعية المختلفة .

وفي عام ١٩٠٨ اعلن الدستور العثماني فارتاح اليه العرب وترقبوا من ورائه اصلاحا يعيد اليهم حقوقهم ولكن الاتراك استأثروا بالسلطان فأدى ذلك الى اعلان الثورة العربية عام ١٩١٦ املا في تحقيق الاماني الوطنية .

لقد برهن العرب في ثورتهم عن عزيمة طيبة ولكن الأطماع الاجنبية حالت دون تحقيق أمانيهم ولم تلق بالا للوعود المقطوعة للعرب وهذا ما جعل البلاد العربية مسرحا للانتفاضات الثورية خلال عهد الانتداب .

لقد تكشفت حركة اليقظة العربية عن صفات متعددة ومتباينة أحيانا . فالى جانب نمو الروح القومية والدعوة الى الوحدة العربية كان الشعور الديني لا يزال مسيطرا على النفوس . وكما عرف الوطنيون العرب بالنشاط والحيوية في اوقات الازمات فقد اتصفوا في الغالب بالسذاجة الدبلوماسية . والجدير بالملاحظة ان العاملين في الحركة العربية كانوا احد فريقين : فريق من الزعماء الاثرياء والملاكين وفريق من المثقفين من أبناء الطبقة الوسطى .

ومن مظاهر هذه اليقظة نمو العلاقات مع الغرب مما أدى لاستجابات متعاكسة فيها النقمة الى جانب الرغبة في الاتصال والتعاون . على أن الصفة البارزة في اليقظة العربية انما تتجلى بالطابع الادبي الذي لا يزال يلازمها حتى الآن . كما تتجلى بفقدان روح الاستمرار في الحركات والمؤسسات التي تعهدها العرب مما جعل نشاطهم يبدو بشكل وثبات متفرقة لا بصورة جهد مستمر .

الاتجاه السياسي

جابه العرب ايام الانتداب عددا من المشاكل وكان موقفهم منها يتدرج من الاحتجاج السلمي والتظاهر الشعبي الى الثورة المسلحة . فقد ظلت الثورات في سوريا متلاحقة تفريبا حتى عام ١٩٢٧ ثم جاء عهد من النضال السلمي انتهى بمعاهدة ١٩٣٦ التي لم تغير شيئا من وضع البلاد سوى فقدان

لواء الاسكندرونه الذى جهد العرب في الاحتجاج والتظاهر من أجله ولكن دون جدوى .

واتصفت ايام الانتداب في لبنان وشرقي الاردن بالهدوء النسبي وكان الانتداب في فلسطين ذا طابع مزدوج بسبب وعد بلفور فقامت عدة ثورات كانت ترتدى في الغالب طابعا قوميا عربيا مشوباً بالشعور الديني وخاصة ثورة (١٩٣٦ — ١٩٣٩) .

كان العرب يخرجون الى اقامة كيان عربي موحد وفي عهد الانتداب نشطت الروح الاقليمية وكان دعاتها يتوسلون اليها تارة باسم الدين وطورا باسم الشعوبية والتنصل من العرب والعروبة على أن مردها في الغالب إنما يعود الى النزعات الشخصية والى تمسك الحكام والرؤساء بما وصلوا اليه من نفوذ وسلطان .

وكانت هنالك نزعات ترمي الى توسيع نطاق العلاقات بين الاقطار العربية كمقدمة للوحدة المنشودة . فكان فريق يدعو لتوحيد بلاد الشام ويسعى فريق اخر الى توحيد سوريا والعراق . اما الوحدة العربية أو الاتحاد العربي فقد ناصره الكثيرون ولكن الاراء ظلت متضاربة حول طبيعة هذا الاتحاد ولا نزال نسمع بكثير من المشاريع التي توضع لهذه الغاية .

وفي ميدان التكتل السياسي تأثر فريق من العرب بالمذاهب السياسية العالمية فقامت بعض المنظمات على الطريقة الفاشية وكانت في الغالب مظهرا من مظاهر التحدى لسلطان الانتداب . وكذلك فقد تسربت بعض الاراء الشيوعية الى بعض الاوساط ايضا . اما الديمقراطية التي نادى بها ساسة العرب في كل مناسبة فلم توجد الا نظريا في الاقطار العربية لاعتبارات مختلفة يرجع بعضها الى النفوذ الأجنبي ويعود بعضها الآخر الى حالة الشعب العربي والى الطبيعة العربية ذاتها .

ونمت النزعة القومية على مرور الايام وأصبح للعروبة دعاتها المتحمسون ولكن النزعة

الدينية ظلت قائمة في الميدان ولا يزال هنالك من يتجه بعواطفه الى الجامعة الاسلامية . اما شكل الحكم فقد تأرجح بين الجمهورية والملكية واستقر الحال على الوضع القائم الان .

وعلى العموم اننا نلمس تناقضا في سلوك العرب وتفكيرهم فالنزعات الفردية تسير الى جانب روح التكتل والتنظيم ونرى النفور من الاجنبي والاستجابة الى كل تحد يصدر عنه يخالط النظر اليه بعين الاعتبار .

ومهما يكن من امر فقد اتصف العرب بالنزوع الى التحرر من السلطان الاجنبي وتميزوا بفرط الحيوية السياسية التي لم يكبحها ضابط نفسي أو وعي اجتماعي ولذلك كانت تصريحاتهم وانوالهم تفوق نشاطهم العملي . وكانت أعمالهم أقرب الى الارتجال منها الى العمل المنظم . ونلمس في هذا الميدان أيضا وجود فئة من الساسة المحترفين الذين يلبسون لكل حالة لبوسها كما نجد روح المعارضة بادية في الغالب نتيجة للحرد السياسي . وعلى الجملة إن روح الانسجام في التفكير والسلوك لم تتكون تماما عند العرب حتى الان .

الاتجاه الاجتماعي

إن المجتمع العربي مشهد متغير تتنازعه الدنيا القديمة ودنيا جديدة لم يكتمل نموها بعد . ومع ذلك فقد صارت الحياة العربية شوطا بعيدا في محاكاتها لمظاهر الحياة الغربية . على انه لا يصح ان يفهم من هذا التبدل انه تحول مطلق من نظام إلى اخر . ولكن الامر اقرب الى الخليط المتنافر الالوان .

ويتميز المجتمع العربي بتعدد طبقاته وتباين مظاهره الحضارية فنحن أمام مجتمع يتدرج من طور البداوة الى ما يصح أن يدعى مجتمع القرن العشرين . ولقد تأثرت أكثر هذه الطبقات بالنواحي

المادية للحضارة الغربية مع تفاوت في الكميـة والنوع . وتميزت بالتعلق بالالقاب التركـية والميل الى الزلفى الى جانب الوان الكبت والحرمان وروح التذمر والشكوى التي تعانيها الطبقات الدنيا بصورة عامة . والملاحظ ان مظاهر الحياة الغربية كما تبدو بارزة بين سكـان المدن وخاصة في السـاحل . وتأخذ في التناقص في الاوساط الداخلية النائيه والمناطق الريفية . على أن التطور آخذ مجراه في كل مكان بفعل ازدياد المواصلات وانتشار التعليم .

اما المرأة العربية فلا تزال تمثل دور التبعية للرجل وتعاني كثيرا من عنت التقاليد . ومع أن حركـة التعليم قد غزت المجتمع النسائي فقد ظلت المرأة متارجحة بين التقليد والانطلاق . ومما يجدر ذكره ان مظهر المرأة قد تطور اكثر من تفكيرها . وكان تطور الأبناء عموما أبرز من تطور الآباء ومن هنا جاء القلق والاضطراب الذى يميز البيت العربـي .

ولم تكن حركـة التعليم على اتساعها من محصول طبيعة البلاد وحاجاتها الحقيقية وكانت الشهادة هي الغاية التي ترمى اليها ولذلك فقد افتقر الشـباب المتعلم — بالرغم من القابليات الطبية التي تحلى بها — إلى الخبرة العملية والنظرة الواقعية ولذلك انصرف أكثر المتعلمين عن الحرف الصناعية وعن العمل الزراعي بصورة خاصة وغدت الوظيفة الغاية الاساسية التي يصبون اليها .

وفي حقـل التنظيم ظهرت احزاب وجمعيات ومنظمات مختلفة وتجلى طابعها المميز في اعتمادها على الافراد أكثر من المبادئ وفقدان روح الاستمرار في حركاتها ولكن المنظمات الدينية كانت في الغالب اكثر دوما من غيرها .

وعلى الجملة إننا نلمس مظاهر الرقي في كثير من أفراد الشعب العربي كما نجد التنافر والتفكك الاجتماعي بالنسبة للمجموع . أما الموقف من الحضارة الغربية فيتجلى بالاقبال كل الاقبال على الخيرات المادية لهذه الحضارة . وأما ما عدا ذلك من فكر وروح فلا يزال الموقف منه متميزا بالحذر والقلق واحيانا بالتجاهل والتعامي .

الاتجاه الديني والاتجاه الادبي

الاتجاه الديني — ظلت الحركة الدينية تسير على نمط تقليدي طوال قرون عديدة وفي القرن التاسع عشر بدأت حركة جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده التي اتصفت بالحيوية والنشاط كرد فعل للنشاط الأجنبي . ويستهدف دعاة الاصلاح الديني بناء الدولة على أساس الاسلام لأنهم يرون أن التشريع الاسلامي قابل للتطور تبعا لحاجات الزمن . وبالطرف المقابل يدعو فريق آخر الى فصل الدين عن الدولة لأن الحكومة الدينية لا تصلح لهذا الزمان ويخشى منها على حرية الفكر .

ولقد ظهرت منظمات اسلامية متعددة تميزت بالنشاط الاجتماعي والدعوة الى الاشتراكية لتأمين العدالة الاجتماعية وعدم التنكر للحضارة الغربية .

اما جمهور المسلمين فلا يزال فريق كبير منهم يحتفظ بكثير من التقاليد التي ينكرها دعاة الاصلاح كما أن بعض رجال الدين قد اتخذ الدين حرفة يتعيش منها . اما شباب الجيل الجديد فقد صدف فريق منهم عن التدين الا في أوقات الازمات .

وعلى العموم لا تزال مجاري الاصلاح الديني في دور انتقالي . ومع وجود كتل ومنظمات تسلك هذا الاتجاه فلا يزال أغراضه ومراميه تنبثق عن افراد قلائل لم يبسطوا منها هجهم الكاملة بصورة واضحة حتى الان .

الاتجاه الادبي - لقد حصل تطور ملموس في الحقل الأدبي سواء في الشعر أو في النثر . اما الشعر فقد استغلت طريقته وظهر فيه أثر التحول العلمي والانقلاب الفكرى . وعدل به أهله الى صور الحياة بعد أن كان صورا من اللغة . وتنوعت أبوابه ومراميه وأصبح يحلق في اجواء الحياة المختلفة . ولقد تأثر بالشعر الغربي فظهرت فيه ألوان جديدة كالشعر الرمزى والشعر المنثور والشعر القصصي .

أما النثر العربي فقد خطا خطوات طيبة في سبيل الانطلاق من قيود الصناعة . على أن حركة التجديد في الأدب ليست حركة تجديد في البلاغه ولكنها تجديد في الاشكال الأدبية كالمقالة والصورة الوصفية والقصة الصغيرة والرواية والسيرة والتأملات القصيره والخطب البليغه والقصة المسرحية .

وجملة القول لقد خطا الأدب العربي خطوة واسعة نحو تمثيل الحياة الجديدة التي يحياها العرب ولكنه لم يتغلغل الى البيئات العربية المختلفة وهو الى الآن يعتمد اعتمادا كبيرا على الترجمة عن الاداب الغربية . ولا تزال الحركة الأدبية مفتقرة الى البحوث المنظمة على الطريقة العلمية كما أن النقد الادبي لم يرتق كثيرا . ولكن لا نكران في أن الجو الادبي يتميز بالحيوية ووفرة الانتاج ولعل في ذلك ما يبشر بنتاج أدبي زاهر ميدانه الحياة بأجمعها وسبيله الدراسة والاستقصاء والتنظيم .

وبعد إن أبرز ما يميز العرب في تاريخهم الحديث هو فقدان الانسجام سواء في المظهر أو في التفكير والسلوك . لقد تميزت العقلية العربية بكثير من* عوامل التفريق من فردية

تنفر من كل نظام،ومادية تتغاضى عن الصالح العام في سبيل المصلحة الشخصية ،وفورة عاطفية سريعة الانفجار والتأثر تنطلق للعمل دون سابق تركيز وتصميم فاذا بالهمم تتلاشى سريعا في انتظار مؤثر جديد .... يقابل ذلك من الناحية الاخرى قابلية نامية الى تقبل المعرفة وتطلع الى اصلاح الأوضاع الفاسدة ونزوع الى الخروج من دائرة التبعية إلى ميدان الاستقلال . وهذه المميزات المختلفة إذا لقيت من يتعهدها ويهذبها عن طريق البرامج العملية الموجهة قد تأتي بأطيب الثمرات للمجتمع العربي .